

فهرست

الجزء الثالث

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

صفحة

- الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على
 نفس الخط ؛ وفيه سبعة [ثمانية] أطراف ... ٥
- الطرف الأول - في فضيلة الخط ... ٥
- الطرف الثاني - في بيان حقيقة الخط ... ٧
- الطرف الثالث - في وضع الخط ؛ وفيه جملتان ... ٩
- الجملة الأولى - في بيان المقصود من وضعه ، والموازاة بينه وبين اللفظ ... ٩
- الجملة الثانية - في أصل وضعه ؛ وفيه مسلكان ... ١٠
- المسلك الأول - في وضع مطلق الحروف ... ١٠
- المسلك الثاني - في وضع حروف العربية ... ١١
- الطرف الرابع - في عدد الحروف وجهة ابتدائها وكيفية ترتيبها ؛
 وفيه أربع [خمس] جل .. ١٩
- الجملة الأولى - في مطلق الحروف في جميع اللغات ... ١٩
- الجملة الثانية - في حروف العربية ... ١٩
- الجملة الثالثة - في بيان جهة ابتدآت الحروف ... ٢١
- الجملة الرابعة - في كيفية ترتيب الحروف ... ٢٢
- الجملة الخامسة - في كيفية صور الحروف العربية ، وتداخل أشكالها ... ٢٣
- الطرف الخامس - في تحسين الخط ؛ وفيه جملتان ... ٢٤
- الجملة الأولى - في الحث على تحسين الخط ... ٢٤
- الجملة الثانية - في الطريق إلى تحسين الخط ... ٢٦
- الطرف السادس - في قواعد تتعلق بالكتابة لا يستغنى الكاتب المجيد
 عن معرفتها ؛ وفيه جملتان ... ٢٧

صفحة

- الجملة الأولى - في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ... ٢٧
- الجملة الثانية - في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وانتهاءها من نقطة
أوشظية أوغير ذلك. أما الإبتداء فعلى ثلاثة أضرب ٣٩
- الضرب الأول - ما يبدأ بنقطة ... ٣٩
- الضرب الثانى - ما يبدأ بشظية ... ٣٩
- الضرب الثالث - ما يبدأ بحلقة ... ٤٠
- الضرب الأول - [من ضروب الاختتام] ما ينتج بقطة القلم ... ٤٠
- الضرب الثانى - ما ينتج بشظية ... ٤٠
- الضرب الثالث - ما يرسل فى ختمه إرسالا ... ٤٠
- الطرف السابع - فى مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة؛
وفيه ثلاث جمل ... ٤١
- الجملة الأولى - فى كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه على الورق ٤١
- الجملة الثانية - فى كيفية الاستعداد ووضع القلم على الدرج ... ٤٢
- الجملة الثالثة - فى وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير ... ٤٣
- الطرف الثامن - فى ذكر قوانين يستعملها الكاتب فى الخط؛ وفيه ست جمل ٤٤
- الجملة الأولى - فى كيفية حركة اليد بالقلم فى الكتابة ... ٤٤
- الجملة الثانية - فى تناسب الحروف ومقاديرها فى كل قلم ... ٤٥
- الجملة الثالثة - فيما يجب اعتمادها لكل ناحية من نواحي القلم ... ٤٩
- الجملة الرابعة - فى الترويس ... ٥٠
- الجملة الخامسة - فيما يطمس من الحروف ويفتح ... ٥٠
- الجملة السادسة - فى ذكر الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء
فى زمان المؤلف ... ٥١

منية

- القلم الأول — قلم الطومار ٥٣
- القلم الثانى — قلم مختصر الطومار ٥٩
- القلم الثالث — قلم الثلث؛ وهو على نوعين ٦٢
- النوع الأول — الثلث الثقيل، وصوره مفردة ومركبة ٦٢
- الألف على ضربين : مفردة ومركبة
- الضرب الأول — المفردة ٦٢
- الضرب الثانى — المركب مع غيره من الحروف ٦٤
- الصورة الثانية — صورة الباء؛ وهى على ضربين ٦٤
- الضرب الأول — المفردة ٦٤
- وأما المركبة فعلى نوعين : متوسطة ومتطرفة ٦٥
- الصورة الثالثة — صورة الجيم وما شاكلها ٦٦
- الصورة الرابعة — صورة الدال وأختها؛ وهى على ضربين ٧٠
- الضرب الأول — المفردة ٧٠
- الضرب الثانى — المركبة ٧١
- الصورة الخامسة — صورة الزاء وأختها؛ وهى على ضربين ٧٢
- الضرب الأول — المفردة ٧٢
- الضرب الثانى — المركبة ٧٤
- الصورة السادسة — صورة السين ٧٥
- الصورة السابعة — صورة الصاد ٧٦
- الصورة الثامنة — صورة الطاء وأختها ٧٧
- الصورة التاسعة — صورة العين وأختها ٧٩

صفحة	
٨٣	الصورة العاشرة - صورة القاء...
٨٣	الصورة الحادية عشرة - صورة القاف ...
٨٤	الصورة الثانية عشرة - صورة الكاف ...
٨٦	الصورة الثالثة عشرة - صورة اللام ؛ وهي على ضربين ...
٨٦	الضرب الأول - المفردة ...
٨٧	الضرب الثاني - المركبة ...
٨٨	الصورة الرابعة عشرة - صورة الميم ؛ وهي على خمسة أضرب ...
٨٨	الضرب الأول - المحقة ...
٨٩	الضرب الثاني - المعقة ...
٩٠	الضرب الثالث - المسيلة ...
٩٠	الضرب الرابع - المسوطة ...
٩١	الضرب الخامس - المفتولة ...
٩١	الصورة الخامسة عشرة - صورة النون ...
٩٣	الصورة السادسة عشرة - صورة الهاء ؛ وهي على ضربين ...
٩٣	الضرب الأول - المفردة ...
٩٤	الضرب الثاني - المركبة ...
٩٩	الصورة السابعة عشرة - صورة الواو ...
٩٩	الصورة الثامنة عشرة - صورة اللام ألف ...
١٠١	الصورة التاسعة عشرة - صورة الياء ؛ وهي على ضربين ...
١٠١	الضرب الأول - المفردة ...
١٠٢	الضرب الثاني - المركبة ...

صفحة

التسوع النازد - قلم التث الخفيف	١٠٤
القلم الرابع - قلم التوقيع	١٠٤
القلم الخامس - قلم الرقاع	١١٩
القلم السادس - قلم النيار	١٣٢
الجملة السابعة - في كتابة البسملة؛ وفيها مهجان	١٣٣
المجموع الأول - في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام	١٣٣
المجموع الثاني - في بيان صورة البسملة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل في ديوان الانشاء	١٣٥
الجملة الثامنة - فوجوه تجويد الكتابة وتحسينها؛ وهي على ضربين	١٤٣
الضرب الأول - حسن التشكيل	١٤٣
الضرب الثاني - حسن الوضع	١٤٤
الكلمة الأصلية - أسماء كانت أو حرفاً أو فعلاً، لا تخرج عن أربعة أصناف	١٤٥
الصف الأول - الثنائية	١٤٥
الصف الثاني - الثلاثية	١٤٦
الصف الثالث - الرباعية	١٤٦
الصف الرابع - الخماسية	١٤٧
مراعاة فواصل الكلام	١٤٩
حسن التدوير - في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها	١٥١
الفصل المستعجب - في آخر السطر وأول الذي يليه صفتان	١٥١
الصف الأول - فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض وتفرقها في السطر والذي يليه	١٥١
الصف الثاني - فصل الكلمة التامة وصلتها	١٥٢

صفحة	
الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الأولى في لواحق الخط؛	
وفيه مقصدان	١٥٣
المقصد الأول — في التقط؛ وفيه أربع جمل	١٥٣
الجملة الأولى — في ميسر الحاجة إليه	١٥٣
الجملة الثانية — في ذكر أول من وضع النقط	١٥٥
الجملة الثالثة — في بيان صورة النقط وكيفية وضعه	١٥٥
الجملة الرابعة — فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا نقط له	١٥٦
المقصد الثاني — في الشكل؛ وفيه خمس جمل	١٦٠
الجملة الأولى — في اشتقاقه ومعناه	١٦٠
الجملة الثانية — في أول من وضع الشكل	١٦٠
الجملة الثالثة — في الترغيب في الشكل والترهيب عنه	١٦١
الجملة الرابعة — فيما ينشأ عنه الشكل ويترتب عليه	١٦٢
الجملة الخامسة — في صور الشكل ومحال وضعه على طريقة المتقنمين	
والمتاخرين	١٦٤
الأولى — علامة السكون	١٦٤
الثانية — علامة الفتح	١٦٥
الثالثة — علامة الضم	١٦٥
الرابعة — علامة الكسر	١٦٦
الخامسة — علامة التشديد	١٦٦
السادسة — علامة الهمزة	١٦٧
السابعة — علامة الصلة في ألفات الوصل	١٧٠

صفحة

الفصل الرابع - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الهجاء ؛	١٧٢
وفيه مقصدان ...	١٧٢
المقصد الأول - في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين ...	١٧٢
الضرب الأول - المصطلح الرسمي ...	١٧٢
الضرب الثاني - المصطلح العروضي ...	١٧٢
المقصد الثاني - في المصطلح العام ؛ وفيه جملتان ...	١٧٣
الجملة الأولى - في الأفراد والحذف والإثبات والإبدال ...	١٧٣
المكتوب على المصطلح المعروف على قسمين ...	١٧٤
القسم الأول - ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين ...	١٧٤
الضرب الأول - ما هو على أصله المتعريف في ذوات الحروف وعددها اثنان ...	١٧٤
اللفظ الذي يكتب على نوصين ...	١٧٧
النوع الأول - أن يكون أسما لحرف من حروف الهجاء ...	١٧٧
النوع الثاني - أن لا يكون أسما لحرف من حروف المعجم ...	١٧٩
الضرب الثاني - ما يتغير عن أصله ؛ وهو على ثلاثة أنواع ...	١٧٩
النوع الأول - ما يتغير بالزيادة ...	١٧٩
النوع الثاني - ما يتغير بالنقص ...	١٨٤
النوع الثالث - ما يتغير بالبدل ...	٢٠٠
القسم الثاني - ما ليس له صورة تخصه ، وهو المهزمة ؛ ولها ثلاثة أحوال ...	٢٠٨
الحال الأول - أن تكون في أول الكلمة ...	٢٠٨
الحال الثاني - أن تكون متوسطة ؛ ولها حالتان ...	٢٠٩
الحال الثالث - أن تكون المهزمة آخر ؛ ولها حالتان ...	٢١٢
الجملة الثانية - في حالة التركيب والفصل والوصل ...	٢١٥

سنة

الفصل الخامس — من الباب الثاني من المقالة الأولى فيما يكتب بالنظاء
مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد ... ٢٢٢

المقالة الثانية

- في المسالك والممالك؛ وفيها أربعة أبواب... ٢٢٧ ...
الباب الأول — في ذكر الأرض على سبيل الإجمال؛ وفيه ثلاثة فصول ٢٢٧
الفصل الأول — في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها آنح؛
وفيه طرفان ... ٢٢٧ ...
الطرف الأول — في شكل الأرض وإحاطة البحر بها ... ٢٢٧ ...
الطرف الثاني — فيما أشتملت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية... ٢٣٠ ...
الفصل الثاني — في البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان؛ وفيه طرفان ٢٣٣
الطرف الأول — في البحر المحيط... ٢٣٣ ...
الطرف الثاني — في البحار المنبثقة في أقطار الأرض؛ وهي على ضربين ٢٣٤
الضرب الأول — الخارج من البحر المحيط وما يتصل به ... ٢٣٤ ...
الضرب الثاني — من البحار المنبثقة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال
بالبحر المحيط ... ٢٤٨ ...
الفصل الثالث — في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة
بينها؛ وفيه طرفان ... ٢٥٠ ...
الطرف الأول — في كيفية استخراج جهات البلدان ... ٢٥٠ ...
الطرف الثاني — في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان ... ٢٥١ ...

صفحة

الباب الثاني — في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء، ومقرّاتهم في القديم

والحديث أنّ؛ وفيه فصلان ٢٥٤

الفصل الأول — في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء، وهم على أربع طبقات ٢٥٤

الطبقة الأولى — الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ٢٥٤

الطبقة الثانية — خلفاء بني أمية ٢٥٦

الطبقة الثالثة — خلفاء بني العباس بالعراق ٢٥٨

الطبقة الرابعة — خلفاء بني العباس بالديار المصرية ٢٦٤

وأما مقرّات الخلفاء، فهي أربع مقرّات :

المقرّة الأولى — المدينة النبوية ٢٦٧

المقرّة الثانية — الشام ٢٦٨

المقرّة الثالثة — العراق ٢٦٨

المقرّة الرابعة — الديار المصرية ٢٦٨

الفصل الثاني — فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت

عليه من الترتيب، وما هي عليه الآن؛ ولها حالتان ... ٢٦٩

الحالة الأولى — ما كان عليه الحال في الزمن القديم ٢٧٠

شعار الخلافة ٢٧٣

الوظائف المعتبرة عندهم على ضربين ٢٧٧

الضرب الأول — وظائف أرباب السيوف ٢٧٧

الضرب الثاني — وظائف أرباب الأقلام ٢٧٨

الحالة الثانية — ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية ٢٧٨

منحة

الباب الثالث - في ذكر مملكة الديار المصرية؛ وفيه ثلاثة فصول ... ٢٨٢

الفصل الأول - في مملكة الديار المصرية ومضافاتها؛ وفيه طرفان ... ٢٨٢

الطرف الأول - في الديار المصرية؛ وفيه اثنا عشر مقصدا ... ٢٨٢

المقصد الأول - في فضلها وعما فيها ... ٢٨٢

المقصد الثاني - في ذكر خواصها وعجائبها، وما بها من الآثار القديمة ... ٢٨٦

المقصد الثالث - في ذكر نيلها ومبده وأتباته وزيادته وقصده الخ ... ٢٨٩

المقصد الرابع - في ذكر خليجائها؛ وهي ستة ... ٣٠١

الخليج الأول - النهر ... ٣٠١

الخليج الثاني - خليج القاهرة ... ٣٠٢

الخليج الثالث - خليج المردوس ... ٣٠٤

الخليج الرابع - الإسكندرية ... ٣٠٤

الخليج الخامس - خليج منجا ... ٣٠٥

الخليج السادس - خليج دمياط ... ٣٠٥

المقصد الخامس - في ذكر بحيرات الديار المصرية؛ وهي أربع بحيرات ... ٣٠٧

المقصد السادس - في ذكر جبالها ... ٣٠٩

المقصد السابع - في ذكر زروعها ورياحينها وفواكهها وأصناف

المطعم بها ... ٣١١

المقصد الثامن - في ذكر مواشها ووحوشها وطيورها ... ٣١٤

المقصد التاسع - في ذكر حدودها ... ٣١٤

المقصد العاشر - في ابتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم

التي حولها عنها ... ٣١٧

مقدمة

المقصد الحادى عشر — فى ذكر قواعدها القديمة والمباني العظيمة الباقية الخ ٣١٩
وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول — ما قبل الطوفان ٣١٩

الضرب الثانى — قواعدها فيما بعد الطوفان ٣٢٠

المقصد الثانى عشر — فى ذكر قواعدها المستقرة ؛ وهى ثلاث ٣٢٩

القاعدة الاولى — مدينة القسطنطاط ٣٢٩

(جوامعها) ٣٤٠

القاعدة الثانية — القاهرة ٣٤٨

(جوامعها) ٣٦٤

القاعدة الثالثة — القلعة ٣٧٢

الفصل الثانى — فى ذكر كور الديار المصرية ؛ وهى على ضربين ... ٣٧٩

الضرب الاول — فى ذكر كورها القديمة ؛ وهى ثلاثة أحياء ... ٣٧٩

الحيز الاول — أعلى الأرض ؛ وهو الصعيد ٣٨٠

الحيز الثانى — أسفل الأرض ؛ وهو أربع فوايح ٣٨٥

التاحية الاولى — كور الحوف الشرقى ؛ وبها ثمان كور ... ٣٨٥

التاحية الثانية — بطن الريف ؛ وفيها سبع كور ... ٣٨٦

التاحية الثالثة — الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ؛

وفيها خمس كور ٣٨٨

التاحية الرابعة — الحوف الغربى ؛ وفيها إحدى عشرة كورة ... ٣٨٩

الحيز الثالث — كور القبلة ؛ وفيها خمس كور ٣٩١

الحيز الاول — مما لم يذكره القضاعى [بلاد الواح ٣٩٣

صفحة

الحيز الثاني - برقة ... ٣٩٥

الضرب الثاني - من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة

ولها وجهان ... ٣٩٦

الرحس الأول - القلي ... ٣٩٦

الرحس الثاني - البحري؛ ويشتمل على ثلاث شعب ... ٤٠٣

الشمع الأول - شرق الفرقة الشرقية من النيل؛ وفيها أربعة أعمال ... ٤٠٣

الشمع الثانية - غربي فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملان ... ٤٠٦

الشمع الثالثة - ما بين فرقتي النيل الشرقية والغربية؛ وهو جزيرتان ... ٤٠٩

الفصل الثالث - فيمن ملك الديار المصرية جاهلية وإسلاماً؛ وهم

على ثلاث مراتب ... ٤١١

المرتبة الأولى - من ملكها قبل الطوفان ... ٤١١

المرتبة الثانية - من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامي؛ وهم

على طبقات ... ٤١٣

الطبقة الأولى - ملوكها من القبط ... ٤١٣

الطبقة الثانية - ملوكها من العالقي ملوك الشام ... ٤١٥

الطبقة الثالثة - ملوكها من القبط بعد العالقة ... ٤١٦

الطبقة الرابعة - ملوكها من الفرس ... ٤١٧

الطبقة الخامسة - ملوكها من اليونان ... ٤١٨

الطبقة السادسة - ملوكها من الروم ... ٤١٩

المرتبة الثالثة - من وليها في الإسلام من بداية الأمر إلى زمن المؤلف؛

وهم على ضربين ... ٤٢٣

صفحة

الضرب الأول — فيمن وليها نيابة، وهو الصدر الأول؛ وهم على ثلاث طبقات ٤٢٣
الطبقة الأولى — عمال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٢٣
الطبقة الثانية — عمال خلفاء بني أمية بالشام ٤٢٤
الطبقة الثالثة — عمال خلفاء بني العباس بالعراق ٤٢٥
الضرب الثاني — مَنْ وليها مُلكاً؛ وهم على أربع طبقات ٤٢٨
الطبقة الأولى — من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين ... ٤٢٨
الطبقة الثانية — من وليها من الخلفاء الفاطميين ٤٣٠
الطبقة الثالثة — ملوك بني أيوب ٤٣٢
الطبقة الرابعة — ملوك الترك ٤٣٤
الفصل الرابع — في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية؛ وفيه ثلاثة أطراف ٤٤٠
الطرف الأول — في ذكر معالمها؛ وفيه ثلاثة أركان ٤٤٠
الركن الأول — الإسماعيلية؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٤٠
النوع الأول — الدناير المسكوكة؛ وهي ضريان ٤٤٠
الضرب الأول — ما يتعامل به وزناً ٤٤٠
الضرب الثاني — ما يتعامل به معاملة ٤٤١
النوع الثاني — الدراهم المُقرّة ٤٤٣
النوع الثالث — الفلوس ٤٤٣
الركن الثاني — في المِثْمَنات؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٤٥
النوع الأول — الموزونات ٤٤٥

صفحة

النوع الثاني — المكيالات ٤٤٥

النوع الثالث — المقيسات؛ وهي الأراضي والأقشة ٤٤٦

أما الأراضي فصنفان :

الصف الأول — أرض الزراعة ٤٤٦

الصف الثاني — أرض البنيان ٤٤٦

الركن الثالث — في الأسعار ٤٤٧

الطرف الثاني — في ذكر جسورها وأصناف أرضها؛ وما يختص بكل

صنف آخر ٤٤٨

أما جسورها فعل صنفين :

الصف الأول — الجسور السلطانية ٤٤٨

الصف الثاني — الجسور البلدية ٤٤٩

الطرف الثالث — في وجوه أموالها الديوانية؛ وهي على ضريين ... ٤٥٢

الضرب الأول — الشرعي؛ وهو على سبعة أنواع ٤٥٢

النوع الأول — المال الخراجي ٤٥٢

والجاري في الدواوين منه على ضريين :

الضرب الأول — ماهو داخل في الدواوين السلطانية؛ وهو الآن (زمن

المؤلف) على أربعة أصناف ٤٥٥

الصف الأول — ماهو جار في ديوان الوزارة ٤٥٥

الصف الثاني — ماهو جار في ديوان الخالص ٤٥٦

الصف الثالث — ماهو جار في الديوان المفرد ٤٥٧

الصف الرابع — ماهو جار في ديوان الأملاك ٤٥٧

- صنف
- الضرب الثانى — ماهو جارى فى الإقطاعات ... ٤٥٧ ...
- النوع الثانى — ما يتحصل مما يستخرج من المعادن ... ٤٥٩ ...
- النوع الثالث — الزكاة ... ٤٦١ ...
- النوع الرابع — الجوالى ... ٤٦٢ ...
- النوع الخامس — ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين فى البحر إلى الديار المصرية ... ٤٦٣ ...
- النوع السادس — الموارد الحشرية ... ٤٦٤ ...
- النوع السابع — ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة؛ والذي يضرب فيها ثلاثة أصناف ... ٤٦٥ ...
- الصف الأول — الذهب ... ٤٦٥ ...
- الصف الثانى — الفضة النقرة ... ٤٦٦ ...
- الصف الثالث — الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر ... ٤٦٧ ...
- الضرب الثانى — من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى، وهو المكوس؛ وهى على نوعين ... ٤٦٨ ...
- النوع الأول — ما يختص بالديوان السلطانى؛ وهو صنفان ... ٤٦٨ ...
- الصف الأول — ما يؤخذ على الواصل المجلوب وأكثفه متحصلا جهتان ... ٤٦٨ ...
- الجهة الأولى — ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القلزم من جهة المجاز والمن وما والاها ... ٤٦٨ ...
- الجهة الثانية — ما يؤخذ على واصل التجار بقطيا فى طريق الشام ... ٤٧٠ ...
- الصف الثانى — ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية بالفسطاط والقاهرة ... ٤٧٠ ...

- صفحة
النوع الثاني — ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني ... ٤٧١
في ترتيب المملكة؛ ولها ثلاث حالات ... ٤٧١
الجملة الأولى. — ما كانت عليه من حين الفتح إلى آخر الدولة الأخشيدية ٤٧١
الجملة الثانية — ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين؛ وتختصر
في ثلاث جمل ... ٤٧٢
الجملة الأولى — في الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ... ٤٧٢
الجملة الثانية — في حواصل الخليفة؛ وهي على خمسة أنواع ... ٤٧٥
النوع الأول — الخزائن — ... ٤٧٥
النوع الثاني — حواصل المواشي ... ٤٧٨
النوع الثالث — حواصل الغلال وشون الأتبان ... ٤٧٩
النوع الرابع — حواصل البضاعة ... ٤٧٩
النوع الخامس — ما في معنى الحواصل ... ٤٨٠
الجملة الثالثة — في ذكر جيوش الدولة الفاطمية وبيان مراتب أرباب
السيوف؛ وهم على ثلاثة أصناف ... ٤٨٠
الصف الأول — الأمراء ... ٤٨٠
الصف الثاني — خواص الخليفة؛ وهم على ثلاثة أنواع ... ٤٨١
النوع الأول — الأستادون ... ٤٨١
النوع الثاني — صبيان الخالص ... ٤٨١
النوع الثالث — صبيان الحجر ... ٤٨١
الصف الثالث — طوائف الأجناد ... ٤٨٢
الجملة الرابعة — في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية؛ وهم على قسمين ٤٨٢

من

القسم الأول — مباحضة الخليفة؛ وهم أربعة أصناف ... ٤٨٢

الصف الأول — أرباب الوظائف من أرباب السيف؛ وهم نوعان ٤٨٢

النوع الأول — وظائف عامة الجند ... ٤٨٢

النوع الثاني — وظائف خواص الخليفة من الأستاذين؛ وهي

على ضربين ... ٤٨٤

الضرب الأول — ما يختص بالأستاذين المحنكين ... ٤٨٤

الضرب الثاني — ما يكون من غير المحنكين ... ٤٨٥

الصف الثاني — من أرباب الوظائف بمحضرة الخليفة أرباب الأقلام؛

وهم على ثلاثة أنواع ... ٤٨٦

النوع الأول — أرباب الوظائف الدينية ... ٤٨٦

النوع الثالث — من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الدينية؛ وهي

على ثلاثة [أربعة] أضرب ... ٤٨٩

الضرب الأول — الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم ... ٤٨٩

الضرب الثاني — ديوان الإنشاء ... ٤٩٠

الضرب الثالث — ديوان الجيش ... ٤٩٢

الضرب الرابع — نظير الدواوين ... ٤٩٣

الصف الثالث — من أرباب الوظائف أصحاب الوظائف الصناعية ٤٩٦

الصف الرابع — الشيعراء ... ٤٩٧

القسم الثاني — من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج

عن حضرة الخلافة وهو صنفان ... ٤٩٧

الصف الأول — النواب والولاة ... ٤٩٧

صفحة

- الجلسة الخامسة — من ترتيب ملكتهم في هيئة الخليفة في مواكب وقصوره؛
 وهي على ثلاثة أضرب ٤٩٨
- الضرب الأول — جلوسه في المواكب؛ وله ثلاثة جلوسات ... ٤٩٨
- الجلوس الأول — جلوسه في المجلس العام أيام المواكب ... ٤٩٨
- الجلوس الثاني — جلوسه للقاضي والشهود في ليالى الوقود الأربع
 من كل سنة ... ٥٠١
- الجلوس الثالث — جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ... ٥٠٢
- الضرب الثاني — ركوبه في المواكب؛ وهو على نوعين ... ٥٠٣
- النوع الأول — ركوبه في المواكب العظام، وهي ستة مواكب ... ٥٠٣
- الموكب الأول — ركوب أول العام ... ٥٠٣
- الموكب الثاني — ركوب أول شهر رمضان ... ٥٠٩
- الموكب الثالث — ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان ... ٥٠٩
- الموكب الرابع — ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحى ... ٥١٢
- الموكب الخامس — ركوبه لتخليق المقياس عند وفاة النيل ... ٥١٦
- الموكب السادس — ركوبه لفتح الخليج ... ٥١٨
- النوع الثاني — من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة ... ٥٢١
- الضرب الثالث — من هيئة الخليفة هيئته في قصوره ... ٥٢٢
- الجلسة السادسة — في اهتمامهم بالأساطيل، وحفظ الثغور، وأعتنائهم بأمر
 الجهاد، وسيرهم في رعاياهم، وأستالة قلوب مخالفيهم ... ٥٢٣
- الجلسة السابعة — في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم
 وما يتصل بذلك من الطعمة ... ٥٢٥

مقدمة

وأما الطعنة — فعلى ضريين ٥٢٧

النسب الأزل — الأسمطة التي تمتد في شهر رمضان والعيدين ... ٥٢٧

النسب الثاني — فيما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر ... ٥٢٨

في جلوس الوزير للظالم الخ ٥٢٩



(تم فهرست الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الرابع

وأوله "الحالة الثالثة من أحوال المملكة

ما عليه ترتيب المملكة: من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا"



صبح الأسماء



الجزء الثالث



دار الكتب الخديوية

كتاب

صحيح الأئمة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(في الكلام على نفس الخط ؛ وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضيلة الخط)

قال تعالى : ﴿ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
فأضاف تعليم الخط إلى نفسه ، وأمتن به على عباده ؛ ونأهيك بذلك شرفاً !

وقال جل وعز : ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يسطرونه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أنه الخط
كما هتتم الكلام عليه .

ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عقيبتا عن الكلام فقال : ربح لا يبقى !
قال فما قيده ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد .

وقال جعفر بن يحيى: ^(١) الخط سَمِطُ الحكمة، وبه تُفَصَّل شُئُورها، ويتنظَّم مشُورها .
وقال النُّظَّام : الخط أصل الروح له جسدانية في سائر الأعمال . إلى ما يجري
هذا المجرى :

وقال إبراهيم بن محمد الشيباني: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول،
ووصي الفكر، وسلاح المعرفة، وأُس الإخوان عند الفرقة، وعادتهم على بُعد
المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور .

وقال مسلم بن الوليد : من عجائب الله تعالى في خلقه، وإعظامه عليهم من فضله ،
تعليمه لأهم الكتاب المفيد للباقيين، حكم الماضين، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب،
على لغات متفرقة، في معاني معقولة، بحروف مؤلفة من ألف، وباء، وجم، وذال،
متباينات الصور، ومختلفات الجهات، لقاحها التفكير، ونساجها التأليف، تحرس
مُفردة، وتُطلى مُزدوجة، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن مزقورة، ولا حركات
ظاهرة، ما خلا قلباً جوف بارية بطنه ليعلق المبدأ به، وأرهف جانبيه ليرد
ما أنشمر منه إليه، وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه، وأربع من شفتيه، ليجهما
حواشي تصويره إليه، فهناك أشد القلم برشفه، وقنف المادة إلى صدره، ثم يجها
من شقه بمقدار ما أحلت شفتاه بتخطيط أجزاء التقط التي أراد بها الخطوط،
فالأبصار لها سامية، فإذا حككتها الألسن فالأذان لها واعية . وأولى أسمائها بها حينئذ
الكلام الذي سده العقل والحمه اللسان، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفتان،
وصداه الحنجرة، وجرتة الأسماع على أنحاء شتى، ^(٢) وسميت لها الأشياء لتعرف متناكرها،
وتميز متساويها، وتبين معلومها من مجهولها . فمن ذلك فضل الكتاب الصناعات .

(١) عبارة الفراء . " قال بعض العلماء : الخط كالروح في الجسد " .

(٢) له وسمت أي قطعت وتقررت . أو سميت بها الخ .

وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئا مما يجري به الخاطر، أو يميل إليه العقل، أو يقيه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تدركه الحواس، إلا والكتاب والكلام موكلان به، مدبران له، معبران عنه .

فلما أن تضمنت الحروف الدلالة، وقامت الألفاظ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، وتصرف المنطق بكل جهة، فلم تكف منه أمة بأمة، ولم تستغن عنه ملة دون ملة، فعرب ذلك بلغة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات، المنظمة لجميع المعاني في وجيز الصفات .

ولو لم يكن من شرف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام كما تقم ذكره، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية .

وأیضا فإن فيه من حفظ الحقوق، ومنع تمرد ذوي العقوق؛ بما يُسطر عليهم من الشهادات، التي تقع في السجلات، والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضر بمشاهدة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخط أفضل من اللفظ : لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط، والخط يفهم الحاضر والغائب . وفيه القائل في ذلك يصف القلم .

وَأَتَرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَتِ * وَجُتَّانُهُ صَابَتْ أَجُوفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ * وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

الطرف الثاني

(في بيان حقيقة الخط)

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفاني في كتابه "إرشاد القاصد" في حصر العلوم :

وهو علم نتعرف منه صور الحروف المفردة ، وأوضاعها ، وكيفية تركيبها خطأ ، أو ما يكتب منها في السطور، وكيف سيبله أن يكتب ، وما لا يكتب ، وإبدال ما يُبدل منها في الهجاء وبما إذا يُبدل . قال : وبه ظهرت خاصّة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل ، وأمتاز به عن سائر الحيوان ؛ وضبط الأموال ، وترتيب الأحوال ، وحفظ العلوم في الأدوار ، واستمرارها على الأطوار ، وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان ، وحمل السرّ من مكان إلى مكان .

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قبوله بطلب تعلمه محافظة لم يحتاج بها إلى تدكار بعد التّوبة . ولهذا العلة استغنى عن كتاب يُصنّف فيه .

ثم قال : وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة ، أو اللفظ ، أو الخط ؛ والإشارة تتوقّف على المشاهدة ؛ واللفظ يتوقّف على حضور المخاطب وسماعه ؛ أما الخط فإنه لا يتوقّف على شيء فهو أعمّها نفعا وأشرفها .

وأعلم أنه قد تقدّم في الكلام على اللغة في "النوع الأول مما يحتاج إليه الكاتب" أنه ينبغي للكاتب أن يتعلّم لغة من يحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبتها من اللغات غير العربية ، فكذلك ينبغي أن يتعلّم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك . فقد قال محمد بن عمر المدايني في كتاب "القلم والدواة" : إنه يجب عليه أن يتعلّم الهندية وغيرها من الخطوط العجمية . ويؤيد ذلك ما تقدّم في الكلام على اللغة أن النبي صلى الله عليه وسلم "أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلّم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية فتعلّمها" وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم كتبهم ويحييهم عنه .

الطرف الثالث

(في وضع الخطب وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان المقصود من وضعه، والموازنة بينه وبين اللفظ)

أما بيان المقصود من وضعه أعلم^(١) أن وضع اللفظ لأداء المعنى الحاصل في ذهن المشعوبه للسمع، إذ لا وقوف على ما في ذهن، ووضع الخطب لأداء اللفظ المقصود فهمه للتأخر فيه. فإذا أردت إيقاظك أحدا على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بالفاظ وضعت لها، وإذا أردت تأدية ألفاظ لتلك الإيقاف إلى أحد غير شقاه، نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، ويفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفاظ تلك المعاني؛ ولا علاقة معقولة بين المعاني والألفاظ على الأمر العام، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة؛ ومن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والرومية وغيرهما.

وأما الموازنة بينه وبين اللفظ، فالأصل في ذلك أن الخطب واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويستركان فيها: من حيث إن الخطب دال على الألفاظ والألفاظ دالة على الأوهام؛ ولاشتراك الخطب واللفظ في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من أحوالهما؛ وذلك أنهما يعبران عن المعاني إلا أن اللفظ معنى متحرك والخطب معنى ساكن، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعل فعل المتحرك بإيصاله كل ما تضمنه إلى الألفهام وهو مستقر في حيزه ومكانه فإثم كما أن اللفظ فيه العذب الرشيق السانع في الإسماع كذلك الخطب فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور. وكما أن اللفظ

(١) أى نقول أعلم الخ. (٢) لم وجه الكلام هكذا [مستقر في حيزه، قائم في مكانه، وما الخ].

فيه الجَزَلُ الفصيح الذي يستعمله مَصَاحِيعُ الخُطباء، ومَفَاقِ الشُعراء، والمنتَدِلُ السخيف الذي يستعمله العوام في المكتبة والمحاطبة، كذلك الخط في الحرر المحقق الذي تكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المطلق المرسل الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقع فيه لحن الإعراب الذي يهتجه كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حلوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس ، وإن كان غثا مستكبرا وضع المعنى الرفيع وبعده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جيّدا حسنا، بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا، صرفه عن تأمل ما تضمنه وإن كان جليلا الفائدة .

ولما أشترك اللفظ والخط في القوائد العامة التي جُمِعت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آتئهما إذ آلة اللفظ اللسان، وآلة الخط القلم؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر في الإبانة عن المعاني إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جُمِعت آتئهُ آلة طبيعية، والخط لما كان دليلا صناعيا جعلت آتئهُ آلة صناعية؛ ولما تقاسمت الاكتان الدلالة ثابت إحداها مناب الأخرى فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأقدام ألسنة الأفيام، وشركوا بينهما في الاسم فقالوا : القلم أحد اللسانين .

الجملة الثانية

(في أصل وضعه ؛ وفيه مسكلات)

المسلك الأول

(في وضع مطلق الحروف)

قيل إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام : كتبها في طين وطبخه؛ وذلك قبل موته بثلاثة سنة؛ فلما أظلم الأرض الغرق أصاب كل قوم

كلهم . وقيل أَخْتُوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية عليها الله تعالى بالوحى، والمقالتان الأولتان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفياً علمه الله تعالى بالوحى، وبعضه اصطلاحياً وضعه البشر : واحد أو جماعة، فيصير الخلاف فيه كالخلاف في اللغة هل هى توقيفية أو اصطلاحية على ما هو مقدر في علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

(فى وضع حروف العربية)

قال الشيخ أبو العباس البونى رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات، فى أسرار الحروف المعلومات":

يروى عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله كل نبي مرسل بمُرسل؟ - قال بكتاب متك - قلت يا رسول الله أى كتاب أنزل على آدم؟ - قال : اب ت ث ج الى آخره - قلت يا رسول الله كم حرف؟ - قال : تسع وعشرون - قلت يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين، فعضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحمرت عيناه، ثم قال يا أبا ذر: والذى بتنى بالحق نبياً ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفاً - قلت يا رسول الله فيها ألف ولا م - فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد، أنزله على آدم فى صحيفة واحدة، ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يسد لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً مكانه .

وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه بحروف ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك في غير حروف العربية، وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السلام وهو الموافق لما في أول الفصل قبله، لكن في كتاب "التنبيه على نقط المصاحف وشكها" للشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله أنها أنزلت على هود عليه السلام، ولا تباين بينهما: لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى، فربما نزلت الآية على نبي ثم نزلت على نبي آخر كما قيل في قوله تعالى: ﴿حَمَسَقُ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنه ما بعث الله تعالى نبياً إلا وأنزل عليه ﴿حَمَسَقُ﴾ وقد أنزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ على سليمان عليه السلام، ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين كما في الفاتحة فإنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فنضيته أنها توقيفية وهو الموافق لأحد الأقوال في مطلق الحروف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان، (وبولان قبيلة من طي) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مُرامِر بن مُرة^(١)، وأسلم بن سُدرة، وطامر بن جندرة، اجتمعوا فوضّعوا حروفاً مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء الشريانية؛ فأما مُرامِر فوضع الصور^(١)، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما طامر فوضع الإحجام؛ ثم قيل هذا العلم إلى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه.

وقيل الجوهرى عن شَرَقِ بن القَعْمَاسِ أن أول من وضعه رجال من طي منهم مُرامِر بن مُرة^(١) وأنشد عليه:

(١) في الأصل مرار - والقي في جميع ما جاء في اللغة مرامر، وهذا في البيت أيضا.

تَمَلَّسْتُ بِأَجَادٍ وَأَلْ مُرَامِي * وَسَوَّدْتُ أَتَوَابِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

قال الجوهرى: وإنما قال آل مُرَامِرٍ لأنه كان قد سُمي كل واحد من أولاده بكتابة من أبى جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال: أَوَّلُ مَنْ أَخْرَعَهُ وَأَلَفَّ حُرُوفَهُ سِتَّةَ أَشْخَاصٍ مِنْ طَسْمٍ كَانُوا نُزُولًا عِنْدَ مَدَنَانَ بْنِ أَدَدَ، وَكَانَتْ أَسْمَائُهُمْ: أَبْجَدٌ، وَهَوَزٌ، وَحَطَّى، وَكَلَمَنٌ، وَوَسْعَفَصٌ، وَفَرَشْتُ، فَوَضَعُوا الْكِتَابَةَ وَالْخَطَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ، فَلَمَّا وَجَدُوا فِي الْأَلْفَاظِ حُرُوفًا لَيْسَتْ فِي أَسْمَائِهِمْ أَحَقُّوْهَا بِهَا، وَسَمَّوْهَا الرُّوَادِفَ؛ وَهِيَ التَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ، وَالخَاءُ، وَالذَّالُ، وَالظَّاءُ، وَالغَيْنُ، وَالضَّادُ الْمَعْجَمَاتُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلْحَقُ مِنْ حُرُوفِ الْجُمْلِ، ثُمَّ أُنْتَقِلَ عَنْهُمْ إِلَى الْأَنْبَاءِ، وَاتَّصَلَ بِأَهْلِ الْحَيَّةِ، وَقَفَّأَ فِي الْعَرَبِ وَلَمْ يَنْتَشِرْ كُلُّ الْإِنْتِشَارِ إِلَى أَنْ كَانَ الْمَبْتُثُ .

وقيل إن نَفِيسًا وَنَصْرًا وَتِيًا وَدُومَةً بَنَى إِسْمَاعِيلُ وَضَعُوا كِتَابًا وَاحِدًا وَجَعَلُوهُ سَطْرًا وَاحِدًا مَوْصُولَ الْحُرُوفِ كُلِّهَا فَيُرْمَقُ، ثُمَّ فُزِقَ نَبْتُ وَهَمِيسٌ وَقِيْلَذَارٌ، وَقَرَفُوا الْحُرُوفَ وَجَعَلُوا الْأَشْبَاهَ وَالنَّظَائِرَ . وَعَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي قَوْمٌ مِنْ عِلَمَاءِ مِصْرَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ الْكُتُبَ الْعَرَبِيَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّضَرَ بْنِ كَاهَنَةَ، فَكَتَبَتْهُ الْعَرَبُ حِينَئِذٍ .

وقضية هذه المقالات أنها اصطلاحية .

وفي السيرة لأبى هشام: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ جَحْرِ بْنُ سَبِيلٍ عَلَيْهِ فِي الْمَتَامِ قَالَ: وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَكْتُبُونَ بِالْمُسْنَدِ سَمَّى بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَبِّدُونَهُ إِلَى هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا تَقْتَضِيهِ مِنْ كَلَامِ أَبِي عَمْرٍو النَّدَائِي: أَنَّ الْعَرَبِيَّ أَنْزَلَ عَلَى هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال السهيلي رحمه الله في "التعريف والإعلام" : والأصح ما روينا من طريق أبي عمر بن عبد البر رحمه الله يرضه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ" وهذا محتمل للتوقيف أيضا : بأن يكون إسماعيل علمها بالوحي ، وللاصطلاح : بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبَلِ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ . قال المدائني : حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المزني قال : سمعت الفراء يقول حدثني العمري أنه قيل لابن عباس من أين تعلم الهجاء والكتابة والشكل؟ قال علمناه من حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ؛ قيل : ومن أين علمه حرب بن أُمِيَّةَ ؟ قال : من طاري طرأ علينا من اليمن ، قيل : ومن أين علمه ذلك الطاري؟ قال : كانت ^(١) بالوحي لهود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الداني في كتاب "التنبيه على النظم والشكل" نحوه . وقيل أول ما ظهرت باليمن من قِبَلِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أُمِيَّةَ : حم أبي سفيان بن حرب ، وأنته من قِبَلِ رجل من أهل الحيرة ، قال أهل الحيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار ، ونرج إلى مكة ، وترجع الصهباء بنت حرب . وقيل إنه لما تعلم أبو سفيان بن حرب الخط من أبيه تعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سُفْيَانَ .

(١) في النص: [من كتيب الوحي] .

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدي بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربية قليلاً في الأوس والخزرج ، وكان يهودى من يهود ماسكة قد علمها فكان يعلمها الصبيان بقاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون ؛ منهم سعيد بن زُرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، يكتب الكتّاب جميعا العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيّد بن خضير ، ومعن بن عدي ، وأبو عيس بن كثير ، وأوس بن خولي ، وبشير بن سعد .

قال صاحب " الأبحاث الجميلة في شرح المقيلة " : وانلخ العربى هو المعروف الآن بالكوفى - ومنه استنبطت الأقلام التى هى الآن . وقد ذكر ابن الحسين في كتابه في قلم الثلث أن انلخ الكوفى فيه حنة أقلام مَرَّجُها إلى أصلين وهما التقوير والبسط .

فالقور هو المعبر عنه الآن بالآمين : وهو الذى تكون عراقاته وما في معناها منخضة منحلة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط : هو المعبر عنه الآن باليابس وهو مالا أنحساف وأنحطاط فيه كالحقيق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلام الموجودة الآن . ثم قد ذكر صاحب " إمامة المثنى " أن أول ما نقل انلخ العربى من الكوفى إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن في أواخر خلافة بنى أمية وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : على أن الكثير من كتّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مقله (رحمه الله تعالى) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط فإننا نجد من الكتّاب بخط الأتولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفى بل يتفسير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستفزة وإن كان هو إلى الكوفى أميل لقربه من قله عنه .

قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب": ويقال إن جودة الخط آتت إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحاك وإسحاق بن حماد، وكانا يخطان الجليل، وكأنه يريد الطومار أو قرياً منه .

قال صاحب "إعانة المشتري" وكان الضحاك في خلافة السفاح : أول خلفاء بني العباس، وإسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدى .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعني الشجري) عن إسحاق بن حماد الجليل وأخترع منه قلماً أخف منه سماه قلم الثلثين، وكان أخطأ أهل دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلماً سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجيلة": وأخذ يوسف أخو إبراهيم الشجري القلم الجليل عن إسحاق أيضاً، وأخترع منه قلماً أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذوالرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون، وأمر أن تحزب الكتب السلطانية به، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرأسمي . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات .

قال النحاس : ثم أخذ عن إبراهيم الشجري الأحول الثلثين والثلث، وأخترع منهما قلماً سماه قلم النصف، وقلماً أخف من الثلث سماه خفيف الثلث، وقلماً متصل الحروف ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سماه المسلسل، وقلماً سماه غبار الحيلة، وقلماً سماه خط المؤامرات، وقلماً سماه خط القصص، وقلماً مقصوعاً سماه الحوائج . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتهان، وكان عجيب البري للعلم، وكان وجه التعجب مقلماً في الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعني المعروف بأبي ذرجان مقلماً في خط النصف، وكان قلبه مستوي السنين، وكان يشق الطاء، والنظاء، والصاد، والضاد بعرض النصف، ويعطف

مثل يا، ويصل كل ياء من يساره إلى يمينه بمرض النصف لا يرى فيه اضطراب .
وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجل الكتاب خطأ في الثلث، وكان
أبن الزيات في أيام أبن طولون وزير المعتصم يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره،
وأنتهت رياسة الخط بمصر إلى طباطب المحرر جودة وإحكاما .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسبون أهل مصر على طباطب وأبن
عبد كان يعني كاتب الإنشاء لأبن طولون، ويقولون بمصر كاتب ومحرر ليس لأمر
المؤمنين بمدينة السلام مثلهما .

قلت : ثم أنهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثة إلى الوزير أبي علي محمد
أبن مقلة وأخيه أبي عبد الله .

قال صاحب "إعانة المشتى" : وولدا طريقة اخترعها وكتب في زمانها جماعة
فلم يقاربوها . وتفرد أبو عبد الله بالنسخ، والوزير أبو علي بالدرج، وكان الكمال
في ذلك للوزير، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه أنتشر الخط
في مشارق الأرض ومغاربها، وقه قول القائل :

سَبَقَ الدَّمَعُ فِي الْمَسِيرِ الْمَطَايَا * إِذْ رَوَى مِنْ أَحِبِّ عَنْهُ قُبْلَهُ
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْحَدِّ * وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ أَرَبُ مُقْلَهُ

وقول الآخر :

تَسْلَسَلُ دَمْعِي فَوْقَ خَدَيَّ أَطْطَارَا * وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَرَبُ مُقْلَهُ

ثم أخذ عن أبن مقلة محمد بن السمعاني، ومحمد بن أسد، ونهما أخذ الأستاذ
أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب، وهو الذي أكل قواعد الخط وعمها
وأخترع غالب الأعلام التي أسماها أبن مقلة، ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

(١) في النور . وأخترع عدة أعلام .

وَأَسْتَشَرَ الْكُتُبَ فَقَدْكَ سَالِقًا * فَجَرَتْ بِصَحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامِ
فَلَيْكَ مَوَدَّةِ النَّوَى وَجُوهَهَا * أَسْفًا عَلَيْكَ وَثُقَّتِ الْأَقْلَامُ

ومن أخذ عنه محمد بن عبد الملك، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيعة
المحدثمة الكتابة زينب الملقبة بشهدة ابنة الأبرى؛ وعنها أخذ أمين الدين ياقوت،
وعنه أخذ الولي الحمصي؛ وعليه كتب العفيف؛ وعن العفيف أخذ ولده الشيخ
عماد الدين، ويقال إنه كان كآبن البواب في زمانه. وعن الشيخ عماد الدين بن
العفيف أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي رقية محتسب الفسطاط، وهو ممن عاصرناه؛
وأخذ عنه شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن علي الزرقاوي المكتتب بالفسطاط،
وصنف مختصرا في قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه في صنعة الكتابة، أحسن فيه
الصنيع؛ وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري
محتسب مصر، ونظم في صنعة الخط ألفية وسمتها (بالناية الرمانية في الطريقة
الشعبانية) لم يسبق إلى مثلها؛ ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والحند؛
ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ.

قلت : وقد علم مما تقدم ذكره أن ألقاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثلث
وخفيف الثلث والمسلسل والنبار قديمة، وإن وقع في أنها كثير من الناس أنها
من غترعات آبن مقلة وآبن البواب فمن بعدهما.

الطرف الرابع

(في عدد الحروف، وجهة ابتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه أربع جمل)^(١)

الجملة الأولى

(في مطلق الحروف في جميع اللغات) :

وأعلم أن الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تبعدها عن خارجها، فحروف
السريانيين، والروم، والفرس، والصقل، والترك من أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة
وعشرين حرفاً، وحروف العبرانيين، واليونانيين، والقيط الأول، والهنود وغيرهم من
أثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين؛ فيوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد
في العربية كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللغات، ويكثر في الاستعمال
فيها ما لا يكثر في غيرها. فالحاء المهملة، والطاء المعجمة مما أفردت بها العرب
في لغاتها، وأختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات؛ والعين المهملة قليلة في كلام
بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة
ليست في الفارسية، والطاء المتلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية، والفاء ليست
في التركية.

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون في فقيه بقيه بالباء
الموحدة المشبهة القويّة.

الجملة الثانية

(في حروف العربية)

وأعلم أنا لما كنا بحمد الله أمة وسطاً خير أمة أخرجت للناس، وكان خير الأمور
أوسطاً، وكانت حروف اللغات ما بين أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وثلاثين كما

تقدم، كانت حروف الكلام العربي التي بها رُفِعَ القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً في اللفظ، متوسطة بين حروف الألفات، وهي ا ب ت ث إلى آخره، وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجى، ويسمى سبويه والخليل حروف العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التي يتركب منها الكلام العربى؛ وتسمى أيضا حروف المعجم، إما لأنها مقطعة لأصواتهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما ينقطع التقطع المعروف، أو تنقطع كلها أى تُشكّل إذا التقط قد يكون بمعنى الشكّل .
وقال بعض أهل اللغة : التقط بالسواد كمثل البناء عليها قطتان^(١)، يقال منه أعجمت الحروف، ومعناه حرف الخلط المعجم . وبعضهم يجعل المعجم مصدرا بمعنى الإجماع من أعجمت الشيء، إذا بيّنته فكأنها مبيّنة للكلام، وتكون الهمزة فى أعجمت للإزالة أى أزلت عجمته إما بقطعه أو بشكله .

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرى : وإذا اعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفاً (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية . والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركبا من حرفين فلا يعدّ حرفا مستقلا .

قال علماء الحرف : وجعلت عانية وعشرين حرفا على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .

قالوا : ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً وينيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بمنزلة المنازل الظاهرة : وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) أى المعجم التقط الخ كافى اللسان .

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان .

والهاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام،
والميم، والهاء، والواو، والياء المثناة تحت . تقول الألف والياء والحاء فتظهر اللام
في لفظك وكذلك في البواقي . وما يندغم منها أربعة عشر حرفاً أيضاً بعدد المنازل
القائبة : وهى التاء المثناة من فوق، والتاء المطئة، والدال المهملة، والدال المعجمة،
والراء، والزاى، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة،
والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والنون . تقول التاء، والتاء، والدال فتخفى في لفظك،
وكذلك في البواقي .

وقد تهم في خبر أبى ذر رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسمه
وعشرين حرفاً حده منها اللام ألف وهو الموجود في التصویر فلا يعول إلا عليه
إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجد في اللفظ دون الكتابة مستحسنة ومستحجة، تبلغ
بها الحروف العربية مائة وأربعين حرفاً، ولا يوجد ذلك في لغة أمة من الأمم، أضربنا
عن ذكرها لعدم تعلّقها بالخط الذى نحن بصدده، وباقه المستعان .

الجملة الثالثة

(في بيان جهة ابتداء الحروف)

وأعلم أن أصحاب الأقاليم آخضفوا باعتبار مقاصدهم في البداءة بالحروف .
فهم من يبدأ من اليمن إلى اليسار كالعرب واليبرانيين والمندود وأهل الطبيعة
والسريانيين، آخذوا فيه على سير الفلك من المشرق إلى المغرب، والمشرق عندهم بين
الفلك ويقال له مأخذ كورى، وقيل لأن فيه الاستمداد من الكبد إلى القلب .

وممنهم من يبدأ من اليسار إلى اليمين كالرومية واليونانية والقبطية ، وفن من الفارسية آخذاً فيه على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلى المشرق .
ويقال له مأخذ دوري ؛ وقيل لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد .

الجملة الرابعة

(في كيفية ترتيب الحروف)

وأعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ؛ وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يربطونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وأما أهل الغرب فإنهم يربطونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ي

وأما المزدوج فأهل الشرق يربطونه على هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلبن ، سعفص ، قرشت ، ثمخذ ، ضلفخ .

وأهل الغرب يربطونه على هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلبن ، سعفص ، قرشت ، ثمخذ ، ظلفش^(١) .

(١) كذا في الأصل والنص . ولعل الصواب ظلفش .

على أنه قد اختلف في كلمات أيجد هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلُّمها أم لا،
وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلُّمها .
وقد جاء أنها كانت تُعلَّم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويشهد لذلك
قول الأعرابي في أبياته :

أَتَيْتُ مُهَاجِرِينَ فَعَلُّونِي * ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَنَاصِرَاتٍ
وَحَطُّوْا إِلَى أَبَا جَادٍ وَقَالُوا * تَعْلَمُ مَعْقَصًا وَقُرَيْشَاتٍ

وقيل : إن أيجد، وهو ز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء ملوك مدائن، وإن كلمن
كان في زمن شُعيب عليه السلام، وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء
واضيبي الخط العربي على قولٍ والله أعلم .

الجملة الخامسة

(في كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها)

قد تقدّم أن الحروف العربية على تسع عشرة صورة : وهي صورة الألف،
وصورة الباء، والتاء، والثاء، وصورة الجيم، والحاء، والخاء، وصورة الدال، والنال، وصورة
الراء، والزاي، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء،
وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة
الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء،
وفرقوا بينها بالنقط كما سيأتي، وقصّبوا بذلك تقليل الصور للاختصار لأن ذلك
أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور . ثم ترجع الصور التسع عشرة
صورة^(١) بعد ذلك إلى خمس صور : وهي الألف والجيم والراء والنون والميم، ففي

(١) لله وصورة القاف ليم العدد ولاختلاف الصورتين في الرسم .

(٢) لله زائد من النسخ والصواب إسقاطه .

صورة الألف إحدى عشرة صورة ألف قائمة : وهى أ وسبع ألفات مسطوحة :
 وهى ب ت ث ، ك ل ي ، فكل هذه على صورة الألف غير أن فيها
 ما تكرر فيه صورة الألف : وهى الكاف واللام ، وألفان مبطوحتان : وهى ط ظ ؛
 وألف معطوفة : وهى لا ؛ وفى الجيم سبع صور جيم مُرفلة : وهى ج ح خ ،
 وجيان مخدوفتان وهما د ذ ، وجيان شاختتان وهما ع غ ؛ وفى الراء ثلاث
 صور وهى ز ر و ؛ وفى التون ست صور وهى ن س ش ص ض ق ؛
 وفى الميم صورتان وهما م ه .

الطرف الخامس

(فى تحسين الخط ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى الحث على تحسين الخط)

لاخفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصف بها الكاتب ، وأنه يرفع
 قدره عند الناس ، ويكون وسيلة إلى تفتح مقاصده ، وبلوغ مآربه ، مع ما ينضم إلى
 ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحصى كثرة .

وقد قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : "الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً".
 وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسان جسيماً وسيماً
 حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أنعم ، وإذا كان على ضد ذلك سُميتمته
 النفوس ، وبُغِثته القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، مليح الرصف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ولعل الساقط القاء فانها لم تذكر فى الصور الاتية .

مَفْتَحُ الْعُيُونِ، أَمْلَسَ الْمُتُونِ، كَثِيرَ الْأَسْلَافِ، قَلِيلَ الْأَخْتِلَافِ، هَسَّتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ،
وَأَشْتَهَتْهُ الْأَرْوَاحُ؛ حَتَّى إِنْ الْإِنْسَانَ لَيَقْرُوهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ كَلَامٌ دَنَى، وَمَعْنَى رَدَى،
مُسْتَرِيدًا مِنْهُ وَلَوْ كَثُرَ، مِنْ غَيْرِ سَامَةِ طَحَقَهُ؛ وَإِذَا كَانَ الْخَطُّ قَبِيحًا بِجَنَّةِ الْأَفْهَامِ،
وَلَفِظَتُهُ الْعُيُونُ وَالْأَفْكَارُ، وَسَمَّ قَارَنَهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ نَجَاتُهَا، وَمِنْ الْأَلْفَاظِ
غَرَابُهَا.

وَيَقَالُ: إِنْ الْخَطُّ مُوَازٍ لِلْقِرَاءَةِ، فَاجُودَ الْخَطِّ أَبْيَنُهُ، كَمَا أَنَّ أَجُودَ الْقِرَاءَةِ أَبْيَنُهَا؛
وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْخَطَّ الْحَسَنَ هُوَ الْبَيِّنُ الرَّائِي الْبَهَجَ. ثُمَّ قَدْ هَدَمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَصْلِ
وَضَعِ الْخَطِّ أَنَّ الْخَطَّ وَالْفَرْقَ يَتَقَا سَمَانَ فَضِيلَةِ الْبَيَانِ، وَيَشْتَرِكَانِ فِيهَا.

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ": وَلَمَّا كَانَ الْخَطُّ قَسِيًا لِلْفَرْقِ فِي الْبَيَانِ الَّذِي آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى
بِتَعْلِيمِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَجَبَ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُعْنِيَ بِأَمْرِ الْخَطِّ، وَيُرَاعِيَ فِي تَجْوِيدِهِ
وَتَصْحِيحِهِ، مَا يُرَاعِيهِ مِنْ تَهْنِيبِ الْفَرْقِ وَتَقْيِيحِهِ: لِيُدَلَّ عَلَى سُرْمَةِ وَهْولِهِ كَمَا يَدُلُّ
الْفَرْقُ الْبَلِغُ الْبَيِّنُ: لِأَنَّ الْخَطَّ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الْمَتَرَةِ الَّتِي لَا تُسَاوِي مِنْ
الشَّرَفِ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ فُضَائِلُهُ لِلْجِدِّ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ الْمُنْطِقَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّرَفِ فِي هَذَا
الْحَدِّ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ فُضَائِلُهُ لِلتَّامَّةِ لِمُنْطِقِ الْبَلِغِ اللَّسَنِ، دُونَ مَنْطِقِ الْعَبِي الْأَلَكَنِ؛
وَكَذَلِكَ سَائِرُ الصَّنَائِعِ الْفَاضِلَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا يَحْصُلُ فَضْلُهَا لِأَهْلِهَا دُونَ
الْمَبْتَدِئِ.

قَالَ: فَيُذْنِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يَهْدِمَ عَلَى تَهْنِيبِ خَطِّهِ وَتَجْوِيدِهِ شَيْئًا مِنْ آدَابِهِ
فَإِنَّ جُودَةَ الْخَطِّ أَوَّلُ الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَنْظُمُ بِمَحْصُولِهَا أَسْمَ الْكَاتِبَةِ، وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ
إِذَا حَازَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا. وَقَدْ دَخَلَ بِحُسْنِ الْخَطِّ فِي الصَّنَاعَةِ مَنْ إِذَا فَحَصَ عَنْ
مَقْدَارِ مَعْرِفَتِهِ وَجَبَ أَنْ تُقَرَّ الْكَاتِبَةُ عَنْ نَسَبِهِ إِلَيْهَا.

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الوضع الذي أصطلح عليه المجدون من الكتّاب . فقد قسم أهل الصناعة الخط إلى قسمين : محقق ومطلق .

فأما المحقق فما صحّت أشكاله وحروفه على اعتبارها مفردة .

قال في "موادّ البيان" : وهذا القسم هو الذي يستعمل في الأمور الجسيمة : كتكثيب العهود ، والإيجالات ، والتليكات التي تنقّي على الأعقاب ، والمكتابات الصادرة عن الملوك إلى الملوك ، الدالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المطلق فهو الذي تماخت حروفه وأتصل بعضها ببعض .

قال في "موادّ البيان" : وهو خط مولّد من المحقق ، يستعمل في تنفيذ ما لا يمكن تأخيرها من المكتبات المهمة والأمور العاتية . قال : ويجب أن يترنم الطريقة في كل واحد من الخطين ، ولا يخالط حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجملة الثانية

(في الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصّل إلى ذلك بأمور)

الأوّل^(١) — معرفة تشكيل الحروف

قال في "موادّ البيان" : وهو الأصل في أدب الخط : لأن الخط إنما يسمى جيداً إذا حسنت أشكال حروفه ، وإنما يسمى رديئاً إذا قبحّت أشكال حروفه . وحسن صور حروف الخط في العين شيء يحسن غاير الفظ العذب في السمع .

قال : والوجه في تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردة مبسوطة لتصح صورة كل حرف منها على حياها ، ثم يؤخذ في تقويمها مجموعة مركبة ، وأن يبدأ

(١) لم يذكره ولعله آكثى بما تقدم في الأدوات من حسن البراية والخبر والليقة وغير ذلك فنبه .

من المركَّب بالتائي والثلاثي، ثم بالرباعي، ثم بالخماسي، فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف المهرة في الخطوط، السارفين بأوضاعها ورسومها وأسمائها، فإن لكل خط من الخطوط قلباً من الأقسام يصلح لذلك الخط، وهذه الأقسام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءاً من صناعته لا يصنع به غيره، ولا يعزّل على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه، إذ لو كان ذلك كافياً لاستغنى في جميع الصنائع عن توقّف عليها. على أن كثيراً من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعاً دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحرّرين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخط على أصل يكون له أساس، فإذا فصلت أحواله أنكشف فساد كثير من حروفه.

الطرف السادس

(في قواعد تتعلق بالكتابة ،

لا يستغنى الكاتب المحيد عن معرفتها، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار محبتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف)

الألف

قال الوزير أبو علي بن مقالة : وهي شكل مركّب من خط متصّب، يجب أن يكون مستقيماً غير مائل إلى استلقاء ولا أنجاب . قال : وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر .

قال الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عن الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة ، وباقى الحروف متفرعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب " رسائل إخوان الصفا " فى رسالة المرسى ، عند ذكر حروف المعجم استطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمان قُط من قُط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثمن الطول .

والذى ذكره الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عن الدين بن عبد السلام : أنها مقدرة بست نقط .

والذى ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآخري فى ألفيته أنها مقدرة بسبع نقط ، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون ابتدؤها بنقطة وآخرها بسطيّة .

قال ابن مقلة : واعتبارها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألفات أو أربع ألفات فتجد فضاء ما بينها متساويا .

قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الألفات المخطوطة إلى جانبها مناسبات لها فى الطول متساويات الرؤوس والأذنان .

الباء

قال ابن مقلة : هى شكلٌ مرَّكبٌ من خطين : منتصبٍ ومنسطح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال ابن عبد السلام : ويكون المنتصب طوله بمقدار ثلث ألف خطّه . قال ويبدأ أوله بنقطة ، وكذلك آخره إن كان مُرَّسلا ، فإن كان معطوفاً فيُكَّن بين القلم

اليسرى، والمستدير فيه مثل المنتصب، ولكن يكون المنتصب أرفع من المستدير بتر يسير، وتكون السنة المبتدأ بها مترجمة في الطول على آخرها المعطوف .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن تزيد في أحد مئتي ألف فتصير لاما . وزاد ابن عبد السلام في إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب كلمة ألف بحيث يكون طول جمله كطول المنسطح لا أطول ولا أقصر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجري مجراه من يئة إلى يسة ، وكل ما كان كذلك فينبغي أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلا . ولا ينبغي أن التاء والتاء في معنى الباء في ذلك جميعه .

الحميم

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : مُتَكَبِّ ونصف دائرة، وقطرها مساوٍ للألف . وأبدل ابن عبد السلام المُتَكَبِّ بالمنسطح . ثم قال : والمنسطح كلتي ألف من خطه، وربما يكون أقص بقطعة . قال : ومساحة نصف الدائرة كألف ونصف ألف من قلم الكتابة، ورأسها يكون من يسة إلى يئة على استقامة هرياء، وكل ما كان كذلك ينبغي أن يمال برأس القلم فيه إلى اليئة قليلا، يبدأ أوله بسطيئة بالسّ اليمنى من القلم، وآخر تريحها بالسّ اليسرى منه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن تحط عن يمينها وشمالها خطين فلا تقص عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال ابن عبد السلام : وأعتبار صحة رأسها أن تكتبه من يسة إلى يئة على استقامة هرياء . قال : وحسنها أن تحفيضا من الجهة اليمنى قليلا، وميزانها أن تُسطر سطرًا وتأخذ عليه من يسة إلى يئة مقدار ثلثي ألف من قلم الكتابة، بحيث لا يرفع

أولها عن آخرها إلا يسيرا، ولا آخرها عن أولها بل تكون منسبكة فيه . وأعتبر
نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : ولْيَقْصِدْ أَنْ يَجْعَلَ رَأْسَ
الْجِمْ سَوَاءً أَخْذًا أَبْتَدَأَ الدَّائِرَةَ فِي جَسَدِ ثَلَاثِ الرُّؤُوسِ ، مَنْسَبِكَا فِيهِ ، بِحَيْثُ يَكُونُ
الْثَلَاثُ ضِلْعًا وَاحِدًا .

ولا ينبغي أن الحاء والخاء في معنى الجيم في جميع ما تقدم .

الدال

قال ابن مقلة : هي شَكْلُ مَرْكَبٍ مِنْ خَطَيْنِ : مَنْكَبٌ وَمَنْسَطَحٌ ، مَجْمُوعُهُمَا مَسَاوٍ
لِلْأَلْفِ . وَجَعَلَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ مِنْهَا شَكْلًا آخَرَ مَرْكَبًا مِنْ ثَلَاثَةِ خَطوطٍ : مَنْكَبٌ ،
وَمَنْسَطَحٌ ، وَمُسْتَدِيرٌ . وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ الدَّالَ الْمَجْمُوعَةَ . ثُمَّ قَالَ : فَالْمَنْكَبُ طَوْلُهُ بِمُقْدَارِ
نِصْفِ أَلْفِ خَطٍّ لِآخَرٍ ، وَكَذَلِكَ الْمَنْسَطَحُ . وَأَبْتَدَأَ أَوَّلًا بِنُقْطَةٍ ، وَآخَرَهَا إِنْ كَانَ
مُرْسَلًا بِقِطْعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا بِسِنِّ الْقَلَمِ الْيُسْرَى .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصل طرفيها بخط فتعده مثلثا متساوي الأضلاع .

ولا ينبغي أن الدال في معنى ما تقدم .

الراء

قال ابن مقلة : وهي شَكْلُ مَرْكَبٍ مِنْ خَطٍّ مَقْوَسٍ هُوَ رِيعُ الدَّائِرَةِ الَّتِي قُطِرَها
الْأَلْفُ وَفِي رَأْسِهِ سِتَّةٌ مَقْتَرَةٌ فِي الْفِكْرِ .

قال ابن عبد السلام : وتبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان مُرْسَلًا فبِسِنِّ الْقَلَمِ
الْيُمْنَى ، وَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا فبِسِنِّ الْيُسْرَى .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصلها بمثلها فتصير نصف دائرة .
ولا ينبغي أن الزاى في معناها .

السين

قال ابن مقلة : وهو شكل مركب من خمسة خطوط : متصّب ، ومقوّس ، ومتصّب ، ومقوّس ، ثم مقوّس .

قال ابن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سنّ منها إلى ثالث سنّ كُتِبَ ألف خطّه . قال : ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف من خطّه ، وإن كان مُرسلاً مساحة ألفين من خطّه . وطول كل سنّة مثل سدس ألف خطّه ، يبدأ أولها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلاً فبسنّ القلم اليمنى ، وإن كان معطوفاً فبسنّة اليسرى . قال : وإذا ابتدأت بالسنّة وطلعت إلى الثانية فخذ إلى الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها ، فإنك متى أخذت رأس سنّة من أسفلها صار أسفلها مصطحاً ، ويكون البياض الذى بين السنتان على السوية فى البياض .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها ببنى صحة رأسها أن يُمرّز بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئاً ولا تنقص .

ولا ينبغي أن حكم الشين أيضاً كذلك .

الصاد

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس ، ومنسطح ، ومقوّس .

قال ابن عبد السلام : وأبتداؤه بِسَطِيَّةٍ ، أما آتھاؤه فإن كان مرسلًا فبسنّ القلم
اليخني ، وإن كان معطوفاً فيسنه اليخري . قال : ومساحة رأس الصاد في الطول
كثني ألف خطه ، ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف الكناية ؛ وإن كان
مرسلًا فمساحة ألفين من قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن يجعلها مُرَّعةً قصير متساوية الزوايا في المقدار .
وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون أعلاها كراء معلقة ، والمنسطح
كباء ، والمقوس كنون ؛ ويكون رأس النون مُشرِّفاً على آخرها .
ولا يخفى أن الضاد كذلك .

الطاء

قال ابن عبد السلام : هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : متصنِّب ، ومقوس ،
ومنسطح ، يبدأ أوَّلُه بنقطة وآخره بنقطة . قال : ومساحة ضوِّ الطاء في الطول كثني
ألف خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأختبار (١) .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون المتصنِّب كالف من خطه
في الاتصاف والطول ، والمقوس كراء معلقة ، والمنسطح كباء مرسلية .
ولا يخفى أن حكم الطاء في ذلك كالطاء .

(١) يبايض في الأصل بقدر كلمة .

العين

قال ابن مقلة : وهى شكلٌ مركَّب من خطين : مقوَّس ومنسطح أحدهما نصف الدائرة .

وقال ابن عبد السلام : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوَّس ، ومنكب ،^(١) يبدأ أوله بشِطَّة ، وآخر تعريضها بسنّ القلم اليسرى ، والتعريضة نصف دائرة ، ومساحة القوس كألف وثلاث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثلث ألف خطه ، ويصوَّر من رأسها رأس صباد .

قال ابن مقلة : وأحبار صحتها كأحبار الجيم .

وقال ابن عبد السلام : أحبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلى منتهى تعريضها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون مدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفى أن العين فى الحكم كذلك .

الفاء

قال ابن مقلة : هى شكلٌ مركَّب من أربعة خطوط : منكب ، ومستقي ، ومتصَّب ، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : تبدأ أوله بنقطة وتأخذه على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستقي إلى أن تنتهى إلى قبالة المنسطح بحيث يصير كاللال المقلوبة ، ثم

(١) الله مقوسين . وفى الأصل تضييب إشارة إلى التوقف .

تأخذ من حيث انتهت إلى ألف تَلَصُّقٍ بالمنسطح فيبقى مثلثا متساوي الأضلاع،
مساحة ضوئه نقطة بمقدار سدس ألف خطه، ثم إن كان معطوفا ختمته بسن القلم،
وإن كان مرسلا فيقطعه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصل بالخط الثاني منها خطا فيصير مثلثا
قائم الزاوية .

القاف

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكب، ومستقي، ومقوس .
قال ابن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كراس القاء سواء
بجميع ما تقدم ، وإرسالها كالنون على ماسياتي ذكره ؛ فإن كان آخرها معطوفا فبسن القلم
اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسنة اليمنى . قال : ومساحة ضوئه القوس من أوله
إلى آخره إن كان معطوفا كألف قلم الكتابة ، وإن كان مرسلا فكألفين .
قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها كأخبار النون ، وماسياتي ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط : منكب، ومنسطح، وممشب،
ومنسطح .

وقال ابن عبد السلام : وهو مركب من أربعة خطوط ، مستقي، ومنسطح،
طوله مقدار ألف وثلاث ألف من قلم الكتابة ، ومنكب طوله مقدار ثلث ألف

من خطه ، ومنسطح : طوله مقدار ألفين من خطه ، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به ، فيصير فضاء ما بين ما اتصل بآخرها إلى رأس الكاف مثل الفضاء الذي بين المنسطحين .

قال : ولا يجوز أن تكتب غنسة إذا لم يتصل آخرها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب متصبة قائمة لا غير ، وتكتب إذا كانت متصبة كاللام على ما سيأتي بيانه .

قال : وتبدأ أولها بسطة فإذا انتهت إلى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحريكها .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن يفصل منها ياءان . قال ابن عبد السلام : يعني مستقيمة ومقلوبة .

اللام

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : متصبة ، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمتصبة ياء ، فإن كان معطوفاً فيسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرصلاً فيقطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تخرج من أولها إلى آخرها خطاً يماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التي تكتب عليها الباء .

الميم

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من أربعة خطوط : مُنْكَبٌّ، ومُسْتَطَقٌّ، ومُسَطَّعٌ، ومُقَوَّسٌ .

وقال ابن عبد السلام : مركب من أربعة خطوط : مُنْكَبٌّ، ومُقَوَّسٌ، ومستلق بتقويس، ومقوس كالراء يكون ربع دائرة؛ فإن كان آخرها متصباً فهو في الوضع والطول مثل ألف من خطه غير مائل إلى استلقاء ولا أنجاب، تبدأ أول الميم بشطية وآخرها بشطية .

قال : ومساحة ضوئها مثل سدس ألف خطها، وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة متصب إلى جهة اليمين .

قال ابن مقلة : وأعتبارها كأعتبار الهاء، وسيأتي .

النون

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من خطٍ مقوس، هو نصف الدائرة؛ وفيه ستة مقدرة في الفكر .

قال ابن عبد السلام : يبدأ أوله بنقطة، وآخره إن كان معطوفاً فيسنّ القلم اليسرى ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه، وإن كان مُرْسَلاً فيسنّ القلم اليمنى، ومساحة ضوئه أثنان من قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن يُوصَلَ بها مثلها فتكون دائرة .

الهـ

قال ابن مقلة : هي شكل مركّب من ثلاثة خطوط ، منكّب ، ومتصيّب ، ومقوّس .

وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط ، منكّب ، ومنسطح بترطيب ، ومستقلّ ، تبدأ أولها بنقطة وآخرها بإرسالة بسنّ القلم اليمنى ، طول المنكّب كطول نصف ألف من خطه ، وطول المنسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستقلّ كنصف ألف قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العليّتان كتساوى الزاويتين السفلاوين .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن تجعل ردتها في ثلثها ، فإذا كل وضعها فاجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العليّتان والزاويتان السفلتان .

الواو

قال ابن مقلة : هي شكل مركّب من ثلاثة خطوط : مستقلّ ، ومنكّب ، ومقوّس .

وقال ابن عبد السلام : هي مركّبة من أربعة خطوط ، رأسها كراس الفاء ، وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ، تبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفاً فيسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلًا فيسنّه اليمنى .

اللام ألف

قال ابن عبد السلام : هي شكل مركب من ثلاثة خطوط : منكبٌ، ومنسطح مستقيم، ومستلقٍ، وطول المنكب كطول ألف من قلم الكتابة، وطول المنسطح كثنى ألف الكتابة، وطول المستلق كطول ألف الكتابة تبدأ أول المنكب بنقطة، وكذلك المستلق .

قال : وأعتبر صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاثة خطوط : منكبٌ، ومستدير يقارب ألفا، ومستلق يقابل طرفه طرف المنكب .

الياء

قال ابن مقلة : شكل مركب من ثلاثة خطوط، مستلقٍ، ومنكبٌ، ومقوس .
قال ابن عبد السلام : وهي كالنون، وتبدأ أولها بسَطِيعةٍ رأسها كدال مقلوبة، طول المستلق منها كنصف ألف من خطه، وكذلك المنكب على ما هتتم في الدال .
قال : والمقوس إن كان ممطوفا فمباحته كألف من خطه وآخره بسن القلم اليسرى وإن كان مرسلا فمباحته كألفين من خطه وآخره بسن القلم اليمنى .

قال : ومنها نوع كزأس الكاف المستلق والمنسطح سواء .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأعتبر الواو .

الجملة الثانية

(في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وأنتهاؤها : من نقطة أو شظية أو غير ذلك)
أما الابتداء فعلى ثلاثة أضرب .

الضرب الأول

(ما يتبدأ بنقطة ، وهو تسع صور ^(١))

صورة الباء وأختها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة
اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السمرري في أرجوزته
في أوائل كتابات بيت واحد ، وهو قوله :

إِذَا بَدَأَتْ دَمَدَّ رَقَا سَنَاهَا « لَمَاشِقِي تَحَّ عَلَى هَوَاهَا

على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وهم فعد منها الفاء ، وليس كذلك
بل هي مما يتبدأ بحلقه ^(٢) على ما سيأتي ذكره .

الضرب الثاني

(ما يتبدأ بشظية ، وهو صور خمسة أحرف)

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

وقد جمعها السمرري في قوله : « خطي يصبك » .

وجعل آبن عبد السلام الخمسة

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

(١) لم يصل العدد إلى التسع ولعله سح وسقطت صورة الواو وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

(٢) لعله بحلقه .

وجمعها في قوله : "غَطَّ خَصَّكَ" والحق بها أشباهها .

الضرب الثالث

(ما يندأ بحلقة ^(١) . وهو صور أربعة أحرف) .

القاف ، والميم ، والواو ، والقاء

وقد جمعها السمرى في قوله : "قُمَّ وَفَّ" .

وأما الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأول

(ما ينتتم بقطة القلم . وهو صورة ستة أحرف)

الطاء ، والقاء ، والباء ، واللام ، والذال ، والكاف

وجمعها ابن عبد السلام في قوله : "دَبَّ طِفْلُكَ" ولا يخفى أن أخواتها في معناها .

الضرب الثاني

(ما ينتتم بشظية ؛ وهو صورة واحدة)

وهي الألف

الضرب الثالث

(ما يرسل في ختمه إرسالاً ، وهو صورة أحد عشر حرفاً ، وهي)

السين ، والراء ، والحاء ، والميم ، والنون ، والياء ،

والعين ، والقاف ، والصاد ، والواو ، والهاء .

يجمعها قولك "سرح منع وقصه".

الطرف السابع

(في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة؛ وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في كيفية إمساك القلم عند الكتابة ، ووضعه على الورق)

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث :
الوسطى والسبابة والإبهام على القلم ، وإلى ذلك يشير أبو تمام الطائي بقوله :
وسدت . ثلاث نواحي الثلاث الأنايل .

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

وذي عفاف رايح ساجد . أخو صلاح دمه جارٍ
ملزم الخمس لأوقاتها . مجتهد في طاعة الباري

يريد بالخمس الأصابع الخمس ، فإنه على سنبل المجاز ، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة ،
لأن بسط الأصابع يمكن الكتب معه من إدارة القلم ، ولا يتكئ على القلم إلا تكاء
الشديد المضعف له ، ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط ، لكن
يجعل اعتاده في ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتب فإنه يأخذ القلم فيتكئ على الخنصر ،
ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوسطى على البصر ، ويرفع السبابة على
القلم ، ويعمل الإبهام في دورانه وتحريكه .

قال ابن مقلة: ويكون إمساك القلم قُوْبُقِ الفتحة بمقدار عَرْضِ شعيرتين أو ثلاثٍ؛ وتكون أطراف الأصابع متساويةً حَوْلَ القلم لا تفضُل إحداهن على الأُخرى .

قال صاحب "الحلية": وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير متقبضة ليتمكن من إدارة القلم، ولا يدار حالة الاستعداد .

قال ابن العفیف: وعلى حسب تمكن الكاتب من إدارة قلمه وسرعة يده في الدَّوران يكون صفاء جوهر حروفه .

الجملة الثانية

(في كيفية الاستعداد، ووضع القلم على الدَّرَج)

أما الاستعداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة . وقد قال المفز العلاءي بن فضل الله : من لم يُحَسِّن الاستعداد وبرى القلم فليس من الكتابة في شيء .

قال الشيخ عماد الدين بن العفیف : وإذا مدَّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمسائه له حين الكتابة، ولا يديره للاستعداد : لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكلب، ويحرك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع، ومقاي عدل عن هذا ليقتنه المشقة في هزل نصبة الأصابع في كل مدة .

قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط .

ثم قال: وقبلما يترك علم هذا الفصل إلا العالم الخائق بهندسة الخط، مع ما يكون معه من الإثانة وحسن التأدية .

ومن كلام المقر العلاء بن فضل الله : ينبغي للكتاب أن لا يُكثر الاستعداد بل
يتمّ مدّاً متدلاً ، ولا يحرك اللبقة من مكانها ، ولا يثر بالقلم فإن ذلك عيب عند
الكتاب ، ولا يردّ القلم إلى اللبقة حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة
كثيراً ، بل إلى حدّ شقّه ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة : ليأمن تسويد أنامله ،
وليس فلك من خصال الكتاب .

وأما وضع القلم على النّرج فقال أبو علي بن مقلّة : ويجب أن يكون أقلّ ما يوضع
على النّرج موضع القطعة منكباً .

الجملة الثالثة

(في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التكرار)

قال محمد بن عمر المدائني : يستحب للكتاب في كتابته إذا فكر في حاجة أن يضع
القلم على أذنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن معاوية بن أبي سفيان
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبي صلى الله عليه وسلم
إعراضاً وضع القلم في فيه ، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : " يا معاوية
إذا كنت كاتباً فضّع القلم على أذنيك فإنه أذكرك وللمعلّي " .

وساق بسنده أيضاً إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر إليه وهو يكتب في حوائجه فقال له : " ضّع القلم على أذنيك فإنه أذكرك " .
وأخرج أيضاً من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكتبه " ضّع القلم على أذنيك يكنّ أذكرك " .

وفي رواية عن أنس : " كان معاوية كاتباً للنبي فرآه يوماً قد وضع القلم على الأرض
قال : يا معاوية إذا كتبت كتاباً فضّع القلم على أذنيك " .

وأخرج أيضا "أن كعبا كان يتحدث عند عائشة، فذكر إسرائيل فقال : له جناح بالمشرق وجناح بالغرب وجناح مُسرَّب به والقلم على أذنه فإذا نزل الوحي جرى القلم ودرست الملائكة . فقالت عائشة : هكذا سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ."

الطرف الثامن^(١)

(في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط ، وفيه ستُّ جمل)

الجملة الأولى

(في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة ، وما يجب أن يُراعى في كلِّ حرف)

قال السمرريُّ وأبْنُ عبد السلام وغيرهما : كلُّ خط متعصب يبنى أن يكون الاعتماد فيه من القلم على يمينه معاً ، وكل خط من يمينه إلى يساره يبنى أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلاً ، وكل خط من يساره إلى يمينه يبنى أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمين قليلاً ، وكل شظية يبنى أن تكون بالسَّنِّ اليميني من القلم ، وكل نُقْطة يبنى أن تكون بسنِّ القلم ، وكل تعيير كما في النون وعريقة الصاد يجب أن تكون بالسَّنِّ الأيمن وكل إرساله يجب أن تكون بسنِّ القلم اليميني ، وكل تعرج كما في عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنِّ القلم اليسري ، وكل ما أخذ فيه من يمينه إلى يساره كاللام ونحوها يبنى أن يمال فيه رأس القلم إلى اليسرة قليلاً ، وكل ما أخذ فيه من يساره إلى اليمين كراس الجيم يبنى أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمين قليلاً ، وكل خط متعصب فيجب أن يكون انتهاؤه لإرساله ، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدُس أَلِف خطها ، وقيل مثل سبعة ؛ وكل شظية في أول أو آخر مثل سُج أَلِف خطها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسَّنِّ الأيمن من القلم الألف واللام ورفعة الطاء والنون والباء والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة ، وأواخر التعريقات والمدات

(١) تخدم أن الأطراف سبعة فهذا زاد عليها .

وطبقة الصاد والضاد، ومدة السين والشين، ولا يسر الجيم وأختاها والذات وتدوير رؤوس النونات والقافات والماءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم .

قال : ويجب أن تكون المطات الطويلة بين القلم اليمنى مُشَطَّاةً ممالة، فتكون المطة من رأس شَطِيطِها، وأن تُكتب المذات القصيرة بحرف القلم، وإذا أبتدا بالذات وجب أن يبدار القلم على سِنَّه مثل مطة الطاء، وإذا وُصِلت المطة بحرف مثليها كُتِبَتْ بوجه القلم مثل مطة الفاء المفردة . ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة .

الجملة الثانية

(في تناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم)

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" : في رسالة الموسيقى منه : ينبغي لمن يرغب أن يكون خطه جيِّداً وما يكتبه صحيح التناسب، أن يجعل لذلك أصلاً يبنى عليه حروفه : ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه في حروفه، لا يتجاوز ولا يقصر دونه .

قال : ومثال ذلك في الخط العربي أن تخط ألفاً بأى قلم شئت، وتجعل غلظه الذى هو عرضُه مناسباً لطوله وهو الثمن : ليكون الطول مثل العرض ثمان مرَّات . ثم تجعل البركار على وسط الألف وتدير دائرة تحيط بالألف لا يخرج دورها عن طرفيه، فإن هذا الطريق والمسلك يؤصلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج في مقاييسك ما تقصده إلى شيء يخرج عن الألف وعن الدائرة التى تحيط به .

فالباء وأخواتها : كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحها إذا أضيفت إليه سنها مساوياً لطول الألف، فإن زاد سُمِج وإن قصر قُبِعَ ؛ ومقدار ارتفاع سنها وجميع

السفن التي في السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف . والجيم وأخواتها مقدار مدتها في الابتداء لا يقصر عن نصف طول الألف .

وكذلك يجري الأمر في العين، والنين، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والراء والزاي : كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة؛ والدال، والذال كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الأثناء الذي فيها وأعيدت إلى التسطيح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر عنه .

والسين، والشين : كل واحدة منهما يجب أن تكون سبتها إلى فوق مثل مقدار ثمن الألف، وفي العرض بمقدار نصفها، وفي التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف . والصاد، والضاد : مقدار عرض كل منهما في مدها مثل مقدار نصف الألف وتحت البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سلسها . وتعريقها إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء، والظاء : كل واحدة منهما في ناحية يجب أن يكون مقداره مثل مقدار جميع طول الألف وعرضه مثل نصف الألف .

والعين، والنين كل واحد منهما مقدار تقويسه في العرض مثل نصف الألف أو مثل الألف إذا أعيدت إلى التسطيح وأزيل تننيه، وتقويسه من أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

والهاء : يجب أن يكون تسطيحه إلى قدام بعد الطالع منه من فوق مثل طول الألف .

وسلطنة وحلقة الوار والميم كلها إلى فوق مثل سدس الألف، وإلى أسفل في الميم . والواو : مثل الراء . والقاف تقويسها من فوق ينبغي أن يكون مثل سدس طول الألف، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف : ينبغي أن يكون الأعلى منها طول الألف ، وفتحة الياء التي داخله مثل سدس طول الألف ؛ وتسطيعه من أسفل مثل أعلاه وكسره إلى فوق مثل نصف طول الألف .

واللام : يجب أن يكون مقدار طول قائمتها مثل الألف ، ومقتها إلى قدام مثل مقدار نصف الألف .

والتون : يجب أن يكون مقداره مثل نصف محيط الدائرة .
والياء : ينبغي أن يكون مبدؤه دالا مقلوبة لا يتجاوز مقدار طول الألف ، وتقرعها إلى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

ثم قال : وهذه المقادير وكية نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجه قوانين الهندسة والنسبة الفاضلة ، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكتّاب على غير ذلك .
وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط في ذلك على ما تختص به أوضاع الكتّاب يجب الوقوف عندها فقال : وأعلم أن مقادير الحروف متناسبة في كل خط من الخطوط .

وأعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته قد جعل طول الألف سبع قطع من كل قلم ، ومقتضاه أن يكون العرض سبع الطول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد في الطول ، وما كان ناقصا عن ذلك فهو ناقص ، وعلى ذلك تختلف المقادير المقررة بالألف من الحروف بتقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قدر سواء في كل خط ، وكذلك الباء وأختها ، والجيم وأختها .
والعين والغين قدر سواء ، والتون ، والصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والفاء ، والياء المُرْتَقَة قدر سواء ، والراء ، والزاي ، والميم ، والواو قدر سواء .

قال : وكل عرابة بدأت بها في كل خط ما فعلت مثلها يكون آتياؤها .
ثم قال : فتفهم هذا القدر فإنه كثيرا ما يختلط على الكتّاب الخُذّاق .
وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدها - ما هو متناسب الطول، وهو خمس صور : صورة الألف، وصورة اللام، وصورة القاف، وصورة التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك "الفتك" وفرع عليها أربع صور يجمعها قولك "بث مي" .

الثاني - ما يجوز منه من أول السطر إلى آخره وقصره ما شاء، ما لم يقصر عن طول الألف، وهي الباء، والكاف، واللام، ويجمعها قولك "بكل" ويتفرع عليها أخواتها .

الثالث - ما هو متناسب في المقدار، وهو ثلاث صور : يجمعها قولك "ذيل" .
والمنكب من الدال والمستلق منها والمنسطح والمستلق منها والمنكب من الياء بمقدار نصف ألف خطه .

الرابع - ما هو متناسب المساحة في حال العطف والإرسال : وهي القاف، والسين، والباء، والياء، والضاد، ويجمعها قولك "قبس يض" وكل أخت تُحقّق بأختها .

الخامس - ما هو متناسب في الإرسال وهو الميم، والواو، والزاي، ويجمعها قولك "موز" .

السادس - ما هو متناسب في الضوء والإرسال، وهو ست صور : هي القاف، والقاف، والفاء، والميم، والواو، واللام ألف، ويجمعها قولك "نقه مولا" .

السابع - ماهو متناسب ضوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ،
والعين وأخواتها .

الثامن - ماهو متناسب الرؤوس . وهو ثلاث : الصاد ، والعين ، والطاء ؛
ويجمعها قولك "صعط" ويصحق بها أخواتها .

التاسع - ماهو متناسب في التمرجج ، وهو العين ، والجيم ، ويجمعها قولك "عجج" .

الجملة الثالثة

(فيا يجب اعتياده لكل باخية من نواحي القلم)

قد هتدم في الكلام على راية القلم أن للقلم سناً أيمن وسناً أيسر ، وعرضاً ،
ووجهاً ، وصدرأ ؛ وأنه يتعين على الكاتب معرفة كل واحد منها : ليُعطي كل واحد
منها حقه في الموضع الذي يقتضيه الحال . وقد ذكر السمرري في أرجوزته جملة كلية
إذا عرفها الكاتب سهل عليه ما يرويه من ذلك فقال :

"إن كل خط منتصب الشكل كالأنف ونحوه يجب في كتابته الاعتماد على سنى
القلم جميعاً ، وكل خط أخذ من اليمين إلى اليسار يجب إمالة القلم فيه إلى اليسار شيئاً
يسيراً ، وكل خط أخذ من اليسار إلى اليمين يجب إمالة القلم فيه إلى اليمين شيئاً يسيراً ،
وكل نقطة يعتمد فيها بسننه جميعاً ، وكل شظية فإنها تُختلس بسننه اليمنى اختلاصاً ،
وكل إرساله تعقيب كما في الجيم والعين يُعتمد فيها على السن الأيسر ، وكل تقعر كما
في النون يكتب بالسن اليمنى " .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إن للسن الأيمن الألف واللام ، ورفعة الطاء ، والنون ، والباء ، والكاف إذا كانت
قائمة مبتدأة ، وأواخر التعريفات والمئات ، وطبقة خطه الصاد والضاد المستقلة ،
(٤)

وبه السين والشين. والسن الأيسر الجيم وأختيها، والردات، وتدوير رُوس الفاءات والمهائات والواوات والكافات المشقوقة^(١). ثم قال : وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون يصدر القلم .

الجملة الرابعة

(في الترويس)

والذي يدخله الترويس في الجملة الألف، والباء، والجيم، والهاء، والراء، والطاء، والكاف، واللام المجموعة، ويختلف الحال في ترويسها وعدمه باختلاف الأقلام .
فإنها ما يرؤس حتماً، ومنها ما يتمتع فيه الترويس، ومنها ما الكاتب فيه بالخيار بين الترويس وعدمه ، وربما رؤس بعض الحروف في بعض الأقلام ولم يرؤس في بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسبِعه . وذهب ياقوت^١ إلى الزيادة على ذلك؛ وترويس الباء وأختيها بقدر نقطتين؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها؛ وترويس الصاد والطاء كالسين؛ وترويس الفاء والقاف كالباء .
وسمى الكلام على ترويس كل حرف منها في قلمه إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

(فيما يطمس من الحروف ويفتح)

وهي المعبر عنها بالمعقد، وهي صورة الصاد، والطاء، والعين، والفاء، والقاف، والجيم والمهاء، والواو، واللام ألف المخففة، ويختلف الحال فيها :

(١) لعله المشكولة كما يغاد من الصرف من أشكال الحروف الآتية .

فمنها ما لا يُطَمَس بحال - وهى الصاد وأختها - والطاء وأختها - والعين المفردة والمبتدأ وأختها .

ومنها ما يطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى : العين المتوسطة ، والعين الأخيرة ؛ وكذلك الغين ، والفاء ، والقاف ، والميم - والهاء ، والواو ، واللام ألف .
وسياتى الكلام على ما يُطَمَس ويُنْحَرَف من ذلك فى كل قلم عند ذكره .
ثم الطمس فيما يُطَمَس منها على سبيل الجواز لاحتى سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلى قانون مضبوط ، وهو أنه كلما غُلِظَتِ الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل ، وكلما رُقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل ، وذلك أننا عدلنا عن الفتح إلى الطمس لأجل التلطيف .

الجملة السادسة

(فى ذكر الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء فى زماننا)

وسياتى فى المقالة الثالثة فى الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام : أن المقتر الشهابى بن فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام ، وهى : مختصر الطومار ، والثُلُث ، وخفيف الثُلُث ، والتوقيع ، والرقاع . مختصر الطومار لقطع البندائى الكامل ، والثُلُث لقطع الثلثين ، وخفيف الثلث لقطع النصف ، والتوقيع لقطع الثلث ، والرقاع لقطع المادة .

ويلحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثة أقلام أتر ، وهى : الطومار الكامل ، والمحقق ، والقُبَّار .

فالطومار : يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

والحقق : أَسْتَحْدِثْتُ كِتَابَهُ فِي طَعْرَاوَاتِ كُتُبِ الْقِسَابَاتِ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وَالْعَبَّارُ : يُكْتَبُ بِهِ بِطَائِقُ الْحَمَامِ وَالْمَلَطَفَاتِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا .
وَحَيْثُذُ فَيَكُونُ الْمُسْتَعْمَلُ بِدِيَوَانِ الْإِنْسَاءِ فِي الْجُمْلَةِ ثَمَانِيَةَ أَقْلَامٍ : الطُّومَارُ ،
وَمُخَصَّرُ الطُّومَارِ ، وَالثَّلْثُ ، وَخَفِيفُ الثَّلْثِ ، وَالتَّوْقِيعُ ، وَالرَّقَاعُ ، وَالْحَقِّقُ ، وَالْعَبَّارُ .
وَقَدْ اخْتَلَفَ الْكُتَّابُ فِي تَسْمِيَةِ قَلَمِ الثَّلْثِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَقْلَامِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى
الْكُتُوبِ كَالثَّلْثِينَ وَالتَّنْصِيفِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

المذهب الأول - ما نقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبي علي بن مقله
أن الأصل في ذلك أن يخط الكوفي أصلين من أربع عشرة طريقة ، هما لها
كالحاشيتين : وهما قلم الطومار : وهو قلم مسوط كله ليس فيه شيء مستدير .
قال : وكثيرا ما كُتِبَ بِهِ مَصَاحِفُ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ ؛ وَقَلَمُ خُبَارِ الْحِلْيَةِ : وهو قلم
مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم ؛ فالأقلام كلها تأخذ من المستقيمة والمستديرة
نسبا مختلفة ، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمي قلم الثلث ، وإن كان
فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمي قلم الثلثين ، وعلى ذلك اقتصر صاحب "منهاج
الإصابة" .

المذهب الثاني - ما ذهب إليه بعض الكُتَّابِ أن هذه الأقلام منسوبة من نسبة
قلم الطومار في المساحة ، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجل الأقلام مساحةً عَرْضُهُ
أربعٌ وعشرون شُعْرَةً من شعر البرذون كما سَيَأْتِي ، وَقَلَمُ الثَّلْثِ مِنْهُ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةٍ . وهو
ثمان شُعْرَاتٍ ، وَقَلَمُ النِّصْفِ بِمَقْدَارِ نِصْفِهِ ، وهو اثْنَا عَشْرَةَ شُعْرَةً ، وَقَلَمُ الثَّلْثَيْنِ
بِمَقْدَارِ ثَلَاثِيهِ : وهو ثَمَانٌ عَشْرَةَ شُعْرَةً . وإلى ذلك كان يذهب بعض مشايخ الكُتَّابِ
الذين أدركهم ، وعليه اقتصر المولى زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته .

وهذه صور حروف الأقلام السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوازمه وهي :
 الطومار، ومختصره، والثُلث، وخفيف الثُلث، والزقاع، والمحقق، والشبار في حالتى
 الأفراد والتركيب .

القلم الأول

(قلم الطومار بإضافة قلم إلى الطومار)

والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه في زماننا
 بالفرخة ؛ فاضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه . وقد تقدم أنه قلم جليل قدر
 الثُلاث مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر الرثون ؛ وبه كانت الخلفاء
 تكتب علاماتهم في الزين المتقدم في أيام نبي أمية فمن بعدهم .

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدورقي في مناقب عمر بن عبد العزيز : أن عمر بن
 عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت
 مال المسلمين ؛ وبالضرورة فلا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار ؛ وهذا دليل على
 أنه كان موجودا فيا قبله ، وأظنه من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان ، إذ
 هو أول من قهر أمور الخلافة ، ورتب أحوال الملك ، وبه استقرت كتابة ملوك
 الديار المصرية من لدن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون " وهلم جرا إلى زماننا .

قال صاحب "مناهج الإصابة" : ويكون من لب الجريد الاخضر ، ويؤخذ منه
 من أعلى الفتحة ما يسع رعوس الأثامل . قال : ويمكن أن يكون من القصب الفارسي .

قلت : والذي استقر عليه الحال في كتابة اليهود بالديار المصرية بقصب البوص
 الأبيض الغليظ الأنايب ؛ يفتى قصبه من جزائر الصعيد بالوجه القبلي ؛ وفي كل سنة

يُجهز بريدى بطلب هذه الأقلام من ولادة الوجه القليل، ويؤتى بها فتحفظ عند كاتب السرويرى منها ما يحتاج إليه (١) يوضع في دواته بقدر الحاجة .
قال في "منهاج الإصابة" : ولا بد فيه (١) بقدر ما يحتاج إليه في نسخ القلم الحبر في القراطاس .

وأعلم أن للحكّاب فيه طريقتين :

إحداهما - طريقة التثّ فتجرى الحال فيه على الميل إلى (١)

الثانية - طريقة المُحقّق فتجرى الحال فيه على الميل إلى (١) بطريقتين،
وكيفية تشكّل (١) والفاء والقاف فيه أوسطها بحده (١) مدوّرة
الياء (١) الأحرف كشله (١) الرابع أن يكون فيه صاد مدوّرة (١)
وكاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآتارى في ألفيته : (١) فيه الترويس
في الألف، والباء، والجيم، والدال (١) واللام والنون في الأفراد والتركيب عند
الابتداء وأنه (١) الطمس في شيء من عقده كالصاد، والطاء، والقاف،
والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة بحال، والمعنى فيه أن الطمس
لا يليق بالخط الجليل .

(١) وقع طمس بالحبر في هذه الصحيفة في مواضع .

وهذه صورة كتابة أسم السلطان في المكاتب والولايات وغيرها منسوباً للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب في جليل المكاتب

الحج محمد

صورة مايكيب في متوسطات المكاتب

والسبح

صورة ما يكتب في صفار المكاتب



وهذه صورة كتابة العلامة على المنشير للإقطاع لمن علامته
الله أملي ياء راجعة

للسلام

القلم الثاني

(قلم مختصر الطومار)

بإضافة قلم إلى مختصر، وربما قيل فيه مختصر الطومار بحذف المضاف. وهو الذى يكتب به فى قطع البغدادى الكامل.

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى أقيته : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطومار وبين قلم الثلثين، وحيث أن يكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرة من شعر البردقون وبين أربع وعشرين شعرة، والحاصل له على ذلك أن أعلى ما وضعوه من الأقلام المنسوبة لكثير من الكسور قلم الثلثين، وهو عرض ست عشرة شعرة؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار، لعبوا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار، فحين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل، فيكون ما بين عرض ثمان عشرة شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة.

ثم هذا القلم يجوز أن يكتب به على طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلى التقوير وعلى ذلك يكتب كتاب ديوان الإنشاء فى عهد الملوك عن الخلفاء، والمكتوبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق. ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقق فى الميل فى حروفه إلى البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطومار، وسيأتى ذكر شكل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويض وعدم الطمس على ما تقدم فى الطومار للوقوع به فى الجلالة وسعة مساحة العرض.

وهذه صـ

فلا تتركها

سورة كآبـه

سورة كآبـه

القلم الثالث

قلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث، ويقال فيه الثلث بمحذف المضاف وهو الذى يكتب به .
 فى قطع الثلثين .

وقد تَقَدَّمَ اختلاف الكُتَّاب فى نسبته هل هو باعتبار التقوير والبسط أو باعتبار أنه ثلث مساحة الطومار، من حيث إن عَرَض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر اليرقُون، وعرض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك؛ وقِطْعَة هذا القلم محزفة : لأنه يحتاج فيه إلى تسعيرات لانتأنى إلا بحرف القلم، وهو إلى التقوير أميل منه إلى البسط، بخلاف الأَقْطَع على ماسياتى ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى أَقْسِيَّة: أنه يروى فيه من الحروف الألف المفردة، والجيم وأختها، والطاء، والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة المبتدأة، وعَقْدُهُ من الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين وأختها، والفاء، والقاف، والميم، والماء، والواو، واللام أَلَف المحققة كلها مفتحة لا يميز فيها الطمس بحال .
 وهو على نوصين :

النوع الأول

(الثلث الثقيل)

وربما قيل فيه تهيل الثلث ، وهو المقترنة مساحته بثمان شعرات على ما تقدم ذكره ، وهذه صُورُهُ مفردة ومركبة .

الألف على ضربين مفردة ومركبة، فالمفردة على ثلاثة أنواع .

الأثر - الألف الملق

ا

وطريقه : أن تبدئ فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغتها
نزلت بعرض القلم إلى وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا في نزولك على السن العيني
حتى إذا بلغت شاكلة الألف أدركت القلم برفق حتى تحتته بحرفه .
الثاني - الشعر

ج

وطريقه : كالذي قبله إلا أنه إذا اجتث آخر الألف عطف ذنبها ويكون موصولا
بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .
الثالث - الحرف

س

وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به
مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدركت حرف القلم على ماضي من الشرط والمطلق
والشعر .

الضرب الثانى

(المركب مع غيره من الحروف)

ولا يكون إلا طرفاً أخيراً، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطبوعة يركب عليها
ولا تتركب، وطريقه أنك تصعد به بعد تمام الحرف الذى قبله بصدر القلم عكسا
لتزويك بالألف المحترف، فإذا بلغت هامة الألف وقفت بالقلم حتى يكون بمنزلة
راس الألف المحترف.

وكذلك يفعل فى اللام الطالع، وهذه صورته .

الطالع

الصورة الثانية

(صورة الباء)

وهى على ضريحت

الضرب الأول

المفردة

وهى ثلاثة أنواع : مجموعة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك فى ابتدائها فى الثلاث
الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بشعيرة على ما مضى من صفة الألف
المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة
منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتى إذا بلغت فتلة الباء وهى الإدانة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فتلّت القلم ومططت الباء بصدده ، حتى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، وتثرت بذلك برقى حتى ترفع ذنب الباء ، حتى يحىء رأسها فى نهاية الدقة .

المجموعة



وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ما تقدم ، إلا أنك إذا بلغت المكان الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفت فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرفة كتصريف القلم .

الموقوفة



وأما المبسوطة ^(١) :

المبسوطة



وأما المركبة ^(٢) : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما - أن يكون قبلها وبعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها . وإذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير كالنون ، والياء ، والتاء .

الثانى - أن لا يكون قبلها وبعدها مثلها ، فهى كإحدى الستات .

(١) لم يكلم عليها . (٢) هذا هو الضرب الثانى من ضربى الباء وهى المركبة .

وأما المتطرفة : فلها حالان أيضا .

أحدهما - أن تكون مبتدأة : وهي التي تكون في أول الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحترا من يمينك إلى يسارك ، وهي تصحب الجيم وأختها .
الثاني - أن تكون في آخر الكلمة ، وتكون مخدوفة الرأس للتركيب كراس السين المبسوطة ، وتكون صورة متمتها كصورة المفردة سواء في جميع أحوالها : في الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها .

مركبة مبسوطة

مركبة موقوفة

مركبة مجموعة



الصورة الثالثة

(صورة الجيم وما شاكلها)

وهي على أربعة أضرب : مرسلّة، ومسبّلة، ومجموعة، وملوّزة ؛
وأبتداء جميع الصور على وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخير الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جرا ، وإن شاء جعلها مشعّرة ، فإنها يبدأ فيها بصدر القلم ، وهو منسوب الأستاذ أبي الحسن ، والمشعّرة يُخطّفها بحرف القلم أو بصدره على ما مضى ؛ فإذا بلغت جبهتها أدت بحفرت بوجه القلم ، وأنت في الجزة بالخيار : إن شئت جئت بها على خط مستقيم ، وإن شئت ربطتها شيئا يسيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا خيرا : إن شئت رجعت في الخط الذي جئت فيه ، وإن شئت رجعت في خط تحته يلاصقه بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدت القلم على تحريفه فزلت بعرضه حتى إذا بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازي

لجبهتها، كما لا يجوز أن يخرج طرف ذنبها عن الخط الموازي لققاها، حتى لو نصب عليها خطوطا لتاسبت أعاليها أسافلها، وهذه صورتها .

مفردة مرسلّة



وأما المسبلة : فإنها كالمرسلّة في الصورة والصفة ، والفرق بينهما أنك في المرسلّة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه ، أسبلت ذنبها ، وهذه صورتها .

مفردة مسبلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلّة أيضا في جميع أوصافها ويزيد عليها أنك إذا وقفت بها على ماضئ من صفة المرسلّة رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ، وهذه صورتها .

مفردة مجموعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف ، وطريقها أن تبدأ بمرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر ، فإذا بلغت جبهة الجيم ، جررت بوجه القلم حرة مبطنة حتى يصير البياض الأوسط لوزة محققة ترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم ، وهذه صورتها .

بعضة مركبة ملوزة

ح

وزاد المتأخرون صورة أخرى تسمى الزقاء ، وصورتها أنك تبدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة ، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من ققط الخط ، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدم ذكره على الثلاث حالات المتقدمة في الباب ، وهي المرسلّة والمسبلة ، والمجموعة ، وهذه صورتها .

زقاء مجموعة

ح

زقاء مسبلة

ح

زقاء مرسلّة

ح

وزاد المتأخرون صُوراً أخرى في التركيب: وهى ثلاث: أولى، ووسطى، وأخيرة .
أما الأولى : فأبتداء العمل فيها كابتداء العمل في الثلاث حالات الأول، ثم تكمل
بالحرف الذى تريد، وهذه صورتها .

مركبة مبتداء محققة

حم

وتارة تكون ملوزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالدال، واللام،
واللام ألف، وقد صورتها مع الألف فتقاس على ما عداها .

وهذه صورتها مع اللام	وهذه صورتها مع اللام ألف	وهذه صورتها مع الدال
مركبة مبتداء ملوزة	مركبة مبتداء ملوزة	مركبة مبتداء ملوزة
مع شبه الألف	مع شبه الألف	مع شبه الألف

حل حلا حد

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل في المبتداء المحققة المركبة كما تقدم ولكن
بغير ترويس، وهذه صورتها .

مركبة متوسطة محققة

ح

وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعمل في الثلاث حالات الأول : المرسلة ، والمسبلة ،
والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذه صورتها .

مركبة مختمة بمجموعة

مركبة مختمة مسبلة

مركبة مختمة مرسلة



الصورة الرابعة

(صورة الثال وأختها)

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها صورة واحدة ، وهي شكل مُثلَّث على زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جميعا يسيرا ،
وهذه صورتها :

مفردة



الضرب الثانى

المركبة

ولها أربعة أشكال : مجموعة ، وبسطة ، ومخطوفة ، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفعها بعد فراغك من الحرف الذى قبلها ، ولك فى ذلك مذهبان :

أحدهما - مذهب الوزير أبى على بن مقلة^(١) .

والثانى - مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البواب ، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط بلاصق الخط الذى صعدت به وبظهر القطعة فى الانتهاء ، وتأتى بالعراقة على شكل عراقة النبال المفردة فى الجمع ، وهذه صورتها :

مجموعة مركبة

د

وأما المبسطة : فحكما فى جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت فى المبسطة إلى العراقة وقتلتها ، أرسلت العراقة بعرض القلم ، وهذه صورتها :

مركبة مبسطة

د

(١) لم يبين طريقه ولعله سقط من قلم النسخ قرو .

وأما المخطوفة : فهي كالمجموعة أيضا، إلا أنك تخطفها بحرف القلم وتختتمها بأدق ما تقدر عليه من النعافة، وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

وأما المقطوفة : فهي كاللمخطوفة، إلا أنك بعد الفتلة تُبقي لما دُنباً صغيراً بحرف القلم وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة

الصورة الخامسة

(صورة الراء وأختها)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها ثلاثة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومقوّرة؛ وأبتدأوها في جميع الصور على وجهين .

أحدهما - أن تبدأ من قفاها صاعداً إلى هامتها ثم تزل إلى وجهها .

والثاني - أن تبدأ بها حتماً من رأسها، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها . فاما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء بقدر ربحها ، ثم تدير القلم وتبدأ في العرافة بصدر القلم ، ويكون تزيك إياها أكثر صبا من الباء المفردة قليلا ، فإذا عرفت مثلى ما نزلت به أولا على خط الاستواء ثرت يذك بالقلم إلى فوق وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون ختمها بسن القلم اليمنى ، وهذه صورتها :

مفردة مجموعة



واما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، وترسل ما عرفت منها على ما تقدم في الدال المجموعة وتقص منها النسبة الأخيرة ، وتحد طرفها ، وهذه صورتها :

مفردة مبسوطة



وأما المقورة : فطريقها أن تنزل بأقل مما ذكرناه شيئا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفردة مقورة



الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مخطوفة، ومقطوفة، وبراء، ومدغمة .

فأما المخطوفة : فهي كاللقورة في الصورة، غير أن عراقيتها بحرف القلم؛ وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

س

وأما المقطوفة : فإنك تُبقي لها ذنباً صغيراً؛ وهذه صورتها :

مركبة مقورة

س

وأما البراء : فإنك تقطفها من الثلاثين فتصذف ثلثاً وتأتي بها مستدقة الطرف ، وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة

عس

وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتصح بعد المد، وسميت مدغمة مجازاً وإلا فالحرف الذي قبلها هو الذي يدغم فيها، لكنهم لما حنفوا منها شيئاً لقبوها بذلك، ولا بُدَّ أن تحذف من الحرف الذي قبلها شيئاً من آخره وتحذف منها شيئاً من أولها.

وَتُبَيِّنُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ وَهَذِهِ صُورَتُهَا :

مركبة مدغمة



الصورة السادسة

(صورة السين)

وَحَكَمُهَا فِي حَالَتِي الْإِنْفِرَادِ وَالْتَرَكِبِ سَوَاءٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا فِي حَالَةِ الْإِنْفِرَادِ تَزِيدُ الْعِرَاقَةَ ، وَعِرَاقَتُهَا كَعِرَاقَةِ النَّونِ فِي الْجَمْعِ وَالْبَسْطِ وَالتَّقْوِيرِ ؛ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي حَرْفِ النَّونِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ هِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ : مُحَقَّقةٌ ، وَمُعَلَّقةٌ .

فَأَمَّا الْمُحَقَّقةُ : فَهِيَ شَكْلَانِ ، مُظْهَرَةٌ ، وَمُدْغَمَةٌ .

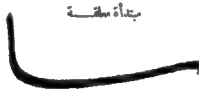
فَطَرِيقُ الْمُظْهَرَةِ أَنْ تَبْدَأَ بِوَجْهِ الْقَلَمِ ثُمَّ تَدِيرِ الْقَلَمَ مِنْهَا إِلَى أَخْتِهَا لِإِدَارَةِ لَطِيفَةِ فِي نِهَآيَةِ الْأَعْدَالِ ، وَتَحْتَدِ رَأْسَ الثَّانِيَةِ بِسَنِّ الْقَلَمِ الْيَمْنِيِّ ، وَيَكُونُ الَّذِي بَيْنَ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ أَقْلَ مَا بَيْنَ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَمْتَاذِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْبَوَّابِ . وَإِذَا كَانَ قَبْلَهَا شَيْءٌ يَكُونُ سَوَاءً ، وَيَحْجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصْتَرَةً مَقْلُوبَةً ؛ وَهَذِهِ صِفَتُهَا :

محقة مظهرة



وأما المعلقة : فصقتها أنك تحذف السين حذفاً وتقيم جزءاً مقامها، وتبدأها بوجه القلم عاملاً إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولى أن تكون محقة، ولا بد من جزأ فوق المعلقة تقطت أولم تنقط، وهذه صورتها :



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعزاة، وقيل إنها لم ترف خط أبين البواب إلا مفردة .

الصورة السابعة

(صورة الصاد)

والكلام في عراققتها كالكلام في عراقفة السين : من الجمع، والبسط، والتقوير، وسيأتي الكلام على ذلك في حرف النون .

نعم لا تكون عراققتها إلا حديدة الطرف في جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهي تقارب التلويزة . وللتاس فيها مذهبان : الأول إظهار مبدأ الصاد تحت رأس العرافة، والآخر إخفاؤه، وفي كلا المنهيين لا بد من ظهور رأسها شيئاً يسيراً . فإن كانت متوسطة، فيكون رأسها مجرف القلم

محدد الطرف . وإن كانت مفردة أو متطرفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم .
وإذا ركبت على خط قبلها ، لا يكون خطا على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ؛
وهذه صورتها :

بمجموعة

ص

الصورة الثامنة

(صورة الطاء وأختها)

وهي ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحققة

فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها على صورة الألف المطلق . فإذا وفيت به ،
رجعت طالما من لقاء ذنب الألف حتى تقارب شاكلته ، فترجع إلى يمينك ، فتركب
عليه شكلا على صورة اللوزة ، وتخرج ذنب اللوزة من تحت الألف وتقف عليه
بمرض القلم فتظهر القطعة ؛ وهذه صفتها .

مفردة موقوفة

ط

وأما المرسلة : فهي على نحو ما تقدم في الموقوفة غير أن الجذرة السفلى هاهنا مبطنة ،
وفي الموقوفة على خط مستقيم ؛ وهذه صفتها .

مفردة مرسلة

ط

وقد اختلف الكُتّاب في رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون على طرف اللوْزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخي عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها ؟ بحضرة جماعة من الكُتّاب، فقال : تُكْتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمد لله الذى أتى على جليد الأرض من مَحْمِنُ صفة الخط بمثل هذا الضبط . فلما أردت الانصراف أشار إلى أنى أجلس فجلست حتى أنصرف القوم، فقال : قد كنت سألت عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرضت من الطاء فاحذف رأس الياء والصق قفا الياء بذنب الطاء، ثم تممها على منحك في الياء أى شئت، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوْزة الطاء بقيت في نهاية الصلحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا في نهاية الكال .

قال الشيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسها في آخر اللوْزة، ولا يكون مربجا على ظهرها لانه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما الحقيقة : فإنك تبدأ فيها على صورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام على ذلك في حرف اللام إن شاء الله تعالى .

وأكثر ما تستعمل هذه الطاء إذا كانت مشعرة بألف قبلها وألف بعدها فتستحسن؛ وهذه صفتها .

متوسطة بين قائمين

طا

وأعلم أنه لا يَدُ للطاء من مَدَّة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نقصان، ويجوز في طَرَف هذه المدة الجمع وعدمه، وكلا المنهيين حسن .

الصورة التاسعة

(صورة العين وأختها، ولها حالان)

الحال الأول : أن لا تكون متصلة بما قبلها، وهى على نوعين : مَلَوَّزة، ومَرَكَّبة .
 أما المَلَوَّزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم في غاية اللقطة، حتى إذا وصلت إلى هامتها، كُنَّت إدارة قلبك فصرت عاملا بوجهه إلى قَمَحْمُودِ العين
 فتصير على صورة اللوزة ؛ وتكون هذه العين قبل الهاء المدغمة ؛ وهذه صفتها .

ملوَّزة

ع

وتكون أيضا قبل هاء الرفع ؛ وهذه صورتها .

ملوَّزة مع هاء الرفع

عه

وأما المركبة : فهي مركبة من راين محققة ومعلقة ، وأبتداؤها على ما تهتم في الملوَّزة ؛ غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأدرت القَمَحْمُودِ، نزلت على خط مستقيم أو قريب من الاستقامة . والذي وجد بخط الأستاذ أبي الحسن بن البواب على

الاستقامة ؛ وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالآلف واللام وما جرى
تجراهما ؛ وهذه صفتها .

مركبة ونظية

ع

وكثيرٌ من الكُتّاب يخلطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يرقون من
الآلف إلى العين جزة مبطنة يجعلونها عالية العين ، وهي مستحسنة ، ولا بد لها من
ألف قبلها وحرف طالع بعدها ؛ وهذه صفتها .

مردودة ومشكولة

هـ

الحال الثاني : أن يكون قبلها شيء متصل بها ، وتسمى المربعة ؛ وهي على
نوعين : متورة ، ومطموسة .

فأما المتورة : وتسمى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذي قبلها أتبعته
خطا محذوبا مبطنا إلى يسارك بصدر القلم ، ثم حررت عالية العين بوجه القلم ثم على
الجزء الأولى جرة شاقضها مثلها في القدر والمساحة بقطع الخط الأول ، ثم إن
كانت معرفة عرفت . وإن كانت غير ذلك انتبتها ما بعدها .

وعلاصة صحتها أن تلمس البياض الذي في وسطها فإن تسابت زواياه فهو في غاية الصحة وقد تم تركيبها ، وإلا فحُرِّحْ حتى يصبح ما رسم ؛ وهذه صفتها .

مرسمة مفتوحة

عد

وأما المطمومة ، وتسمى المعلقة ولا تكون إلا في قلم التوقعات والرقاع ، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة ، وهذه صورتها .

معلقة مطمومة

عد

ثم إن كانت معزقة مفردة أو مركبة ، فالعراقة على ثلاثة أنواع : مسبلة ، ومرسلة ، ومجموعة ، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة ، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القمحة ، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه ، غير زائد عليه ولا ناقص عنه . وكان الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله يقول : " المرء على ترك شيء مما يعمله أقدر منه على تكلف شيء لم يسته " ويأمر الطلبة بإخراج ذنَب العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها .

مفردة مسبلة

ع

وأما المرسلّة : فإنك تأتي بالعراقة نصف دائرة محققة ، وتأمل فيها من المسامحة ما وصف في المسبلة والمسبلة تكون حديدية الطرف ، والمرسلّة يجوز فيها التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ؛ وهذه صورة التحديد ، وهذه صورة الوقف .

مفردة مرسلّة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلّة أيضا في جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وقّيت بها على ما مضى من صفة المرسلّة ، رددت دَئِبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ؛ وهذه صفتها .

مفردة مجموعة



الصورة العاشرة

(صورة الفاء)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلى ثلاثة أقسام : مجموعة، وبسطة، وموقوفة. وقد تنقسم الكلام على هذه العراقات في حرف الباء، فأخفى عن إعادته هنا، وهذه صفة العراقات الثلاث.



وأما المركبة : فإنها تكون مقلوبة ، وذلك أن يياضها يكون الحاذ منه في ملتقى الخطين اللذين يتقاطعان في ذهابها ورجوعها، ويكون عرضة عند هامتها ؛ وهذه صفة المتوسطة .

متوسطة



الصورة الحادية عشرة

(صورة القاف)

وهي على ضربين أيضا : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عمودها حكم النون، وستأق، غير أنها تكون مفردة مبسطة وهي مستحسنة بخلاف النون ؛ وهذه صفتها .

مفردة مبسطة



وأما المركبة : فإنها كالفاء في جميع ما تنقسم، فلا حاجة إلى تمثيلها .

الصورة الثانية عشرة

(صورة الكاف)

وهي على ثلاثة أنواع : مبسطة ، ومشكولة ، ومعزاة .

ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسطة : فتكون مفردة ومركبة ، وإفرادها قليل ، والمركبة منها موضعها
الابتداءات والوسط ، ولا تكون طرفا أخيرا بحال ، وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم
من رأسها حتى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتقتل على هذا المنحاج إلى المطة
السفلى ، ويمطها بصدر القلم وتقط ذنبها ، وتوثى في عاليتها أن تكون على خط مستقيم
لتجعلها قابلا للطة السفلى ، وأعتبر صحتها باعتبار اليأس الذى فى وسطها إذا استقام
استقامت ، وهذه صورتها فى الإفراد ، والتركيب ، والابتداء :

متوسطة مبسطة

مبتدأة مبسطة

مفردة مبسطة

ك ك ك

وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ، وموضعها الابتداءات والوسط ، ولا تنفرد
البتة ، وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بالـ ف أو لام تيننت ولا يخرج الحرف
الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلا لأن الكاف المبسطة والمشكولة لا يمحوز

أن يأتي بعدهما مئة، وإنما سميت مشكولة للجزء التي عليها، وهذه صورتها في الابتداء وفي الوسط .

متوسطة مشكولة

بشدة مشكولة

ك ك

· وأما المعزاة : فلا تكون إلا طرفاً أخيراً وهي في الصورة والشبه كاللام المطقة، والفرق بين اللام والكاف المعزاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط، والمبسوط من اللام كالقائم فيها، وهذه الكاف لا تجمع أبداً، فإن موضعها أواخر السطور، وهذه صفتها .

مفردة مسرأة

ل

الصورة الثالثة عشرة

(صورة اللام)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على نوعين : مجموعة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من قضاها على نحو ما وصف في الألف المطلق لأن الألف واللام يحران على نظام واحد في كل خط لأنهما صاحبان، كالباء والياء، وكالحاء والخاء، وكالعين والنين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرفت اللام عراقية أكثر حُلُورا من الباء، وجمعت ذنبها كما تَقْتِم في حرف الراء، وهذه صفتها .

مطلقة

مجموعة



الضرب الثانى

المركبة

وهى على قسمين : محقة، ومبتدأة معلقة .

فاما المبتدأة المحققة : فهى كالمرسلة غير أنها مخنوفة الملة لأجل التركيب ؛
وهذه صفتها .

مبتدأة محقة

ل

وأما المبتدأة المعلقة : فنقول فيها بعرض القلم ما خلا من يمينك إلى يسارك ، وهى
تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف وهى الجيم ، والحاء ، والخاء ؛ ويكون مبتدؤها
يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة ؛ وهذه صفتها :

مبتدأة معلقة

لح

الصورة الرابعة عشرة

(صورة الميم)

وهي على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومبسلة، ومبسوطة، ومفتولة .

الضرب الأول

المحققة

وهي على نوعين : مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام؛ وصفتها إذا أردت وضعها^(١) أنك إذا صرت إلى آخر الحرف الذي تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر يجواره طالعا فيه، ثم تعزق كتعريق الميم المعلقة؛ وهذه صفتها .

مبتدأة محققة

وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا انتهى من الجرف الذي قبل هذه الميم، يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة؛ وهذه صفتها .

محققة غضة

(٢)

وأما المحققة غير المبتدأة :

(١) في العبارة غمي. يظهر للأمل . (٢) سقط الكلام طحا من النسخة .

الضرب الثاني

المعلقة

وهي على نوصين، مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لا تحسن إلا مشعرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل
الالف ؛ وهذه صفتها .

ملقة مبتدأة

ما

وأما المعلقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالهسمة على مذهب الخليل.

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطاة ، رجعت بالميم في الخط الذي جئت
فيه ، حتى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لثلاثي . متافرة ؛ فإذا وصلت إلى
جبهة الميم ، عرقتها على ما رسم في الزاء المجموعة والمقورة والمبسوطة والمخطوفة .

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البواب لا يفردها ؛ وهذه صفتها .

ملقة مختمة

مر

وأما المعالقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كابتداء المحققة ، فإذا بلغت قتلها أصبحت
مَنَّتْهَا بِقَافِهَا ، والأولى أن تكون مطموسة ، فإذا بلغت جبهتها عَرَّقت كتعريق الراء
المُدَّعَمَة ، لا يستعمل فيها غير ذلك ؛ وهذه صفتها .
مطقة مبتدأة



الضرب الثالث

المُسَبَّلَة

ولا بأس بتركيبها وأفرادها ، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسبلت حراقة
كهَيْثَةِ الألف . لَأَمَى من فوق ، وتكون حديدة الطرف ؛ وهذه صفتها .
مركبة مفردة مسبلة



الضرب الرابع

المبسوطة

وهي كالمحققة ، وهي مفردة ؛ وهذه صفتها .
مبسوطة



الضرب الخامس

المفتولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الخنّاق. وبعض الكتاب يميزها مع غير الهاء، والأول أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تهوَس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوّست، ثم تدبر الميم عن يمينك وتردُّ إلى يسارك شكلا مدورا، وتعرفها على ما تقدّم في العلقمة والتحفة؛ وهذه صفتها .

مفتولة



الصورة الخامسة عشرة

(صورة النون)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على أربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسّطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطٍّ مستقيم . فإذا نزلت منها بقدر ما ياتزل من الباء وبلغت الفتلة، أدبرت القلم برفق من الفتلة بصدر القلم،

ثم تصوير العراقة جمعا بصدر القلم ، حتى إذا بلغت ذنبا ختمت بحرف القلم ، وهذه صفتها .

مفردة مجموعة



وأما المقصورة : فإنها تكون كنصف دائرة ، ويكون ذنبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه ، ويجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا ، وذلك قليل ، وهذه صفتها .

مفردة مقصورة



وأما المبسوطة : فأكثر ما تكون متطوطة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك إذا نزلت على ما وصف في المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلى العراقة ، جعلتها قطعة قوس من دائرة عظيمة ، حتى يكون فيها تطبين يسير ، وتختمها بحرف القلم ، ولا يجوز في شيء من مبسوطات العراقة أن يكون مرغوبا ، ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطرف ، وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وأما المدغمة : فإنها لا تنفرد البتة ، ولا تحسن إلا مع ثلاثة أحرف ، مع الميم وهي كثيرة المؤاخاة لها ، ومع الكاف ومع العين .

وكان بعض الكتاب يأبى إدغام النون ويكرهه ، إلا الاستاذ أبا الحسن بن البواب .

ولا يتقدم هذه النون من سائر الحروف إلا ثلاثة أحرف : الميم المعلقة من سائر الميمات، والعين المتوزة : وهى الصادية من أشكال العين خاصة، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف، صيبت النون صيباً فى عرض اللام المتبدأة المعلقة، فإذا صيبت ثلثها، ختمت العرقة على ما رسم فى الرأ المدغمة وعرقة الميم المدغمة؛ وهذه صورها :

مدغمة مع العين

مدغمة مع الكاف

مدغمة مع الميم



الصورة السادسة عشرة

(صورة الهاء)

وهى على صريين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهى على نوعين : معزاة، ومركبة

فأما المعزاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها مميلة إلى ذات اليمين شيئاً يسيراً، ثم تقفل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها، ثم تصعد بمثل ما كنت أنكدرت به من وجهها إلى قفاها؛ وهذه صفتها .

صورة



وأما المركبة : فهي في الصورة قريبة من المَعَزَة إلى صدرها ؛ فإذا بلغت صدرها وأنت طالع إلى وجهها، رفضته برض القلم وأخرجت وجه الهاء إلى قفاها؛ والكاتب يخير بين التقليل والتكثير في ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محدباً وهذه صفتها :

مركبة



وإنما سميت مُرْكَبَة وإن كانت مفردة مجازاً لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركب كيفاً وقع في المصطلح المختلط بغيره .

الضرب الثاني

المركبة

وهي على قسمين

القسم الأول

المشقوقة

وهي على ستة أنواع : ملوزة، ووجه الهر، ومشقوقة طولا،

ومشقوقة عرضاً، ومختلطة، ومدعمة

فأما الملوزة : فتكون مبتدأة، ومتوسطة؛ ولا تتأخر بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الهاء المفردة، ثم تدير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذي آبتدأت منه أدت إلى يمينك أيضاً حتى يصير مركز نصف دائرة محقة لطيفة بصدر القلم، وتقف عليها وقفة خفيفة، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذي آبتدأت منه أولاً، فيصير رأس الهاء حاقاً في النهاية .

ومذهب الأستاذ أبي الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل
بجزء يسير، وهذه صفتها .

مقورة



وإن كانت متوسطة : فهي غير مستحسنة إلا قبل الألف ، وطريقها على ما تقدم
ولها حكم : وهو أنك تجيء بالخط الذي قبلها حتى يشقها متصلا بالألف ، حتى لو
طرحت الهاء لا تفصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا .
ويكون هذا العمل في كل حرف يقع معها ، وهذه صفتها .

مقورة مستديرة



وأما وجه الهر : فتكون أيضا مبتدأة ، ومتوسطة ، ولا يجوز تأخيرها . وطريقها
في الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل التزل شينا قليلا ، ثم ترقها
عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة ، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين ، فإذا بلغت
المكان الذي ابتدأت منه تكففتها طولا حذرا من أن يقع فيها حوّل ، وهو أن يكون
أحد شقيها أوسع من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم . .

وهذه صورتها في الابتداء

وجه المر

وهذه صورتها في التوسط

وجه المتوسط

هـ

وأما المشقوقة طولا: فإنها لا تكون إلا متوسطة؛ ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها؛ ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها؛ وطريقها كطريق وجه المر، ويقتربان في القاعدة فتكون قاعدتها مستديرة، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها؛ وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الماء صارت اللام متصلة بما بعدها كأنما زيدت الماء عليها؛ وهذه صفتها .

مشقوقة طولا.

هـ

وأما المشقوقة عرضا: فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا؛ وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة، أدت الماء فلصقت بوجه اللام وشقت الماء عرضا، ولا بد من مئة لطيفة تكون بعدها؛ وهذه صفتها .

مشقوقة عرضا

هـ

وأما المختلطة: فإنها لا تكون إلا مبتدأة، ويكون بعدها من الحروف حروف المد واللين: وهى الألف، والواو، والياء؛ وهى مطموسة؛ وهذه صفتها.

مخطئة

ى

وأما المدغمة: فلا تكون إلا متوسطة؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صعدت فى خط بلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير ونزى يكون بينهما؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا؛ ويتوشح فيها الترطيب: وهو شدة الاستنارات، ففى كان العمل فيها يابساً كان رديها؛ وهذه صورتها:

مدغمة

فها

القسم الثاني

ما يقع في آخر الكلمة وهي على نوعين

هاء الرِّدْف، والمُخَفَّاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها طلعت فيه
بصدر القلم ، ثم نزلت في الخط الذي صعدت فيه .
هذا مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ومذهب الوزير أبي علي بن مقالة أن تترك في خط يلاصق الخط الذي صعدت
فيه ، وكلاهما مستحسن ، فإذا بلغت ثلثي ما صعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه
الماء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة ؛ وهذه صفتها :

مردوفة

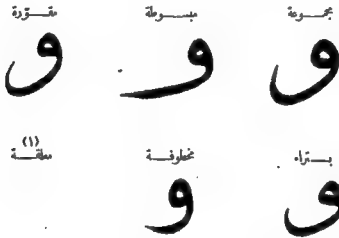
وأما المُخَفَّاة : فأكثر ما تصحب الحروف القصَّار ، وهي بين ألق ؛ وطريقها أنك
إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدوت منه إلى الماء إدارة لطيفة مهللة ، ثم تأتي
بنصف راء مدغمة حليدة الطَّرف مخطوفة ؛ وهذه صفتها :

مخطوفة

الصورة السابعة عشرة

(صورة الواو)

ونظيرها في التركيب الفاء، وفي الأفراد القاف، لكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقورة، وقراء، وعظوفية، ويكون ذلك في الأفراد والتركيب .
وكان بعض الكتاب يجعلها مائلة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد ختم أن الراء والزاي، والميم، والواو قدر سواء في كل خط .



الصورة الثامنة عشرة

(صورة اللام ألف)

ولها ثلاث صور : عقيقة، وعظفة، ووراقية

فأما العقيقة : فلا تكون إلا مفردة ولا يجوز تركيبها بحال، وطريقها أن تبدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تقفل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع القلم

(١) لم يمنع لها رسماً في الأصل .

وقد بَطُنَتْ قلبك فصيرت بطنه مما على يمينك وظهره عن يسارك ؛ ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء في الطول والألتواء والقلْظ والنَّحَافَة ؛ ويكون ما بينهما كواحد منهما ؛ وتكون القاصدة على هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقلوبة ؛ وهذه صورتها :

محقة مفردة



وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحسن جيد . وصورتها في التركيب كصورتها في الإفراد ؛ وطريقها أن تأتي بلام معلقة على ما تقدم في اللام المعلقة في حرف اللام ، ثم ترمى عليها ألفا مُعَوَّجَةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذي لا مست به الحرف الذي قبل اللام إن كانت مركبة ؛ وهذه صفتها :

مخففة مركبة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا ؛ وهذه صورتها في الإفراد :



وأما الوراقية : فإنها كالمحقة ، فإذا كتبت اللام ركت عليها الألف وأخرجتها عنها ، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادة الزوايا ، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا في قلم
النسخ وما شاكله وفي قلم المحقق وماشابهه ؛ وهذه صفتها :

وراقية

لا

الصورة التاسعة عشرة
(صورة الياء)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول
المفردة

وهي على ثلاثة أنواع : مجموعة، ومقورة، وبسولة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها
أيضا دالا مستوية، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة، وعلامة صحتها أن تكون
الدالان صحيحتين كما تقسم . وإذا ركبت خطأ من ذنبها إلى صدرها، صار صادًا
جيدة ؛ وهذه صفتها :

مفردة مجموعة

ى

وأما المقصورة : فيبدؤها كبده المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرفت نصف دائرة ؛ ويكون ذنبها يحاذي صدرها ؛ وتكون حديدة الطرف ؛ ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع ؛ ويكون رأسها موزونا على صدرها ، لا يحاوزها ، سواء أشردت أو تركبت ؛ وهذه صورتها :

مقصورة



وأما المبسوطة : فعلى ما تقدم في المقصورة ؛ وتغارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهللة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ؛ وهذه صورتها :

مبسوطة



الضرب الثاني

المركبة

وهي على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكهما حكم الباء ، والتاء ، والنون ؛ وما شابهها .

وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور ، محقة ، وراجعة ، ومعلقة .

فاما المحققة : فعلى ما تقدم أولا ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

محقة

في

وأما الراجعة : فتختص ببعض الكلم دون بعض : كالقاف ، واللام ، وهى مع الفاء أكثر استعمالا .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنته شيئا يسيرا وجئت برأس كراس الياء ، ويكون فيها شيء من تبطين ، ثم تجزئ القلم إلى ذات اليمين جزء معتدلة فى التكيف ، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثم تمر وأنت مديرك لقلبك حتى تحتسها بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعة

و

وأما المعلقة : فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلة ؛ وهذه صفتها :

معلقة

و

النوع الثاني

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذى يكتب به فى قطع النصف، وصورة كصورة
الثلث التميل المتقدمة الذكر لاختلاف، إلا أنه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه
بتريسير.

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ : والفرق بينه وبين الثلث الثقيل
أن الثقيل تكون متصباته وبسوطاته قدر سبع نقط على ما فى قلمه، على ما تقدم،
والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط . فإن قصص عن ذلك قليلا،
سمى القلم اللؤلؤى .

القلم الرابع

قلم التوقيع

بإضافة قلم إلى التوقيع، سمي بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور
القصاص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات
بجذف المضاف إليه . ثم هو على نوعين .

النوع الأول

قلم التوقيع المطلق

وهو الذى يكتب به فى قطع الثلث، وقد تقدم أن أول من اخترعه يوسف أخو
إبراهيم الشجرى، وأن ذا الرياستين : الفضل بن هارون أعجب به، وأمر أن تحرق الكتابة
السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياستى، ولعله إنما سمي الرياستى لما تقدم من
اختصاص الكتب السلطانية به أخذًا من الرياسته وقواعد حروفه وأوضاعه
فى الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه فى أمور .

أحدها - أن قَطَّته إلى التدوير أميل ، بخلاف الثلث فإن قَطَّته إلى التحريف أميل . وذلك أن التوقيع أمتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث ، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلى التحريف .

الثاني - أن حروفه إلى التدوير أميل من الثلث ، وإن كان في الثلث ميل إلى التدوير فإنه لا يبلغ في ذلك مبلغ التوقيع .
قال لي الشيخ عبد الرحمن المكتَّب^(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون في سطره تقویرما على نسبة تقویر حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان في ألفيته : وتكون متصباته مرقوسة كما في الثلث .
قال لي الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المكتَّب : ويجوز ترك الترويس في بعض حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآتاري : ويخبر فيه بين طمس والفتح في العين المتوسطة ، والقاء ، والقاف ، والميم ، والواو ، وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآتاري : ويختص من الحروف الزائدة على الثلث ، بالراء المقصورة ، والراء البتراء ، والراء المخطوفة ، والواو المقصورة ، والواو البتراء ، والواو المخطوفة ، والعين البتراء ، وسبأتي ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) قال في الصلاح الجوهري : والمكتَّب القى يمل الكتابة ، قال الحسن : كان الحجاج مكنيا بالطاقف بنى معها . وفي الصباح كتبت التلام تكتيبا عليه الكتابة . [فيه لغتان] .

حرف الألف

مركب

ا

محرف

ا

شمر

ا

مطلق

ا

الباء

مبسوطة

ب

موقوفة

ب

بجمجمة

ب

مركبة مبتدأة . مركبة منوطة

ب

مدخلة مبسوطة

ب

مدخلة بجمجمة

ب

مركبة مبسوطة

عب

مركبة موقوفة

ف

الجيم

مجموعة

ج

مسبلة

ح

مرسلة

ح

رقاء مفردة بمجموعة

ح

رقاء مقصورة مسبلة

ح

رقاء مفردة مرسلة

ح

مركبة متوسطة

ح

رقاء مبتدأة

ح

مركبة مبتدأة ملوزة

ح

مجموعة

ح

مركبة مسبلة

ح

مركبة مختلفة مرسلة

ح

الذال

مركبة بمجموعة	مخطئة	مفردة بمجموعة
عد	د	ر
مركبة مشعرة	مركبة مخطوطة	مركبة مخطئة
هد	ح	ع

الراء

مفردة مبسوطة	مخطوطة	مفردة
ر	ر	ر
مركبة مدخنة	مركبة مبسوطة	مفردة مدخنة
عر	حر	ر
مركبة بمجموعة	مفردة بمجموعة	
صهر	ر	

السين

مبسوطة

مجموعة

مخسوة

س س س

مخسوة

متوسطة

مبتدأة مركبة

ساحس عس

مفردة معلقة

مطرقة مجزئة

مطرقة مبسوطة

عس عس س

مركبة متوسطة معلقة

مركبة مطرقة معلقة

عس حسا

الصاد

مجموعة

مجموعة

مبسطة

ص ص ص

مبتدئة

متوسطة

منتهية

صا صص صر

مجموعة

مبسطة

فص فص

الطاء

مفردة

مفردة

مركبة

ط ط طا

مبتدأة مبسوطة

متوسطة لقائين

متوسطة المبسوطين

طسمر لطا سطر

طرقة موقوفة

طرقة مرسة

وط وطر

العين

مرسة

مسلة

مجموعة

نظية ينهاما نصب

ع ع ع عا

نظية ينهاما هو في حكم المنصب

صادية ينهاما مبسوط

صادية ينهاما هو في حكم المبسوط

ع ع ع ع ع

بترأ

موقفة مع التركيب

موقفة مع الإفراد

ماح صالكا حح

الفاء

مبسوطة

موقفة

مجموطة

ف ف ف

مطرفة مجموطة

متوسطة

مبتدئة

ف ف ف

مطرفة مبسوطة

مطرفة موقفة

ف ف

القاف

مفردة مجزئة مشبوبة مبسوطة

ف و ف

مطرقة مجزئة مطرقة مشبوبة مطرقة مبسوطة

ح ح ح

الكاف

مجموعة مفردة موقوفة مبسوطة

ك ك ك

مشكولة مبتدئة متوسطة مبسوطة مبتدئة

كا مكلف كبا

وسطى

مشكولة مبتدأة

متوسطة

ملكه كه هكه

مبسوطة

منزول طما

مشكولة مركبة مطرقة مجوفة يزدورها

اسك عل حل

اللام

يخرج منها قاف على طريقة باقوت

يخرج منها نون على رأى ابن التّواب

مفردة

ل لى لى

مطرقة

وسطى

مركبة مبتدأة

أوباء على طريقة ابن المقفّيف

لى لى لى لى

الميم

مبتداء مشعرة

مبلة

مخطوطة

مفردة

ما م مر

مبلة مأثورة

مبلة مقصورة

وسلى مخففة

وسلى مقصورة

ما ما م م

النون

وسلى

مخطوطة

مدغمة

مفردة مجزومة

ن ن ن

مخطوطة

مدغمة

مركبة مطرقة مجزومة

ن ن ن

الهاء

مركبة مبتدأة متحركة

هـ

مفردة مطلق

هـ

مفردة مركبة

هـ

طالعة

هـ

مدغمة

هـ

وجه المبر

هـ

مرددة

هـ

محققة

هـ

محدودة

هـ

مختلطة

هـ

الواو

بجموعة مشددة . مبسوطة مشددة . بجموعة مفتوحة . مبسوطة مفتوحة

و و و و

بترأ.

مخالفة متزعة

مفردة

و و و

اللام الف

مخالفة مفردة . مرشوفة مفردة . مركبة محقة

لا لا حلا علا

الياء

واحدة

مركبة

مفردة مجزئة

ي ي ي

مركبة مبسوطة

مركبة مجزئة

مبتدأ ثم وسطى

لك فى فى

مركبة مبسوطة

مركبة مخسوفة

مركبة واحدة

ي فى ي

القلم الخامس من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرقاع

بإضافة قلم إلى الرقاع، والمعنى أنه يُكْتَبُ به في الرقاع جمع رُقْعَةٍ، والمراد الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها، وهو الذي يكتب به في قطع العادة من المنصوري والقطع الصغير، وصوره في الأصل كصُور حروف الثلث والرقاع في الأفراد والتركيب إلا أنه يخالفه في أمور :

أحدها - أن قلبه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذي هو أميل إلى التنوير من قلم الثلث .

قال لي الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المَكْتُبُ : وتكون جَفْة قلبه في الرأية أقصر من الثلث والتوقيع .

الثاني - أن حروفه تكون أدق وألطف من حروف التوقيع .

الثالث - أن الترويس لا يقع في منتصباته من الألف المفردة وأجواتها إلا في القليل، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع - أنه يغلب فيه الطمس في العين المتوسطة والأخيرة، وكذلك الفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة. أما الصاد والطاء والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون إلا مفتوحة .

الخامس - أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد في غيره كالألف المائلة إلى جهة اليمين على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وهذه صورة حروفه إفراداً وتركيباً

الألف

طالع	محرّك	مُحرّك	مطلق
ا	ا	ا	ا

الباء

مفردة موقوفة	مدخمة مبسوطة	مدخمة مفردة	بجملة
ب	ب	ب	ب

طريقة مبسوطة	طريقة موقوفة	مبتدأ، ومطى، طريقة
ب	ب	ب

الجيم

مفردة مرسلّة

ح

مفردة مسبّلة

ح

مفردة مجمّعة

ح

رققاء مرسلّة

ح

رققاء مجمّعة

ح

رققاء مسبّلة

ح

مبتدأة

حسد

وسطى

ح

وسطى مفتوحة

حس

مطرقة مرسلّة

ح

مطرقة مسبّلة

ح

مطرقة مجمّعة

ح

الدال

مفردة مجموعة	خطئة	خطوة	شوة
د	د	د	هد

مركبة مجموعة	خطئة	خطوة
مد	عد	مد

الراء

مجموعة	مقورة	خطوة	بتراء
ر	ر	ر	ر

عققة	مدغمة	مقلوة
ر	ر	ر

السين

بجمرة

س

مقلنة

س

غخرة

س

مبومة

س

مبناة

سلعة

متروسة

عسعه

مطرقة بجمرة

س

مبومة

س

غخرة

س

مقلنة

س

الصاد

مجموعة

ص

مبسوطة

ص

مجموعة

ص

مطرفة مجموعة

ص

وسطى مركبة

صم

أولى مركبة

صد

مطرفة مخسوفة

ص

مطرفة مبسوطة

ص

الطاء

مبتداء

طا

موقوفة

ط

مرسلة

ط

طرقة موقوفة

عط

طرقة مرسلة

حط

متوسطة

حط

العين

بجمجمة

ع

مسجلة

ع

مرسلة

ع

متوسطة

عد

مبتداء مادية

عه

مبتداء نظرية

عا

طرقة جمجمة

مع

طرقة مسجلة

مع

طرقة مرسلة

مع

الفاء

مبسطة

و

موقوفة

و

مجموعة

و

مطرفة بمجموعة

مف

وسطى

معد

أعلى مركبة

و

مطرفة بمبسطة

مم

مطرفة موقوفة

مم

القاف

مفردة بمجمة مخوفة مبسوطة مبتدأة

و و و و

مترسلة مطرقة بمجمة مطرقة مخوفة مبسوطة

حف و و و

الكاف

بجمة موقوفة مبسوطة أولًا مشكولة

ل ل ل ل

رسلي مشكولة مركبة بمجمة

لر لمنكم لك

أولى مبسوطة

مركبة مقصورة

مركبة موقوفة

كه

ك

ك

مشكولة مفصولة

مشكولة موصولة

وسطى مبسوطة

لكم كار كار

اللام

مبتدئة

مبسوطة

موقوفة

مفردة مجزعة

له

ل

ل

ل

موقوفة

مبسوطة

مجزعة مركبة

متوسطة

ل

ل

ل

لله

الميم

مفردة معلقة	خطوة	مسجلة	بتقاء مركبة
مر	مر	م	م
وسلى مركبة	طارقة معلقة	مركبة مسجلة	مختمة محقة
ممر	حمر	عم	فمر

النون

مجموعة	مدغمة بمجموعة	مدغمة مبسوطة
ن	ن	ن
مبسوطة	مخسوة	أولاً . وسلى
ن	ن	ن
مجموعة مركبة	مبسوطة مركبة	مخسوة مركبة
ن	ن	ن

الهاء

مدغمة	وجه الم	مدغمة	مريضة
هـ	هـ	هـ	هـ

محدودة	مشقوقة طولا	مأوزة	مشقوقة عرضا
هـ	هـ	هـ	هـ

مخطئة	مخطئة	محققة
هـ	هـ	هـ

الواو

مبسطة مركبة	مجموعة مركبة	مبسطة مفردة	مجموعة مفردة
عو	فو	و	و

اللام ألف

مرفلة

فلا

محفقة مركبة

حلا

مفردة

لا

محفقة مفردة

لا

الياء

مبتدأه . وسطي

د

راجعة

د

غسوة

ي

بجموعة مفردة

ي

راجعة مركبة مختمة

د

مخسوة مركبة

ي

بجموعة مركبة

ي

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والعكس جميعا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الْأَمَامُ الْإِمَامُ الْإِمَامُ الْإِمَامُ الْإِمَامُ
المعروف قروض والايا مردول ومن توافي
عرفه ضاع ومرقاها الحق قهر واللام

الجملة السابعة

(في كتابة البسملة)

وبيان صورتها في كل قلم من الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء؛ وفيها مهيئان

المهيئ الأول

(في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام؛ وتشتمل على ثمان قواعد)

الأولى - قد أتفق الكُتَّابُ على تطويل باء البسملة أكثر مما يطول به غيرها من الباءات التي في أول الكلمة . وسيأتى في الكلام على البسملة في المقالة الثالثة أنها طولت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تكرارها . وقد ذكر بعض المصنفين في الخط أنها تكون بمقدار ثلثي ألف ذلك الخط .

وقد سبق القول على مقدار ألف كل قلم فيما تقدم؛ وهذا أصل يرتب عليه غيره .

الثانية - في البسملة خمس أخوات متساويات في الطول والانتصاب، وهي :

ألف الجلالة، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم؛ فكُلُّها على

مقدار واحد، وقد سبق .

الثالثة - فيها أربع أخوات متساويات في الإرسال: وهى إرسالَةُ الميم من بسم وإرسالَةُ الراء من الرحمن، وإرسالَةُ الراء من الرحيم، وإرسالَةُ الميم من الرحيم .

الرابعة - فيها أربع أخوات متساويات في الضوء: وهى الميم من بسم، والهاء من الجلالة، والميم من الرحمن، والميم من الرحيم .

الخامسة - فيها أختان متساويتان في المقدار: وهما الحاء من الرحمن، والحاء من الرحيم .

السادسة - أن لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للباء في أول البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفض من اللام الأولى يسير .

قال ابن عبد السلام في الميزان: بحيث لا يُدْرَكُ ذلك إلا بتأمل . والذي ذكره الشيخ زين الدين الآتاري أنها تكون ناقصة عنها بقدر قُطْعة (يعنى من قُطْع قلم كاتبها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانية مثل ذلك .

السابعة - أن يكون بين الباء والسين قدر رُبْع ألف من ألفات ذلك الخط، وتكون أسنان السين منها محتدة الأطراف، ويكون الأخذ من كل سِنٍّ من أسنان السين من أعلاها آخذاً فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل، بحيث إنه إذا خُطَّ خط من أسفل الباء إلى آخر السين لاصق بهما وقع على الاستقامة، ثم يأخذ في مد السين من أعلى السنة الأخيرة منها، وتكون أصابعه مقمنة وتُكْوَى يده مؤنثة .

الثامنة - أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية منخسفاً لمستويا، وكذلك ما بين اللام الثانية والهاء .

المهيح الثاني

(في بيان صورة البسملة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل
في ديوان الإنشاء)

قد تقدم أن الأقلام التي تستعمل في ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتِبَتْ سِتُّ أَقْلَامٍ
وهي : مختصر الطومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف، وقلم التوقيعات، وقلم الرِّقَاع،
وقلم القُبَار، إلا أن المحقق لا بسملة له في ديوان الإنشاء : لأنه إنما يستعمل في كتابة
طغرة كتاب على ما تقدم ذكره، ولا بسملة للطغرة .

اللهم إلا أن يكتب مختصر الطومار على طريقة المحقق فتكتب البسملة فيه على
طريقة المحقق، بخلاف قلم القُبَار فإنه يكتب به في المُلَطَّفَات فيحتاج إلى البسملة
وإن لم يحتاج إليها في البطائق .

وتعلم أن صورة البسملة في هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل
قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الرائية صورا من ذلك : وأنا أوردتها على
الترتيب إن شاء الله تعالى .

فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدم أن طريقته طريقة الطومار، وأن الطومار
تارة يُكتَب على طريقة المحقق وهو الأكثر؛ وتارة يُكتَب على طريقة الثلث، وعليه
عمل كُتَّاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقق؛ وحينئذ فإن كان المكتوب
على طريقة المحقق فهسمته على طريقة المحقق مع أملاء قلمه على حدّ قلم مختصر
الطومار على ما تقدم بيانه .

وهذه صورة بسمته

لس
الحرار

على طريقة الثلث

بركه
م ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الأولى - أن تكون الراء في الرحمن وفي الرحيم مخسوفة. وهذه صورتها :

وأما قلم الثلث الثقل وقلم الثلث الخفيف فطريقةهما واحدة لا تختلف بينهما إلا في رِقَّة القلم وعظاظة على ما تقدم بيانه في الكلام على أصل الألفاظ. وللمسألة فيهما ثلاث صور.

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيهما مجموعة والتون في الرحمن مجموعة وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة : أن تكون الراء فيهما مدغمة والنون في الرحمن مدغمة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم التوقيع فلها ثلاث صور :

الصورة الأولى - مختصرة من قلم الثلث فتكون كهي ؛ إلا أنها أدق قلما منها ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الحاء فيها في الرحمن مقلوبة وفي الرحيم مكورة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن تكون الحاء فيها في الرحمن والحريم مقلوبة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم الرقاع، فإن السين تكون فيها بالتدريج، كل سنّ دون التي قبلها
يسيراً، والكتب فيها غيرين وصل أسنانها وفصلها فصلاً يسيراً. وقد أصطلحوا
على أن تكتب الألف التي قبل الجلالة فيها متصلةً بيمين بسم، وتكون مثل الألف
والصاعد في قلم الرقاع، ثم يصل لما ذيل وتوصل بالجلالة؛ ولما ثلاث صور.

الصورة الأولى - أن تكون الراء فيها مدغمة، والحاء في الرحمن والرحيم مقلوقة؛

وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رققاءً، وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن توصل الألف بالجلالة من أعلاما، وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة الغبار^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) لعله ظاهراً صورة واحدة وهي هذه.

الجملة السابعة

(في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها ؛ وهو ملّ ضريرين)

الضرب الأول

(حسن التشكيل)

قال الوزير أبو علي بن مُقْلَة : وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء :

الأول - التوقيّة ؛ وهي أن يُؤْتَى كُلُّ حرف من الحروف حَظَّهُ من الخطوط التي يركب منها : من مقوس ومُتَحَنٍّ وَمُسَطَّح .

الثاني - الإنعام ؛ وهو أن يعطى كُلُّ حرف قِسْمَتَهُ من الأقدار التي يجب أن يكون عليها : من طَوَّلٍ أَوْ قَصَّرَ أَوْ دَقَّ أَوْ غَلَطَ .

الثالث - الإكمال ؛ وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خط حَظَّهُ من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها : من انتصاب ، وتسطيع ، وأنكباب ، واستلقاء ، وهويس .

الرابع - الإشباع ؛ وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خط حظه من صدر القلم حتى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس - الإرسال ؛ وهو أن يُرْسَلَ يَدُهُ بالقلم في كل شكل يجري بُرْعُهُ من غير احتباس يُضَرِّسُهُ وَلَا تَوَقُّفَ بِرْعِهِ .

الضرب الثاني

(حسن الوضع)

قال الوزير: ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء .

الأول - الترتيب؛ وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف .

الثاني - التاليف؛ وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن .

الثالث - التسطير؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطرا منتظما الوضع كالسطرة .

الرابع - التنصیل؛ وهو مواقع المئات المستحسنة من الحروف المتصلة .

وأعلم أن المد في الخط قديم، فقد حكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب":
 أن أهل الأنبار كانوا يكتبون المَشَقَّ . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك في القديم،
 فقد تقدم أن أول ما تعلم أهل الججاز الخط من أهل الأنبار . على أن صاحب
 "موادّ البيان" قد حكى أن جماعة من المحررين كانوا يكرهون المَشَقَّ لإفساده خط
 المبتدئ ودلالته على تهاون المتنبئ .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سين مبيّنة ثم صارت كراهة ذلك سنة
 وعرفا . والذي عليه حلق المحررين استعمال المد .

قال في "موادّ البيان" وهذه المئات تستعمل لأمرين: أحدهما أنها تحسن الخط
 وتفتححه في مكان كما يحسن مد الصوت اللفظ وتفتححه في مكان . الثاني أنها ربما
 أوقعت ليم السطر إذا فضل منه مالا يتسع لحرف آخر: لأن السطر ربما ضاق
 عن كلمتين وفضل عن كلمة فتعد التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول
 السطر الذي يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور ، وتكره إذا كانت مينا مدغمة .

قال في "موادّ البيان" : فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها في غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى ، مثل أن يوقع المدّ في متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم ، أو يوقع المدّ في متسلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستسلم . ثم قال : وبالجملّة فالكلمة الأصلية أسماء كانت أو حرفاً أو فعلاً لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأول

(الثنائية)

وهي إما أسماء مضابفة أو أفعال أو حروف .

فالأسماء : نحو نَدَّ ، وضَرَّ ، وِسرَ ، وِشرَ ، وظَلَّ ، وظَلَّ ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلَّ ، وكُلَّ ، وقُمَّ ، وعُدَّ ، ونَمَّ ، وِسرَ ، ونحو ذلك .

والحروف : نحو هل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومذ ، وعن ، ولو ، ولم ، ومن ، وما ،

وما يجري مجرى ذلك .

فاما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ في شيء منها إلا في مِرَ ، وِشرَ ، من الأسماء وِسرَ من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفاً على حiale في صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن في نحو ظَلَّ ، وظَلَّ ، في بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ فيها .
(١٠)

وحكى صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتاب كان يمدّ في أواخر السطور مثل ماء، وهل، وعن . ثم حكى عن أبي القاسم بن خلوف : أن ذلك لا يجوز في عن في أول السطر ولا في آخره .

الصف الثاني

(الثلاثية)

قال في "مواد البيان" : والمثد فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين . قال : ومنها ما يُسمَح في مثد الضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمدّ كييع وقطع ونحوهما . وعلى نحو من ذلك جرى صاحب "منهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن يمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لاماً . وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها، والطاء، والسين، والعين . قال في "مواد البيان" : وينبغي إذا مدّ أن يُقدّم الحرفان الأولان وتوضع المثدة بينهما وبين الثالث . أما عسى، ومتى، وقي، ونحوها فانها لا تحتمل المثد بحال .

الصف الثالث

(الرابعة نحو محمد وجعفر)

قال أبو القاسم بن خلوف : والمثد فيه جائز بل المثد فيه أحسن من القصر . قال في "مواد البيان" : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المثدة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المثد بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسن المثد فيه نحو تغلب، وخير، ونمير .

الصنف الرابع (الشمسية)

نحو : مشتمل ، ومستقل ، ومسيطر ، ومهيمن .

وقد اختلف علماء الخط فيه على منحين : فذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن المد فيها لا يحسن ، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثلاثية ؛ وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المد فيها لازم ، لا يجوز تركه . ثم إذا مد فالنوى ذكره في "مواد البيان" أن الأحسن أن يُقَمَّ حرفين ويُوقَعَ المد بينهما وبين الثلاثة الأحرار الأخر .

أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "الغاية الربانية" أنه يرجع فيه إلى الأصول ، ويعتبر من السداسي^(١) فإنه مد فيا بعد السين من مسلمون وبعد التاء من معتبر .

قال في "مواد البيان" : ويصح المد فيا جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل ، كتبت ، وطلمته ، وفيه ، ومنه ، وطليه ، وإليه ، إذا وقعت المنة بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومثق السين يُحَسِّن الخط في بعض المواضع ، ويصح إذا وقعت طرقا نحو مثق السين من العباس والجواس ، وأقبح من ذلك مشقها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتصلها نحو يأس ، وعانس ، وجالس ، وناعس . وإذا توالى سينان أو سين وشين ، فالأحسن أن يفصل بينهما في الخط المحذور بمدة لطيفة نحو مسست وعششت ورششت .

(١) ليل العواب من الثلاثي بالتابين المختصين .

قال أبو القاسم بن خلوفاً : ومن الحروف مالا يحسن المد بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختها، والياء، والفاء، والقاف، واللام، وأما الكاف المشكولة فإنه لا يجوز مد ما بعدها في ابتداء ولا توسط .

• وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته حروفاً يجوز مدها في مواضع : أحدها - الباء وأختها، فتمد إذا كان بعدها دال مثل بدر، أو راء مثل بر، أو ميم مثل تم، أو هاء مثل هز، وأنه ربما مدت إذا كان بعدها لام مثل بل، أو لام ألف مثل بلا .

الثاني - الجيم وأختها، فتمد إذا كان بعدها دال مثل حداد، أو راء مثل حرير، أو ميم مثل حم، أو هاء مثل جهر .

الثالث - السين وأختها، وتمد إذا كان بعدها راء مثل سر، أو ميم مثل سم، أو هاء مثل سهم .

الرابع، والخامس - الصاد وأختها، والطاء وأختها، فلا يجوز مد واحد منها بحال .^(١)

السادس - العين وأختها، فتمد إذا كان بعدها دال مثل عد، أو راء مثل عر، أو ميم مثل عم، أو هاء مثل عهن .

السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر - الفاء، والقاف، واللام، والميم، والهاء، فحكمها حكم العين وأختها في جواز المد فيها فتم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدتين في كلمة واحدة و"علي" تمد إذا كانت الياء معزقة، فإن كانت راجعة لم يحز المد أصلاً : لأنه يجمع في كلمة ثلاثية مدتان .

قال في "مواد البيان" : ويصح أن يمد حرفين توالي بينهما في سطر واحد، وأن توضع حرفين ممدودين في سطرين : أعلى وأسفل على تقابل وتخاذ .

(١) الكلام فيما يجوز منه تأنيث هذا القسم مبرهن من القسم .

قال السُّرْمَرِيُّ : وإن كان في آخر الكلمة ياء لم يجز المد قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المد بعد السين في اسم موسى ، ولا قبل السين ^(١) في اسم عيسى .
قال الآثاري : وأجاز بعضهم مد العين منه بخلاف السين .

قال ابن العفیف : ولا تُدغم الواو والنون بعد مد أصلا في خفيف ولا ثقيل .
قال : ولا يحسن إدغام السين بعد الكاف المشكولة ، ويجوز بعد اللام والميم .

قال في "مواد البيان" : ويصح أن تكتب يمان مطوفتان متقاربتان في سطر واحد .
قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازي : وإذا توالى العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .

قال ابن أبي رقية : سألت الشيخ عماد الدين بن العفیف : هل يكون ذلك في كل قلم ؟ قال نعم ! إذا تمكّن الكاتب من وضعها إلا في المحقق فإنه غير جائز .
قال السُّرْمَرِيُّ : وإن أتت يمان متقاربتان مثل قول القائل " في صلي " ردّ ياء الأخرى من الكلمتين دون الأولى ، وإن شئت عرّقتهما جميعا ، وهو اختيار الوزير ابن مقلة . قال : وتردّ الياء بعد الألف واللام مثل إلى في خفيف الألفلام دون ثقلها على الأحسن .

قال الآثاري : وإذا توالى حروف متشابهة كتبت التصدير منه مقدّما على الطويل .

الصف الخامس

(مراعاة فواصل الكلام)

قال في "مواد البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتغل كل فصل منها على نوع من الكلام عما تهتمه : تُعرف مبادئ الكلام ومقاطعها ، فإن الكلام ينقسم فصولا طوالا

(١) كما في الضوء أيضا والمراد سواء اتصل المد بالياء أو كان قبله في كلمة .

(٢) لم يترجم في الضوء بخماس ، ولا بسادس ، وأقتصرت الترجمة على ما بهما وهو المناسب .

وقصاراء، فالطَّوَالُ كتنقسم منشور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده. ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل : لأنه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة بنورها اتصالاً وانفصالاً .

والفصول القصار كاتقسام الرسالة إلى الفصول، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل هذا قد يشكل، فينبغي أن يُمَيَّزَ تمييزاً يؤمن معه من الاختلاط، فإن ترتيب الخط يفيد ما يفيد ترتيب اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتباً تَحْصُصُ بعضُ المعاني من بعض، وإذا كان مُخْطَلاً أشكلت معانيه، وتندر على سامعه إدراك محموله . وكذلك الخط إذا كان متميزاً الفُصول، وصل معنى كل فصل منه إلى النفس على صورته، وإذا كان متصلاً دعا إلى أعمال الفكر في تخليص أغراضه .

وقد اختلفت طرق الثَّكَب في فصول الكلام الذي لم يُعَيِّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه . فالنَّسَاجُ يعملون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين، وثُكَبُ الرسائل يعملون للفواصل بياضاً يكون بين الكلامين من صبح أو فصل كلام، إلا أن بياض فصل الكلامين يكون في قدر رأس إبهام، وفصل السجتين يكون في قدر رأس خنصر . قال في "مواد البيان" : وينبغي أن لا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول السطر الذي يليه، فإنه مُلِيسٌ لأنفصال الكلام؛ بل لا يعمل في أول السطر بياضاً أصلاً لأنه يفتح بذلك خروجه عن نسبة السطور؛ ولا أن يفتح بين السطر والذي يليه إفساحاً زائدا عما بين كل سطرين، ولكن يُرَاعَى ذلك من أول شروعه في كتابة السطر فيقدر الخط بالجمع والمشق حتى يَحْصُصَ من هذا العيب .

الصنف السادس

(حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها)

لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الذي يليه .

ثم للفصل المستقبّح في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان :

الصنف الأول

(فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتخرقها في السطر والذي يليه) مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكاف والتاء والألف في آخر السطر والباء في أول السطر الذي يليه؛ أو يقع في آخر السطر لفظ "مسرور" فيكتب الميم والسين والراء فيه والواو والراء الثانية في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك .

قال في "مواد البيان" : وهو قبيح جداً لأنه لا يميز فصل الأسم عن بعضه .

قال : وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامة وخطوط الوّاقين؛ والحامل لهم على ذلك في الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكملها؛ ومن هنا احتاج الكاتب إلى النظر في ذلك بالجمع والمشتق من حين شروعه في كتابة أول السطر على ما تقدم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك في المصاحف التي كتبت

في زمن أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط، فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها في السطر الثاني .

وطئ ذلك حمل ما روى أن عثمان رضى الله عنه . قال : " إنَّ في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسُّنْها " إذ لا جائز أن يكون ذلك لحنا في اللفظ فقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على أن ما بين دفتي المصحف قرآن ، ومحال أن يجمعوا على الحن . على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك الشاطبي بقوله في الزانية :

وَمَنْ رَوَى سَتِيْمُ الْعَرَبِ السُّنْها * لَحْنًا يَهْ قَوْلَ عَثْمَانَ فَا شَهْرًا

الصف الثاني

(فصل الكلمة التامة وصلتها)

مثل ان يكتب "وصل كتابك وأيدك الله" مَفَصَّلَات ، فيكتب "وصل" في آخر السطر و"كتابك" في أول الذي يليه ، أو يكتب "أيدك" في آخر سطر وأسّم "الله" تعالى في أول الذي يليه ، وما جرى مجرى ذلك . قال في "مواد البيان" : والأحسن تجنبه إذا أمكن ، فإن لم يمكن فيجنبُ القبيح منه ، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه : كعبد الله و غلام زيد وما أشبه ذلك : لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمتلة الاسم الواحد ، والفصل بين الاسم وما يتلوه في النسب : كقولك زيد بن محمد ، فلا يجوز أن يُفصل بين الاسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة ابن تثبيت البتة كقولك لزيد ابنٌ جاز قطع الابن عما تقدمه . وكأنه إنما امتنع ذلك لأن زيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله ليس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : وما يفتح فصله الفصل بين كل اسمين جُمعلا أسما واحدا نحو حضرموت ، وتابط شرا ، وذى يزن ، وأحد عشر . قلت : وباب الخط وأعلامه وحسن تديره متسع لا يسع استيفائه .

الفصل الثالث

من الباب الثانى من المقالة الأولى

(فى لواحق الخط ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(فى النقط ؛ وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(فى ميسس الحاجة إليه)

قال محمد بن عمر المدائنى : ينبغي للكاتب أن يُعجِم كتابه ، ويبيِّن إعرابه ، فإنه متى أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط ، كثُر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه أنه قال " لكلُّ شيء نُورٌ ، ونُورُ الكتاب العِجْم " . وعن الأوزاعى نحوه .

وقال أبو مالك الحضرمي : أى قلم لم تُعجِم قُصُوله ، أَسْمَعِمَ مَحْصُوله . ومن كلام بعضهم " الخطوط المُعجِمة ، كالبرود المُعلَّمة " .

ثم قد تقدَّم فى الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً ، وقد وُضِعَتْ أشكالها على تسعة عشر شكلاً . فمنها ما يشترك فى الصورة الواحدة منه الحرفان : كالذال والذال ، والراء والراء ، والسين والسين . ومنها ما يشترك فى الصورة الواحدة منه الثلاثة : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يكتسب حالة الأفراد ، فإذا رُكِبَ ووُصِّلَ بغيره اكتسب : كالنون والقاف ، فإن النون فى حالة الأفراد مقرَّرة بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها في أوَّل كلمة أو وَسَطها، أشتبهت بالباء وما في معناها، والقاف
إذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بفيرا أوْلا أو وسطا ألتبست بالفاء،
فاحتج إلى مِيز يُمِيزُ بعض الحُرُوف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللبس،
ويذهب الاشتراك .

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغي أن القاف والنون إذا كتبا في حالة
الإنفراد على صُورتَهما الخاصَّة بهما لا يُنقطان، لأنه لا شبه بينهما ولا يُشبهان غيرهما،
فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الاشتراك في صورة
الحروف . وقال : الصورة والنقط مجموعهما دالٌّ على كل الحرف ؛

إذا تقرر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللبس، لأنه إنما وُضِعَ لذلك ؛ أما مع
أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يُظلم الخط من غير فائدة .

فقد حكى أنه عُرِضَ على عبد الله بن طاهر خطُ بعض الكُتَّاب فقال ما أحسنه !
لولا أنه أكثرُ شُويْزَه .

وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفرًا المتوكل كتب إلى بعض عُمَّاله أن
أُحْصِيَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمَدِينِيِّينَ وَعَرَفْنَا بِمِجْلَعٍ عَدَدَهُمْ، فَوَقَعَ عَلَى الْحَاءِ قِطْعَةً بِجَمْعِ الْعَامِلِ
مَنْ كَانَ فِي عَمَلِهِ مِنْهُمْ وَخَصَّاهُمْ لِمَاتُوا غَيْرَ رَجُلَيْنِ أَوْ وَاحِدٍ .

وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال : كثرة النقط في الكُتَّابِ سُوءٌ ظَنٌّ
بالمكتوب إليه .

أما كُتَّابُ الْأَمْوَالِ فَإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ النِّقْطَ بِحَالٍ ؛ بَلْ تَعَاطَاهُ عَنْهُمْ عَيْبٌ فِي الْكِتَابَةِ .

الجملة الثانية

(في ذكر أول من وضع القط)

قد تقدم في الكلام على وضع الحروف العربية أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من قبيلة بولان على أحد الأقوال . وهم : مرار بن مرة ، وأسلم ابن سيرة ، وعامر بن جذرة ، وأن مرارا وضع الصور ، وأسلم فصل ووصل ، وعامرا وضع الإجمام . وقضية هذا أن الإجمام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين : " على كرم الله وجهه " . فإن أريد بالنقط في ذلك الإجمام ، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الإجمام ، والظاهر ما تقدم ، إذ يبدو أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت حرة عن النقط إلى حين نقط المصحف .

وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المراد بالنقط الذي وضعه أبو الأسود الشكل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه)

قال الوزيرا أبو علي بن مقلة رحمه الله : وللقط صورتان : إحداهما شكل مربع والأخرى شكل مستدير .

قال : وإذا كانت قطعتان على حرف ، فإن شئت جعلت واحدة فوق الأخرى ، وإن شئت جعلتهما في سطرين معاً ، وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرف يُنقط لم يحز أن يكون النقط إذا آتست إلا واحدة فوق الأخرى ، والعلة في ذلك أن النقط إذا كن

في سطر خرجن عن حروفهن فوق اللبس في الأشكال، فإذا جعل بعضها على بعض
كان على كل حرف قسطة من النقط فزال الإشكال .
قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نقط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق
أثنين ، وإن كانت شينا فبعض الكُتاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط
سطرا ، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف ثاء المتثلة .
أما السين إذا قطعت من أسفلها فإنهم ينقطنوها ثلاثة سطرًا واحدًا .

الجملة الرابعة

(فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا نقط له)

قد تهتم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفًا سوى اللام ألف ، وإن ذلك
على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين ، وأن المنازل أبدأ منها أربعة عشر فوق
الأرض ، وأربعة عشر تحت الأرض ، ثم إنه لا بد أن يبقى ما فوق الأرض منزلة
مخفية تحت الشفق ، فكانت الحروف المتوسطة خمسة عشر حرفًا بعدد المنازل
المخفية : وهي الأربعة عشر التي تحت الأرض ، والواحدة التي تحت الشعاع ، إشارة
إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لأختفائها : وهي الباء ، والتاء ، والهاء ، والجيم ، والخاء ،
والذال ، والزاي ، والشين ، والضاد ، والظاء ، والسين ، والفاء ، والقاف ، والنون ، والياء ،
آخر الحروف .

وكانت الحروف الباطلة ثلاثة عشر بعدد المنازل الظاهرة : وهي الألف ،
والحاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والصاد ، والطاء ، والعين ، والكاف ، واللام ، والميم ،
والهاء ، والواو .

فأما الألف فإنها لا تُنقط لأفرادها بصورة واحدة، إذ ليس في الحروف ما يثبتها في حالي الأفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنقط من أسفل لتخالف التاء المثناة من فوق، والتاء المثلثة في حالي الأفراد والتركيب، والياء المثناة من تحت، والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً ونقطت من أسفل لئلا تلبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنقط بأثنين من فوق لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد وتخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الناء فإنها تُنقط بثلاث من فوق لتخالف ما قبلها من الصورتين في الأفراد وتخالفهما مع النون والياء أيضا في التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالف الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنقط، ويكون الإهمال لها علامة، حُذَقَ الحُكَّابُ يعملون لها علامة غير النقط: وهي حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنقط بواحدة من أحلاها لتخالف ما قبلها : من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنقط ولا تَعَلَّم، ويكون ترك العلامة لها علامة .

وأما الذال فتُنقط بواحدة من فوق فرقا بينها وبين أختها .

وأما الزاء فإنها لا تُنقط ولا تَعَلَّم، ويكون الإهمال لها علامة .

وأما الراء فإنها تُنقط بواحدة من فوق فرقا بينها وبين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنقط، وتكون علامتها الإهمال كغيرها، وبعض الحُكَّابِ

ينقطها بثلاث قحيط من أسفلها .

وأما الشين فإنها تُنْقَط بثلاث من فوقَ فَرْقًا بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جَرَّة فوقها؛ ثم إن كانت محققة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما، وإن كانت مدغمة فالأولى جعلُ الثلاث قط سطرًا واحدًا .

وأما الصاد فإنها لا تُنْقَط؛ نعم حُدُوقُ الكُتَّاب يجعلون لها علامة كالحاء، وهي صداد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تُنْقَط بواحدة من أعلاها فَرْقًا بينها وبين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَط لكن لها علامة كالصاد والحاء، وهي طاء صغيرة تحتها .

وأما الظاء فإنها تُنْقَط بواحدة من فوقها فَرْقًا بينها وبين أختها .

وأما العين فإنها لا تُنْقَط، ولها علامة كالحاء، والصاد، والطاء، وهي عين صغيرة في بطنها .

وأما النين فإنها تُنْقَط بواحدة فَرْقًا بينها وبين أختها .

وأما الفاء فذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلاف بين أهل الخط أنها تُنْقَط من أعلاها إلا أنَّ مَنْ نَقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها قَطِ القاف بأثنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما، وَمَنْ نَقَطَ الفاء من أسفلها قَطِ القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تَهَمَّ من كلام الشيخ أثير الدين أبي حيان رحمه الله عن بعض مشايخه : أنَّ القاف إذا كتبت على صورتها اختلاصة بها ينبغي أن لا تُنْقَط إذ لا شبه بينهما^(١) وذلك في حالتي الإفراد والتطوُّف أخيرا .

(١) أي بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط، إلا إذا كانت مشكولة عكست بشكلة، وإن كانت معرأة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما اكتسبت باللام .

وأما اللام فإنها لا تنقط ولا تعلم، وترك العلامة لها علامة .

وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلم أيضا لأنها بحددها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بوحدة من أعلاها، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداءً أو وسطاً لاكتسابها حينئذ بالباء، والتاء، والياء، وأوائل الحروف، والياء آخر الحروف؛ بخلاف حالة الأفراد والتطرف في التركيب أخيراً فإنها تختص بصورة فلا تنبسط كما أشار إليه الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاء فإنها لا تنقط بجميع أشكالها، وإن كثرت؛ لأنه ليس في أشكالها ما ينسب بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لا تنقط وإن كانت في حالة التركيب تهارب الفاء، وفي حالة الأفراد تهارب القاف : لأن الفاء لا يشابهها كل المشابهة، ولأن القاف أكبر مساحة منها .

وأما اللام ألف فإنها لا تنقط لأفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها، وإن كانت في حالة الأفراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها : لأنها في حالة التركيب في الابتداء والوسط تشابه الباء، والتاء، والياء، والنون، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الأفراد كما في النون، وربما قطعها بعض الكتاب في حالة الأفراد بنقطتين في بطنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصد الثاني

(في الشكل وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في اشتقاقه ومعناه)

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شكل الدابة ، لأن الحروف تُضَبِّط بقيد
فلا ياتيس إعرابها كما تُضَبِّط الدابة بالشكل فيمنعها من الهروب . قال أبو تمام :
رَأَى الْأَمْرَ مُعْجُومًا إِذَا كَانَ مُعْجَمًا * لَدَيْهِ وَمَشْكُولًا إِذَا كَانَ مَشْكُولًا

الجملة الثانية

(في أول من وضع الشكل)

وقد اختلفت الرواية في ذلك على ثلاث مقالات، فذهب بعضهم إلى أن المبتدئ
بذلك أبو الأسود الدؤلي : وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس
به مافسد من كلامهم : إذ كان ذلك قد فشا في الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا ، فأحضر من يمسك المصحف ،
وأحضر صبغا يخالف لون المبدأ . وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحت
فأى فأجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت فأى فأجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا
ضمت فأى فأجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أثبت شيئا من هذه الحركات غنة
(يعنى توتينا) فأجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

ونهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثي ، وأنه الذي
نحسبها وعشرها .

ونذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يعمر .
قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصريين .
وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتونين لاغير . وأن الخليل
أبن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد ^(١) عن الروم والإشمام .

الجملة الثالثة

(في الترغيب في الشكل والترهيب عنه)

وقد اختلفت مقاصد الكُتّاب في ذلك ، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه ، والحث
عليه : لما فيه من البيان والضبط والتقيد .

قال هشام بن عبد الملك : أشكوا قرائن الآداب ، لئلا تنبذ عن الصواب .
وقال علي بن منصور : حلّوا غرائب الكلم بالتقيد ، وحصّنوها عن شبه
التصحيف والتحريف .

ويقال : إعجام الكُتُب يمنع من استعجابها ، وشكلها يصونها عن إشكالها ،
ولله القائل :

وَكأنَّ أَحرفَ خَطِّه تَجَرُّ * وَالشَّكْلُ فِي أَغْصَانِهِ ثَمَرُ

ونذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن يُشكّل الحرف على القارئ أحب إلى من أن
يُساب الكُتُب بالشكل . ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيد البسملة
فقال : لو حرّفته ما شكلته . وقد جرد الصمّاءة رضوان الله عليهم المصحف حين
جمعوا القرمان من النقط والشكل وهو أجدرهما ، فلو كان مطلوبا لما جردوه منه .

(١) كما في الأصل .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله ابن عمر ، وقال بذلك جماعة من التابعين .
وأعلم أن كُتِبَ الدِّيُونَةُ لا يَرْجُونَ عَلَى النِّقْطِ وَالشَّكْلِ بِحَالٍ ، وَكُتِبَ الْإِنْسَاءُ مِنْهُمْ مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ عَاشَاةً لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ عَنْ نَسَبِهِ لِلْجَهْلِ بِأَنَّهُ لَا يَقْرَأُ إِلَّا مَا نُقِطَ أَوْ شُكِّلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَدَبَ إِلَيْهِ : لِلضَّبْطِ وَالتَّقْيِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ .
والحق التفريق في ذلك بين مَا يَنْقَعُ فِيهِ اللَّسُّ وَيَتَطَوَّقُ إِلَيْهِ التَّحْرِيفُ لِعِلَاقَتِهِ أَوْ غَرَابَتِهِ وَيَنْ مَاتَسَهَّلَ قِرَاؤُهُ لَوْضُوحِهِ وَمَسْهُولَتِهِ .
وقد رَخِّصَ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ بِالْإِعْرَابِ جَمَاعَةٌ : مِنْهُمْ رِبْعَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَبْنُ وَهْبٍ . وَصَرَحَ أَصْحَابُنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ يُنْدَبُ نَقْطُ الْمَصْحَفِ وَشُكْلُهُ ؛ أَمَّا تَجْرِيدُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فَذَلِكَ حِينَ آبْتَدَأَ جَمْعَهُ حَتَّى لَا يُدْخِلُوا بَيْنَ دَفْعِي الْمَصْحَفِ شَيْئًا سِوَى الْقِرْعَانِ ، وَلِذَلِكَ كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ .
وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْقِيعِ فِي زَمَانِنَا فَإِنَّهُمْ يَرْغَبُونَ عَنْهُ خَشْيَةَ الْإِظْلَامِ بِالنِّقْطِ وَالشَّكْلِ إِلَّا مَا فِيهِ الْإِبْسَاسُ عَلَى مَا مَرَّ ، وَأَهْلُ الدِّيُونَةِ لَا يَرَوْنَ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا وَيَعْتَوْنَ ذَلِكَ مِنْ عِيُوبِ الْكِتَابَةِ وَإِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ سَبْعَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

الجملة الرابعة

(فَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ الشَّكْلُ وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّكْلَ جَارٍ مَعَ الْإِعْرَابِ كَيْفَا جَرَى ، فَيَنْقَسِمُ إِلَى السُّكُونِ (وَهُوَ الْجُزْمُ) ، وَالْإِثْنِ (وَهُوَ النَّصْبُ) ، وَالْإِثْمِ (وَهُوَ الرِّفْعُ) ، وَالْإِثْرُ (وَهُوَ الْخَفْضُ) .
أَمَّا السُّكُونُ فَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ . وَأَمَّا الْحُرُكَاتُ الثَّلَاثُ فَقَدْ قِيلَ لِمِنْهَا مَشَاكِلَةٌ لِلْحُرُكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ : نَالِزُفٌ مَشَاكِلُ لِحَرَكَةِ الْفَلَكَ لِأَرْتِفَاعِهَا ، وَالْجُزْمُ مَشَاكِلُ لِحَرَكَةِ

الأرض والماء لانخفاضها، والنصب مشا كل حركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثم لم يكن في اللغة العربية أكثر من ثلاثة أحرف بعلمها ساكن إلا ما كان معدولا . فصبحان من أحسن ما صبح ! .

ثم الذى عليه أكثر النحاة أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد واللين وهى الألف، والواو، والياء، أعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثاني مأخوذة من الأول . فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولقيت عمرا، وضربت بكرا، والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرميت أخاك، ويكون إطلاقا للروى المنسوب كقولك : المذهب، وأنت تريد المذهب، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف، والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك مررت بزيد، وأخذت من زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال، والضممة من الواو لأنها من مخرجها : من الشفتين، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، ونرج بكرا، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

ونذهب بعض النحاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة أعتمادا على أن الحركات قبل الحروف، بليل أن هذه الحروف تحلث عند هذه الحركات إذا أشبعت، وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

(١) أى الأسماء الخمسة أو الالف على الخلاف .

وذهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذة من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف ، اعتماداً على أن أحدهما لم يسبق الآخر ، وصححه بعض النحاة .

الجملة الخاطمة

(في صور الشكل ومحلّ وضعه على طريقة المتقدمين والمتأخرين)
وأعلم أن المتقدمين ^(١) ... في غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة .
وقال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وأرى أن أستعمل النقط لوتين ، الحرة والصُفْرَة ، فتكون الحرة للحركات ، والتونين ، والتشديد ، والتخفيف ، والسكون ، والوصل ، والمذء ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

قال : وعلى ذلك مصباح أهل المدينة . ثم قال : وإن أستعملت الخضرة للابتداء بإلفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا ، فلا أرى بذلك بأساً . قال :
ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك من عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صوراً مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها ، ومن أجل اختلاف صورها وتباين أشكالها رخصوا في رسمها بالسواد .
ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور .

الأولى

(علامة السكون)

والمتقدمون يجعلون علامة ذلك جرة بالجمرة فوق الحرف ، سواء كان الحرف المسكّن همزة كما في قولك : لم يَسَأْ ، أو غيرها من الحروف كالذال من قولك : أذهب .

(١) لعل المراد يملون في شكل غالب الخ . وفي الغرض كانوا يملون الشكل قطعاً الخ .

أما المتأخرون: فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عرقاة الميم استخفاً، وسموا تلك الدائرة جزمة، أخذوا من الجزم الذى هو لقب السكون، ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلق تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى، ومنه قولهم: «صفر اليدين» بمعنى أنه فقير ليس في يديه شيء من المال. وحذائق الكتاب يجعلونها جماً لطيفة بغير عرقاة إشارة إلى الجزم.

الثانية

(علامة الفتح)

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نقطة بالجرمة فوق الحرف. فإن أثبتت حركة الفتح تنويناً، جعلت نقطتين، إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين. والمتأخرون يجعلون علامتها ألفاً مضطجعة. لما تهتم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بألف الحرف موافقة للمتقدمين فى ذلك، وسموا تلك الألف المضطجعة نصبة أخذوا من النصب؛ ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين، وعبروا عن الخطتين بنصبتين. قال الشيخ عماد الدين بن السيف رحمه الله: ويكون بينهما بقدر واحدة منهما.

الثالثة

(علامة الضم)

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نقطة بالجرمة وسط الحرف أو أمامه، فإن لحق حركة الضم تنوين، رسموا لذلك نقطتين: إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين على ما تهتم فى الفتح.

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة : لما تقم أن الواو من علامة الرفع في الأسماء المعتلة ، وسموها رمة لذلك ، وسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها في وسطه كيلا تسيى الحرف ، بخلاف المتقدمين لخالفه الاون ولطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخطّة بعدها : الواو إشارة للضم ، والخطة إشارة للتنوين ، وصبوا عنهما برقتين . وبعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعة

(علامة الكسر)

والمقدمون يجعلون علامة الحزرة نقطة بالجمرة تحت الحرف . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك هطتين .

والمأخرون جعلوا علامة الكسر شطية من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الحز في الأسماء المعتلة على ما مر ، وسموا تلك الشطية خفضة ، أخذوا من الخفض الذي هو لقب الكسر ، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلها . فإن لحق حركة الكسر تنوينٌ رسموا له خطتين من أسفله : إحداها للحركة ، والأخرى للتنوين .

الخامسة

(علامة التشديد)

والمقدمون آخفقوا : فمنع أهل المدينة أنهم يرسمون علامة التشديد على هذه الصورة (١) ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشد مع الفتح فوق الحرف ، ومع الكسر تحت الحرف ، ومع الضم أمام الحرف .

(١) يباخر في الأصل والضم .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطة علامة للإعراب ، وهو عندى حسن .
وعامة أهل الشرق على أنهم يرسمون علامة التشديد صورة شين من غير عرافة على هذه الصورة (ش) كأنهم يريدون أقل شديداً ، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبداً ويُسَوِّدونه بالحركات . فإن كان مفتوحاً جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح ، وإن كان مضموماً جعلوا مع الشدة نقطة أمام الحرف علامة الضم ، وإن كان مكسوراً ، جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب استقر رأي المتأخرين أيضاً ؛ غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التي اصطَلَحُوا عليها من النصبية ، والرفعة ، والانخفضة . فيجعلون النصبية والرفعة بأعلى الشدة ، ويجعلون الانخفضة أسفل الحرف الذي عليه الشدة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق الحرف . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المشتد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

(علامة الهمزة)

والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نطق الإعراب كما تهتم في كلام الشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله : ويرسمونها فوق الحرف أبداً ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالهمزة على ما تهتم . وسواء في ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفاً ؛ إذ حتى الهمزة أن تلزم مكاناً واحداً من السطر : لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عرافة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما مياتى .

ثم إن كانت الهمزة مصبورة بصورة حرف من الحروف: فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها. وإن كانت مفتوحة، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها. وإن كانت مضمومة، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها. وإن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها. وربما جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله.

وقد اختلف القدماء من التحوين في أى الطرفین من اللام ألف هي الهمزة. فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال: الطرف الأول هو الهمزة، والطرف الثاني هو اللام.

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله: وإلى هذا ذهب عامة أهل التقط، وأستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هذه الكلمة كانت أولا لاما مبسوطة في طرفها ألف على هذه الصورة "لا" كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا، ها" وما أشبههما إلا أنه أستقل رسم ذلك كذلك في اللام ألف خاصة لأعتدال طرفيه لمساواة كتابة الأماجم فحسن رسمه بالتصغير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أولى ضرورة، وتعتبر حقيقة ذلك بأن يؤخذ شيء من خيط ونحوه فيُصَقَّر ويخرج كل واحد من الطرفين إلى جهة، ثم يقام الطرفان فيتين من الوجهين أن الأول هو الثاني في الأصل، وأن الثاني هو الأول لأعالة في التصغير.

وأیضا فقد اتفق أهل صناعة الخط من الكتاب القدماء وغيرهم على أنه يرسم الطرف الأيسر قبل الطرف الأيمن، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ابتداء برسم الألف قبل الميم في "ما" وشبهه مما هو على حرفين، فثبت بذلك

أن الطرف الأول هو المهمزة، وأن الطرف الثاني هو اللام : إذ الأول في أصل القاعدة هو الثاني، والثاني هو الأول على ما مر، وإنما اختلف طرفاها من أجل التضييق .

وخالف الأخفش : فزعم أن الطرف الأول هو اللام، والطرف الثاني هو المهمزة، وأستشهد لذلك بأن ما تُلَفَّظ به أولا هو المرسوم أولا وما تُعَقَّظ به آخرها هو المرسوم آخرها، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوها لفظنا باللام أولا ثم بالهمزة بعدها، ونأزعه في ذلك الشيخ أبو عمرو الداني . والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على ما رتبته متأخرو الكتاب الآن . فهي المضمفورة على ما تقدم، وفي المضمفورة بهذه الصورة " لا " بالعكس .

وإن كانت المهمزة غير مصفورة بحرف من الحروف كالهمزة في جزء وخَبْرٍ، جعلت العلامة في محل المهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب : من سكون، وفتح، وضم، وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث توين، جعل مع المهمزة علامة التوين : من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر في غير المهمزة .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وتمتحن المهمزة في موضعها من الكلام بالعين ، فحيث وقعت العين وقعت المهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التوين أولم يلحقها، فنقول في آمنوا عامنوا، وفي وياي المسال وطاي المسال، وفي مستهزئين مستهزئين، وفي خامسين خامسين، وفي مبرءون مبرءون، وفي متكهون متكهون، وفي ماء ماع، وفي سوء سوء، وفي أولياء أولياء، وفي ثنوء ثنوع، وفي ثنوء لثنوع، وفي أن تبؤا أن تبؤا، وفي ثبؤ ثبوع، وفي من شاطي من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطرد .

السابعة

(علامة الصلة في ألفات الوصل)

أما المتقدمون فأنهم رسموا لها جِزَّة بالحمرة في سائر أحوالها ، وجعلوا محلها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما في قوله تعالى : "تَتَقَوَّنَ الَّذِي" جعلت الصلة جِزَّة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما في قوله تعالى : "رَبِّ الْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جِزَّة حمراء تحت الألف على هذه الصورة (١) . وإن وليها ضمة كما في قوله تعالى : "تَسْتَعِينُ أَهْدَانَا" جعلت الصلة جِزَّة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوين جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للساكين ما لم يأت بعد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمة لازمة نحو قوله تعالى : "فَيَلَا أَنْظَرُ" و"عُيُونٍ أَدْخُلُوهَا" . قال بعضهم بضم التنوين فتجعل الجِزَّة على ذلك في وسط الألف .

وأما المتأخرون [فأنهم رسموا لذلك صاداً لطيفة إشارة إلى الوصل] وجعلوها بأعلى الحرف دائماً ولم يُراعوا في ذلك الحركات ، أكتفاءً باللفظ .

تنبیه

قد تقدم في ... (١) ... الأول من الهجاء أن اللفظ قد يتعين في الهجاء إلى الزيادة والتقصير ، ولا شك أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك ما يختص بالهجاء العرفي دون الرسمي باعتبار الزيادة والتقصير .

(١) ما بين الحائرين يعض له في الأصل وأخذناه عن "نزهة الصبح" .

(٢) يعض في الأصل .

أما الزيادة، فمثل أولئك، وأولُو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وسيلك أن تجعل علامة الهزمة نقطة بالصفرة في وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحمرة أمامها في السطر لئلا على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها في الواو الزائدة : لأنها صورتها ، وهو قول طائفة أهل النقط . هذه طريقة المتقدمين .

أما المتأخرون : فإنهم يعملون علامة الهزمة على الواو وهو مخالف لما تنهت من اعتبار الهزمة بالعين فإنها لو أمتحت بالعين، لكان لفظها حوذك وكذلك البواق .

وأما التنص فمثل النبئ إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، ويا أدم إذا كتبت بحذف الألف بعد المءاء في هؤلاء والألف الثانية في يا أدم فترسم علامة الهزمة من النقطة الصفراء وحركتها على رأى المتقدمين، وصورة العين على رأى المتأخرين قبل الياء الثانية في النبئين . وتجعل ذلك على الألف الثانية في يا أدم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها .

وراء ما تقدم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمدة وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها والله أعلم .

(فائدة)

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بد من تناسب الشكل والنقط ويتناسب الياضات في ذلك الحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(في الهجاء وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في مصطلحه الخاص ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(المصطلح الرسمي)

وهو ما أصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم ، على ما كتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ويسمى الاصطلاح السلفي أيضا ، ونحن نورد منه ما جاز إليه الكلام أو وافق المصطلح العرفي .

الضرب الثاني

(المصطلح العروضي)

وهو ما أصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر ، وأعتادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى ، إذ المعتد به في صنعة العروض إنما هو اللفظ : لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركا وساكا فيكتبون التنوين نونا ، ولا يراعون حذفها في الوقف ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ، ويحذفون اللام وغيره مما يدغم في الحرف الذي بعده : كالرهن والذاهب والضارب ، ويتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل ، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تعيين الأجزاء كما في قول الشاعر :

سَبْدِي لَكَ الْيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزِدْ .
فيكتبونه على هذه الصورة :

سَبْدِي، لَكَ لَايِيَا، ثُمَّ كُنْ، تَجَاهِلَنْ * وَيَأْتِي، كَبَالِأَخْبَا، رِمْلَمْ، تَزِدِي .

المقصد الثاني

(في المصطلح العام)

وهو ما اصطلاح عليه الكُتَّاب في غير هذين الاصطلاحين ، وهو المقصود من الباب ؛ وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(في الإفراد، والحنف، والإثبات، والإبدال، وفيه مُدْرَكَان)

المُدْرَكُ الْأَوَّلُ

(في بيان الأصل المعتمد في ذلك، وما يكتب على الأصل)

وأعلم أن الأصل في الكتابة مطابقة المنطوق المفهوم، وقد يزيدون في وزن الكلمة [ما ليس في وزنها] ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له، ويتقصون من الكلمة عما هو في وزنها استخفافا واستغناء بما أبقي عما انتقص إذا كان فيه دليل على ما يحذفون : كما أن العرب تسرف في الكلمة بالزيادة والتقصان، ويحذفون ما لا يتم الكلام في الحقيقة إلا به استخفافا وإيجازا إذا عرّف المخاطب ما يقصدون .

قال ابن قتيبة : ورُبَّمَا تركوا الاشتباه على حاله ، ولم يفصلوا بين المتشابهين واكتفوا بما يدل عليه من متقدم أو متأخر : كقولك للرجل الواحد : يفزوا ، وللاثنتين

(١) سقطت هذه الجملة من الأصل ووجدناها " في أدب الكاتب " و " في ضوء النصح " فأثبتناها

لأنها مرادة له وليست في الكلام .

لن يَنْزُواً وللجميع لب يَنْزُوا بالواو والألف في الجميع من غير تفريق بين الواحد والاثنتين والجمع ، وبقوه على أصله .
إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين .

القسم الأول

(ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو على أصله المعتبر فيه في ذوات الحروف وعددها)
بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، سواء بقي لفظه على حاله
أم أقلب النطق به إلى حرف آخر)

فيكتب لفظ ”إعشى“ بنون بعد الألف ، وإن كان أصله أنحى على وزن
أنفعل من المحو : لأن الإندغام من كلمة واحدة ؛ بخلاف ما إذا كان الإندغام من
كلمتين ؛ فيكتب لفظ ”من مالى“ بنون في من متفصلة من ميم مالى وإن كانت النون
الساكنة تدغم في الميم .

ويكتب لفظ خنق مصدر خنق ولفظ أنت وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون
مخفأة في الفاف من خنق وفي التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو من كافر .
ويكتب عبر وما أشبهها بنون أيضا وإن كانت النون الساكنة تتقلب عند الباء
ميا ؛ وكذلك في حالة التركيب نحو من بعد . ويكتب مثل أضرى القوم ويفزوا
الرجل يواو ؛ وكذلك كل ما فيه حرف مد حذف لساكن يليه لأنه لولا ألتقاء الساكنين
لثبتت هذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت في وصل الكلام
لإشباع في الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك كتبت (لَكِنَّا هُوَ اللهُ)

(١) في المصباح أن فل خنق من باب قتل ومصدره كخنق ويمكن للتخفيف .

بألف بعد النون في لُكَا إذ أصله لِكُنْ أنا . ويكتب المتون المنصوب مثل زيدا وعمرًا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرًا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المتون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بمحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذا المتونة بالألف على رأى المازني رحمه الله ومن تابعه : لأن الوقف عليها بالألف لضمة ألفها، والمبرد والا كثرون على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عصفور : وهو الصحيح : لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون؛ وأيضاً فلما إذا كتبت بالنون كانت فرقاً بينها وبين إذا الطرفية لتلايق الإلباس، وفصل التقاء فقال : إن ألغيت كتبت بالألف، وإن أعلمت كتبت بالنون لقوتها . ويحكى عن أبي العباس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتري أن أكوي يد من يكتب إنذ بالألف لأنها مثل أن ولأن، ولا يبدل التنوين في الحروف .

ويكتب نحو لَنَسَقًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف، وكذلك يكتب اضرباً زيدا ولا تضرباً عمرًا بالألف على رأى من ادعى أنه الأكثر، ووجهه بأن النون الخفيفة تتقلب ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً في الوقف .

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيهاً لونه بنون الجمع نحو اضربن للجمع المذكور وبه جزم الشيخ أمير الدين أبو حيان . ووجهه بأنه لو كتبت بالألف لالتبس بأمر الاكثين ونهيهما في الخط، وإن كنت إذا وقفت عليه وقفت بالألف فلم تُرَاع حالة الوقف في ذلك لأن الوقف منع من اعتباره ما عرض فيه من كثرة الإلباس:

(١) أى تشبهاً لونه التوكيد التى فى الفعل المست الى القرد بنون التوكيد التى فى الفعل المست الى الجمع .

لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابته بالألف، كثر الألبس بالوقف وانحط، فجنبوا ما كثر به الإلباس. ويكتب كل أسم في آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُستدّى ومُستدعى ومُقترى في حالتي الرفع والجر بغير ياء؛ كما في قولك جاء قاضى ومررت بقاضى، وكذا في الباقيات؛ وفي حالة النصب بالياء مع زيادة ألف بعدها كما في قولك: رأيت قاضياً وغازياً وداعياً وما أشبهه.

وإن كان جمعاً: فإن كان غير منصرف كُتِبَ في حالتي الرفع والخفض بغير ياء على ما تقدم.

فيُكتبُ في الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسوارٍ ودواعٍ، وفي النقص مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء في الحالتين.

ويكتب في النصب بالياء إلا أنه لا تزداد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارىً وسوارىً ودواعىً.

فإذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء في الجميع.

قال ابن قتيبة: وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا في كتابة المصحف.

ويكتب نحو رة أمراً بالرؤية، ولم رة نفيًا للرؤية، وقفه أمراً بالوقاية، ولم يقه نفيًا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسقط منه حالة النرج، لأن الوقف عليها بالهاء. وكذلك قولهم: مه أنت، ونجي مه جئت: لأن الوقف على ما الاستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحنوف ألفها بعد

(١) كما في الضوء أيضاً وله [مه أنت].

الجار نحو حَيَّامَ وَالْأَمَ وَعَلَامَ فَإِنَّهُ لَا تَلْحَقُهَا الْهَاءُ لِشِدَّةِ الْإِصْطِلَاقِ فَلَا تَكْتُبُ بِالْهَاءِ .
وَتَكْتُبُ تَاءَ التَّائِيثِ فِي نَحْوِ رَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ وَتَقْمَةٍ وَقِسْمَةٍ وَخِدْمَةٍ وَطَلْعَةٍ وَتَقْمَةٍ بِالْهَاءِ
لَأَنَّ الْوَقْفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقِفُ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ ، وَهِيَ لَفْظٌ قَلِيلَةٌ
فَتَكْتُبُ بِالتَّاءِ مُوَافَقَةً لِلْوَقْفِ . وَقَدْ وَقَعَ فِي رِيسَمِ الْمُصَحِّفِ الْكَرِيمِ مَوَاضِعٌ مِنْ ذَلِكَ
نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَقْبِئْتُمْ اللَّهَ يَكْفُرُونَ ﴾ كَتَبُوا أَقْبِئْتُمْ بِالتَّاءِ ، وَالْأَكْثَرُ مَا تَهْتَمُّ .
قَالَ أَبُو نُعَيْمَةَ : وَأَجْمَعَ الْكُتُبُ عَلَى كِتَابَةِ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ
فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ وَآخِرِهِ بِالتَّاءِ . قَالَ : فَإِنْ أَضِفْتَ تَاءَ التَّائِيثِ إِلَى مُضْمَرٍ ، صَارَتْ تَاءُ
فَتَكْتُبُ تَحْجِرُكَ وَنَاقَتِكَ وَرَحِمَتِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ بِالتَّاءِ .

أما أخت وبنت ، وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمُ مِثْلُ قَائِمَاتٍ وَصَائِمَاتٍ وَتَائِبَاتٍ ، وَتَاءُ
التَّائِيثِ السَّاكِنَةُ فِي آخِرِ الْفِعْلِ نَحْوُ قَامَتْ وَقَعْدَتْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ
بِجَمْعِ ذَلِكَ بِالتَّاءِ لِأَنَّ الْوَقْفَ عَلَيْهَا بِالتَّاءِ .

قَالَ أَبُو نُعَيْمَةَ : وَهَيْئَاتُ يَوْقِفُ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ وَالتَّاءِ ، وَالْإِجْمَاعُ عَلَى كِتَابَتِهَا بِالتَّاءِ .
فَمِ الْفِعْلُ الَّذِي يَكْتُبُ عَلَى نَوْعَيْنِ :

النوع الأول

(أَنْ يَكُونَ أَسْمَا حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمَجْئَاءِ ؛ وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ)

الوجه الأول

(أَنْ يَكُونَ أَسْمَا قَاصِرًا عَلَى الْحَرْفِ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ ؛ وَلَهُ حَالَانِ)

أحدهما - أَنْ يَقْصِدَ أَسْمَ ذَلِكَ الْحَرْفِ لَا مُسَمَّاهُ فَيَكْتُبُ الْمَقْضُوفَ بِهِ نَحْوَ جِيمٍ إِذَا
سُئِلَ كِتَابَتَهُ فَيَكْتُبُ بِجِيمٍ وَيَاءٍ وَمِيمٍ .

الثاني - أن يقصد سماء لا اسمه فيجب الاختصار في الكتابة على أول حرف في الكلمة، ويكتب بصورة ذلك الحرف مثل قَ نَ صَ، ولذلك كتبت الحروف المفتحة بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالاً لهذه الحروف تميز بها، فهي أسماء مدلولاتها أشكال خطية، ولو لم يضعوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن للخط دلالة على المنطوق. ولو أقصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لها أشكالاً مفردة تميز بها لم يمكن ذلك : لأن الكتابة بحسب النطق متوقفة على معرفة كل حرف وشكل كل حرف غير موضوع، فاستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : أكتب جيم، حين، فاء، راء؛ فإنما تكتب هذه الصورة "جفر" والمففوظ بلسان الأمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالمففوظ على قياس غيره من الألفاظ .

ويشهد لذلك ما حكى ابن الخليل رحمه الله قال يوماً لطلبته : كيف ستطوفون بالجيم من جعفر ؟ فقالوا جيم فقال : إنما نطقتم بالاسم ولم تفيضوا بالمسئول عنه، ثم قال : الجواب جه لأنه المسمى من الكتاب (يريد جيم مفتوحة، وإنما أتى فيها بالهاء ليتمكن الوقف عليها) .

الوجه الثاني

(أن لا يكون الاسم قاصراً على الحرف بأن يسمى به غيره أيضاً كما إذا سُمي رجل بقاف أو ياسين، فللكتاب فيه منهيان) :

أحدهما - أن تكتب صورة الحرف هكذا قَ ويس .

والثاني - أن يكتب المففوظ به هكذا "قاف" و"ياسين" وهو اختيار أبي عمرو بن الحارث رحمه الله .

النوع الثاني

(أن لا يكون أسما لحرف من حروف المعجم، وهو على وجهين أيضا)

الوجه الأول

(أن يكون له معنى واحد فقط)

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاي، ياء^(١)، دال.

الوجه الثاني

(أن يكون له أكثر من معنى واحد)

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك: أكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) ولا فيكتب ما ينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر.

الضرب الثاني

(ما تغير عن أصله، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما تغير بالزيادة، والزيادة تقع في الكتابة بثلاثة أحرف)

الحرف الأول

(الألف، وتزداد في مواضع)

(منها) تزداد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين مئة، وإنما كانت الزيادة من حروف العلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهزمة، ولأن الفتحة من جنس الألف. ولم تكن الزيادة ياء، لأنه يستعمل في الخط أن يجمع بين حرفين مثلين في موضع ما مود فيه اللبس.

(١) عبارة الضوء فإن كان له معنى (أي واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهي أوضح.

ألا ترى إلى كتابهم خطيئة على وزن فعيلة بياء واحدة ولو كتبت على صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياين، ياء لبناء فعيلة، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لاستئصال الجمع بين الياء والواو، وجعل الفرق في مائة ولم يحصل في منه لأن مائة أسم ومنه حرف والأسم أحمل للزيادة من الحرف، ولأن المائة مخوفة باللام بدليل قولهم: أمأت الدراهم، فجعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال؛ ثم اختلف في المثني منه فقيس لا يزداد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لبس في الثنية، والراجح الزيادة كما في الأفراد: لأن الثنية لا تغير الواحد عما كان عليه . أما في حالة الجمع، فقد أضعفوا على منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغير ألف بعد ألميم: لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أبو الدين أبو حيان رحمه الله: وقد رأيت بخط بعض النحاة "مائة" على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال: وكثيرا ما أكتبُ أنا "مئة" بغير ألف كما تكتب "مئة" لأن كُتِبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذي اختاره أن تكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها .

(ومنها) تزداد بعد واو الجمع المتعطفة في آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا وأَضَرُّوا وما أشبههما فتكتب بألف بعد الواو . وسُمِّيَ ابنُ هَتَيْبة هذه الألف ألف الفصل لأنها تفصل بين الفعل كي لا تلتبس الواو في آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبتَ أَوْرَدُوا وصَدَرُوا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها ، ظن القارئ أنها واو العطف . وكتبوا ذلك في الأفعال التي تنقطع وأوها
عن الحرف كالفعلين المتقدمين ، فعلوا ذلك في الأفعال التي تنصل وأوها بالحرف
قبلها نحو كانوا وبنوا ليكون حكم هذه الواو في جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تنقطع
طرفا في آخر الكلام نحو ضروبهم وكألوهم ووزنهم ، لم تلحق به الألف . فلو
اتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو لن يضربوا ولن يذهبوا . فذهب
بعض البصريين أنه لا تلحقها الألف . ومنه الأخصس لحوقها كالمضى والأمر .
ولو اتصلت باسم نحو ضاربهم وضاربو زيد . فذهب البصريين أنها لا تلحق
بل يحصل الاسم تلو الواو . ومنه الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضاربوا زيد
وقائلا عمرو ومهوا بألف بعد الواو في الجميع ، والراجح الأول .

(ومنها) زادها الفراء يدعو ويضرو في المفرد حالة الرفع خاصة تسبها بواو الجمع .
وأطلق ابن قتيبة النقل عن بعض كتّاب زمانه بأنها لا تلحق في مثل ذلك : لأن
العلة التي أدخلت هذه الألف لأجلها في الجمع لا تنزح هنا : لأنك إذا كتبت الفعل
الذي تنصل واوه به من هذا الباب مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واؤه وأو العطف
أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا في حال
جره ، والواو في صدرها ، ووردوا وأوجع مكثف بنفسه يمكن أن يحصل للواحد
وتنهم الواو عاطفة لشيء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدمي الكتّاب
لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم في كل
موضع واحدا .

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : وفصل الكسائي في حالة النصب فقال : إن لم
يتصل^(١) به ضمير نحو لن يدعوك ، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) لعل الصواب [إن لم يتصل به ضمير نحو لن يدعو كتب بألف . وإن اتصل به ضمير نحو لن] .

(ومنها) تزداد شذوذاً بعد الواو المبدلة من الألف في الربو فتكتب بالالف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبهاً على أن الأصل أن يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت في مواضع من المصحف، كما في قوله تعالى: «إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ» تنبهاً على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة ألفاً على كل حال ولا يعتد بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هي فتح الراء دائماً، والقياس كتابته بصورة الحركة التي قبل الهمزة، وكذلك كتبوا «لَا أَوْضَعُوا» بزيادة ألف بعد اللام ألف، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره، فلا يقاس عليه والله أعلم .

الحرف الثاني

(الواو ، وتزداد في مواضع أيضاً)

(منها) تزداد في عمرو بعد الراء إذا كان علماً في حالي الرفع والجر فربما بينه وبين عمرو . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولا ألفاً لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة في عمرو دون عمر، لأن عمراً أخف من عمر من حيث بناؤه على قتل ومن حيث أنصرافه . أما في حالة النصب فلا تزداد فيه الواو ويكتب عمرو بالفاء وعمر لا يكتب بالفاء لأنه لا ينصرف، وكذلك المحلى باللام كالعمر والمضاف كعمره والواقع فافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَا أَنتَ فِي سُلَيْمٍ كَوَاوٍ * أُلْحِقْتَ فِي الْهَيْبَاءِ ظُلُمًا يَمُورُ

وكذلك عمر واحد عمُور الأستان : وهو الخمر الذي بينها، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم : لعمر الله لا تزداد فيه الواو إذ لا يلتبس . ولم يفرقوا في الكتابة بين عمر العلم وعمر جمع عمره لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبان .

(ومنها) تزداد في أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذي بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبس إليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء : لمناسبة ضمة الهمزة، ومن الألف : لاجتماع صورتى الألف وهم يحذفون الواحدة إذا اجتمعت صورتاهما، وجعلت الزيادة في أولئك دون إليك : لأن الأسم أحمل للزيادة من الجرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة . (ومنها) تزداد في أولى وفي أولو بين الألف واللام، أما في أولى فللفرق بينها وبين إلى، وأما في أولو فبالحمل على أولى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أنير الدين أبو حيان بحثا وأدعى أنه لم يظفر في تعليقه بنص . قال : وحمل التأنيث في أولات على التذكير في أولى .

(ومنها) تزداد في أوتى تصغير أوى بين الألف والياء، والتغير يأتى بالتغير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما في أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلى .

الحرف الثالث

(الياء المتناة تحت)

وتزداد في مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿بَنِيَّانَهَا يَأْتِيَنَّ﴾ بياعين بين الألف والياء من قوله : ﴿يَأْتِيَنَّ﴾ . وقوله تعالى : ﴿مَنْ نَبَأَى الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبأ، وقوله تعالى : ﴿مَنْ مَلَأَهُ﴾ و ﴿مَنْ مَلَأَهُمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الأتقيا إليه في المصحف اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما في غير المصحف فيكتب بأيد بياض واحدة لأن الهمزة فيه أول كلمة فتصور ألفا كغيرها من الهمزات الواقعة أولا على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . ويكتب من نبي ومن ملته ومن ملتهم بغير ياء لأن الهمزة في نبي وملأ أخيرة بعد فتحة فتصور ألفا كما في نحو كلاً وخطلاً، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير .

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب في هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو من كلته أو لم تضاف نحو من الكلى .

قال بعضهم : والأقرب أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو من خطته لأنها صارت معه كالمتوسطة ويكتب ألفا إذا تطرفت نحو من خطاً اعتباراً بما يؤول إليه في التخفيف والله أعلم .

النوع الثاني

(ما يغير بالنقص)

والنقص يقع في الكتابة على وجهين .

الوجه الأول

(ما لا يختص بحرف من الحروف ، وهو المدغم)

فيكتب كل مشدّد من كلمة واحدة حرفاً واحداً نحو شدّ ومدّ وآد كر ومقرّ وأقشعر فيكتب بدالاً واحدة في شدّ ومدّ وآد كر وراء واحدة في مقرّ وأقشعر وإن كان في اللفظ حرفان ، فإن الحرف المدغم فيما بعده هو متلفظ به سأكنا مدغماً ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق ، لكنه لما أدغم ضعّف بالإدغام ، إذ صار النطق به وبالمدغم فيه نطقاً واحداً فاقصر في الكتابة على حرف واحد ولم يجعل للأول صورة اختصاراً . وسواء كان المدغم إدغام مثل نحو ردّ أو مقارب نحو أطعج أصله

أضطجع . وأجروا نحو قَتَّ مجزئ ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لثنته اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثليين .
قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو مَّ وعمَّ والام^(١) .

الوجه الثاني

(ما يختص بحرف من الحروف)

ويختص ذلك في خمسة أحرف :

الحرف الأول

(الألف ، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجزء، فيكتب للقوم وللغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ؛ بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجزء فإنها لا تحذف، فيكتب بالقوم والسلام والناس بألف بين الباء واللام . وإن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام في ألقفاء وألقفات وألباس . ثم دخلت لام الجزء أو باؤه ثبتت الألف، فيكتب باللقفائا واللقفاتا وللباس الأمر على وألباسه ، فإن أدخلت ألف التعريف ولامه على الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تصل إلى الكلمة بلام الجزء وبائه لم تحذف شيئا، فيكتب باللقفاء والألقفات والألباس بلامين ولا مين^(٢) ، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجزء أو بائه، فيكتب باللقفاء والألقفات والألباس والألقفاء والألقفات والألباس .

(ومنها) تحذف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء على هذه الصورة "الله"

(١) ليس من الباب فالصواب حذفه كما وقع في النص . (٢) له باقين ولا مين .

وإن كانت المنة بعد اللام الثانية توجب ألفاً بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحن" وإن كانت المنة على الميم توجب ألفاً بعدها : لأنه لا ألتباس في هذين اليمين ، ولكثرة الاستعمال . فلو تجردا عن الألف واللام كتبنا بالألف كما قالوا : لآه أبوك يريدون لله أبوك، فحذفوا حرف الجر والألف واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رحمان الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف .

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام في عبد السلام وفي السلام عليكم، فيكتبان على هذه الصورة : "عبد السلم" و"السلم عليكم" .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة، فتكتب على هذه الصورة : "ملائكة" . قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبهه لفظ مثله ، ولكثرة الاستعمال .

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات، فتكتب على هذه الصورة : "سموات" .

قال الشيخ أبيه الدين أبو حيان : وصلة الحذف فيه علة الحذف في الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم التشبه . وأما الألف الثانية منه وهي التي بعد الواو، فإنها لا تحذف : لأنها دليل الجمع، ولأنها لو حذفت لاجتمع في الكلمة حذقان، وقد كُتِبَتْ في المصحف بحذف الألفين جميعاً فيجب الإبقاء إليه في المصحف خاصة .

(ومنها) تحذف بعد اللام في أولئك ، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة : "أولئك" و"ذلك" . فلو تجرد أولاء وذا عن حرف الخطاب وهو الكاف، كتبنا بالألف فيكتبان على هذه الصورة : "أولاء" و"ذا" .

(ومنها) تحذف بعد ها التنبيه إذا اتصلت بهذا التي للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب في آخر الكلمة ؛ فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء، فيكتب الجميع بغير ألف، فإن اتصلت بآسم الإشارة الكاف نحو ذاك أمتنع الحذف، فيكتب بألف

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة
للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا وتي في الإشارة بتاً للذكر وتي للتوث،
فإن الألف لا تحذف معهما إذا اتصلت بهما ها التنبيه، فيكتب هاها وهاتى وهاتان.
وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هاتم وهاتنا وهاتت أيضاً، فتكتب
بألف واحدة بعد الهاء في جميع ذلك . قال : وهو القياس، وكان الأصل أن تكتب
بألفين على هذه الصورة : ها أتم ها أنا ها أنت، ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألف
ها قد حذفت من ها التنبيه في غير اتصالها بنا وما والاها من رسم المصحف في ثلاثة
مواضع من القرآن الكريم في النور ﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وفي الزخرف ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾
وفي الرحمن ﴿ آيَةُ الْفَلَاحِ ﴾ .

قال ابن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب
في القرآن الكريم بالألف وغير الألف لاختلافهم في الوقف عليها .
(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثماني نساء، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو
ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان فإنه لا تحذف الألف، بل تكتب على هذه
الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذفت منه الياء فلو حذفت
الألف، لثبوته الحذف فيكثر : فمثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمْنِيًا وَثَمْنِيًا ۝ وَثَمَانُ عَشْرَةَ وَأَثْنَيْنِ وَأَرْبَعًا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفي ثمانين وجهان : أحدهما إثبات
الألف بعد الميم فيها : لأنه قد حذفت منه الياء إذ الياء في ثمانين ليست ياء ثمانية لأنها
حرف الإعراب المنقلب عن الواو في حالة الرفع، فلو حذفت الألف أيضاً لتوالى
فيه الحذف . والوجه الثاني الحذف : لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه قد عاقبتها

(١) كذا في الضوء أيضاً وله سهو أو سبق ثم فان تا وتي للتوث كما هو واضح .

بإحدى أخرى، فَمَا لَا يَجْتَمَعَانِ، فَكَأَنَّ الْإِهَاءَ مَوْجُودَةٌ لِإِجْرَاءِ الْعَاقِبِ بِجَرَى الْمُعَاقِبِ . وَإِذَا .
قُلْتُ ثَمَانُونَ بِالْوَاوِ، فَكَيْفَ حُكْمُ ثَمَانِينَ بِالْيَاءِ فِي جَوَازِ الْوَجْهِينِ .

(وَمِنْهَا) تَحْدَفُ بَعْدَ الْإِهَاءِ مِنْ ثَلَاثٍ فَيَكْتُبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ : ”ثَلَاثٌ“ سَوَاءً
كَانَتْ مَقْرَدَةً، نَحْوَ عِنْدِي ثَلَاثٌ مِنَ الْبَطِّ، أَوْ مَضَافَةً نَحْوَ ثَلَاثَ نِسَاءً، أَوْ مُرَكَّبَةً نَحْوَ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ أَمْرًا، أَوْ مَعْطُوفَةً نَحْوَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثُونَ جَارِيَةً، وَحُكْمُ ثَلَاثَةٍ بِالتَّاءِ كَذَلِكَ
فِي جَمِيعِ الصُّورِ .

وَكَذَلِكَ تَحْدَفُ أَيْضًا مِنْ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثُونَ بِالْيَاءِ وَالْوَاوِ، فَيَكْتُبَانِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ :
”ثَلَاثِينَ“ وَ”ثَلَاثُونَ“ .

فَإِنَّمَا ثَلَاثُ الْمَعْدُولِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ”ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ“ . فَقَالَ الشَّيْخُ أَمِيرُ الدِّينِ
أَبُو حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمْ أَقِفْ فِيهِ عَلَى قَوْلٍ . قَالَ : وَالَّذِي أَخْتَارُهُ أَنْ يَكْتُبَ
بِالْأَلْفِ لَوَجْهِينِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَثْرَةً ثَلَاثٌ ، وَثَلَاثَةٌ ، وَثَلَاثِينَ ، وَثَلَاثُونَ . وَالثَّانِي
أَنَّهُ لَوْ حَذَفْتُ لِأَكْثَرِ ثَلَاثٍ الَّذِي لَيْسَ بِمَعْدُولٍ .

قَالَ أَبُو بَنِي قَاسِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي ”الْمُقْنَعِ“ أَنَّهُ مَحْذُوفٌ فِي الرَّسْمِ .

(وَمِنْهَا) تَحْدَفُ مِنْ - يَ - الَّتِي لِلنِّدَاءِ إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَمْزَةٍ نَحْوَ يَا أَحْمَدُ، يَا إِبْرَاهِيمَ،
يَا أَبَا يَكْرَ، يَا أَبَانَ، فَتَكْتُبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ : يَا أَحْمَدُ، يَا إِبْرَاهِيمَ، يَا أَبَاكَرَ، يَا أَبَانَ .
ثُمَّ الْأَظْهَرُ أَنَّ الْمَحْذُوفَ هُوَ أَلْفٌ يَ لَا صُورَةَ الْهَمْزَةِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : الْمَحْذُوفُ صُورَةُ الْهَمْزَةِ لَا الْأَلْفُ مِنْ يَ نَعَمْ إِذَا كَانَتْ
الْهَمْزَةُ الْمُتَّصِلَةُ بِهَا كَهَمْزَةِ آدَمَ أَمْتَعِ الْحَنْفَ، وَكُتِبَتْ بِأَلْفَيْنِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ :
يَا آدَمَ : لِأَنَّهُمْ قَدْ حَذَفُوا أَلْفًا مِنْ آدَمَ لِتَوَالِي أَلْفَيْنِ، وَحَرَفَ النَّدَاءَ مَعَ الْمُنَادَى كَالْكَلِمَةِ
الْوَاحِدَةِ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا فَلَوْ جُذِفَتِ الْأَلْفُ مِنْ يَ لَاجْتِمَاعِ فِيمَا هُوَ
كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ حَذَفَ أَلْفَيْنِ .

أما إذا لم يل يا همزة البتة نحو يازيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكُتَّابُ فيه إثبات الألف في يا . وفي كلام أحمد بن يحيى تجويز كتابته بنير ألف أيضا، توجيها بأنهم جملوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مقام الألف واللام بدليل أنهم لا يتأدون ما فيه ألف ولام، فلا يقولون يا الرجل .

(ومنها) تخفف من الحارث إذا كان علما ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هذه الصورة : الحرث . أما إذا عرى عن الألف واللام، فإنه ثبت فيه الألف لثلاث يلتبس بحرب بالياء الموحدة إذ قد سمي به، وإنما امتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام على ما كان صفة إذا أريد به معنى التفاضل وحرب ليس بصفة فلم يدخل عليه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر كالعلماء . وكذلك إذا كان حارث اسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تخفف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شيء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب على هذه الصورة : ملك، وصليح، وخلد، وإبراهيم، وإسماعيل، وهرون، وسليمان . بخلاف ما إذا لم يكثر استعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فإنها لا تخفف ألفها .

وقد حذفت في بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة : هروت، وهروت، وهمن، وقرون .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها في نحو صالح، وخالد، ومالك جيد .

وقال أحمد بن يحيى : يجوز فيه الوجهان ، وهو قضية كلام ابن قتيبة .
 أما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو هالة وأوس^(١)
 ولام ، فإنه لا تحذف ألفه ، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو إسرائيل
 وداود ، لأنهم قد حذفوا من إسرائيل صورة الهمزة ، ومن داود الواو فامتنع حذف
 الألف لئلا يتوالى الحذف .

ويلحق بذلك في الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه : كما مر ، وعباس ، فلا
 تحذف منه الألف أيضا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لالتبس عامر بعمر ، وعباس
 بعبس .

(ومنها) تحذف استحسانا مما كثر استعماله ، مما في آخره الألف والنون نحو شعبان ،
 وعثمان وما أشبههما ، فيكتبان على هذه الصورة "شعبن" و "عثمن" .
 قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمرات
 والإثبات في نحو شعبان حسن أيضا .

قال ابن قتيبة : فأما شيطان ، ودهقان ، فإنبات الألف فيهما حسن . وكان القياس
 إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبتا بغير ألف ، إلا أن الكتاب مجمعون على
 ترك القياس في ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل ، إذا لم يحصل
 بالحذف التباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له في الصورة ، بحيث لا يقع اللبس مثل
 خواتم ودواق في وزن مفاعل ومحاريب وتمائيل وشياطين في وزن مفاعيل

(١) كذا في الأصل والنسوخ أيضا .

تُحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : حَوَاتِم ، وَدَوَاتِق ، وَمَعْرِب ، وَتَمِيل ، وَشَيْطِين ، وَدَهْقِين . إذ المفرد منها حَاتِمٌ ، وَدَاتِيقٌ ، وَمَعْرَابٌ ، وَشَيْطَانٌ ، وَدِهْقَانٌ ، وهي لأشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ، مثل مساكين في وزن مفاعيل جمع مسكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد . فلو كان الحذف يؤدي إلى واقفته للواحد في الصورة لكانت في غير موضع المفرد نحو ثلاثة دراهم ، ودرهم جيد ، ودرهم معدودة ، حذفت منه الألف وكتب على هذه الصورة : ثلاثة دراهم ، ودرهم جيد ، ودرهم معدودة ، لأنه لا يلتبس حينئذ . بخلاف عندي دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه ، لالتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف في مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا فالإثبات أجود .

وشرط بعض المغاربة في جواز الحذف شرطا : وهو أن لا تكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين ، فلا تحذف الألف من نحو سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ، لئلا يجتمع مثلاً في الخط وهو مكروه في الخط ككراهته في اللفظ .

وقد كتبت في المصحف مساكين ، ومساكينهم بغير ألف على هذه الصورة مساكين ، ومساكينهم ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أبيه الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبنا كذلك لأنهما قد قرئتا بالافراد فكتبنا على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا (وَمَا يُجَادِعُونَ) بغير ألف على هذه الصورة (وَمَا يُجَادِعُونَ) لأنه يصلح لقراءة يُجَادِعُونَ من الثلاثي .

(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والياء المزدتين نحو صالحات ، وطبائدت ، وقائنات ، وذكرات ، فكتب على هذه الصورة "صالحات ، وطبائدت ، وقائنات ، وذكرات" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين، والقانتين، فيكتب على هذه الصورة: "المسلمين" و"القنتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث .

وقال بعض المغاربة: إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالمباوات، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى . وثبت في المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة: "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغيايات . وإن كان ليس فيه ألف أخرى فاختار إثبات الألف كالمسلمات، وثبت أيضا في المصحف بحذف الألف على هذه الصورة: مسلمات .

قال: وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا: كالشاكرين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها في كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة "الشكرين، والصبقين، والخمرين، والكافرين، والظالمين" .

نعم إن خيف اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، أمتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لالتبس بطلحات جمع طلحة . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لالتبس بجذرين، وفريين، وهما مختلفان في الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهب به متعّب الزمان، وقيل يدل على المبالغة لاعل الزمان .

وكذلك لو كان مضعفا مثل شابات، والعاذين، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص في الخط إذ جعلوا الصورة للندغم والمندغم فيه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا في المصحف الضالين والعاذين بالألف . وقد أجرى مجزئ المضعف في الإثبات ما بعد ألفه همزة نحو الخاشين . وقد حذفت ألفه في بعض

المصاحف، فكتب على هذه الصورة "الْحَنِينَ". ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتل اللام مثل دانيات حملا على داتين، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات، ومثل الرامين لأنه قد حذف منه لام الفصل. وحمل الألف والياء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات في حذف الألف، وإن كانت العلة فيما مفقودة. قال ابن قتيبة: وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الألف نحوهم القاضون، والراؤون، والساعون، لأنهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لما استقبلوا ضمة في الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء، فكروا أن يحذفوا الألف أيضا لتلا يخلوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل آدم، وأزر، وأمين، وأمين، وآتين، وآفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشنان، وشبيهه، فكتب على هذه الصورة "آدم، وأزر، وآمين، وآتين، وآفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشنان" فلو أمتنع الأول منهما كما في قرأ لفعل الاكثين من القراءة، كتب بالفين على هذه الصورة: (قرأ)، لتلا يمتس فعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بآلف واحدة. وذهب قوم إلى أنه في التثنية يكتب أيضا بآلف واحدة مستندا إلى ألف الاكثين، وبه قال أحمد بن يحيى. والذي عليه المتأخرون وهو الأجود عند ابن قتيبة ما هتتم.

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات، مثل برأت جمع براءة، ومسألت جمع ساءة، فكتب بالفين فقط على هذه الصورة: "برأت" و"مسأت" لأنها في الجمع ثلاث ألفات. فلو حذفوا اثنتين، أخلوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم، أو فعل، نحو الله أذن لكم؟ السحر إن الله سيبيطه؟ ألدركين حرم أم الاثنين؟ أبطفى البتات على البتين؟

الرجل في النار؟ أسمعك زيد أم عمرو؟ فكتب بالـف واحدة على هذه الصورة:
الله؟ ألسحر؟ ألدكرين؟ الرجل؟ أسمعك؟ الآن؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى، وعليه جرى ابن مالك رحمه الله: أنه لافرق بين
المكسورة، والمضمومة. والذي ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بالـين، إحداهما
الف الوصل، والأخرى همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: وجاز في نحو الرجل الأمران،
ورسمت في المصحف بالـف واحدة نحو ألدكرين، الآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجز، نحو
عَمَّ تَسْأَلُ؟ وَفِيمَ تَفَكَّرُ؟ وَبِمَ قَرِئْتَ؟ وَلِمَ تَكَلَّمْتَ؟ وَبِمَ حَلِمْتَ؟ وَحَتَّى تَقْضُبُ؟
وَعَلَّامٌ تَدَّأَبُ؟ فكتب كلها بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة، ويصير
حرف الجز كأنه عوض من الألف المحذوفة. وكان الحذف من الاستفهامية دون
الموصولة لأن آخرها انتهى الأسم، والأطراف محل التغير. بخلاف الموصولة: لأنها
متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .

وحكى الكوفيون ثبوتها في الاستفهامية أيضا، وإله أعلم .

تذنب

تحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف في أربعة مواضع :

الأول - تحذف بعد الباء من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فكتب بغير ألف على
هذه الصورة: "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب ياها بالألف لكنها حذفت لكثرة
الاستعمال، أما في غير بسم الله الرحمن الرحيم، فظاهر كلام ابن مالك أنها لا تحذف،
فتبت في بسم ربك، وفي باسم الله، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلقا بهاء ملفوظا به ، حذف وإلا فلا ، تثبت في بسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفي نحو قولك تبركت باسم الله : لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئت أثبت وإن شئت حذف ، فمن أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ، ومن حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم في الأصل ، لحذف في الاستعمال . فإن أضفت الاسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائي : تحذف ، وقال الفراء : لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كررت معه ، فإذا علوت ذلك أثبت الألف .

الثاني - تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هي فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك فأت وأت : لأنهم لو أختبوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين الفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التي هي فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الاتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين الفين في سائر مجامعهم إلا على خلاف في المتطرفة كما مر ، لأن الأطراف محل التغيرات والزيادة ، فلذلك حذفوها في نحو فأذن ، وأتمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأَمْرُ أَهْلَكَ ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التي هي فاء الفعل ثبتت ، نحو أئتو ﴿ الَّذِي أَتَيْنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنَ لِي ﴾ وكذلك لو كانت ابتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو أذن لي ، أوتن فلان ، ثبت أيضا ، أو ليست فاء ، نحو ثم أضرب ، وأضرب ، فأضرب . وكذلك في ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَى ﴾ .

الثالث - تحذف في أين وأينة مما وقع فيه أين مفردا صفة بين علمين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنت فلان بغير ألف في أين وأينة . ولا فرق في ذلك بين أن يكون العلمان اسمين ، نحو هذا أحمد بن عمر ، أو كنييتين ،

نحو هذا أبو بكر بن أبي عبد الله، أو لقين، نحو هذا نبت بن بطة، أو أسما وكنية،
نحو هذا زيد بن أبي قُصافة، أو لقبا وأسما، نحو هذا أنف الثاقبة بن زيد، أو كنية
ولقبا، نحو هذا أبو الحرث بن نبت، أو لقبا وكنية، نحو هذا بدر الدين بن أبي بكر.

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من ابن ولا تسقط فيها عداها، فلو قلت هذا
زيد أبنيك، وابن أخيك، وابن عمك، ونحو ذلك مما ليس له صيغة بين علمين، أثبت^(١)
فيه الألف. وكذلك إذا كان خبرا كقولك: أطلق زيدا ابن عمرو، وكان بكرا
ابن خالد، وإن زيدا ابن عمرو، فتثبت الألف في الجميع. ومنه في القراءة الكريم:
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ) كتبنا في المصحف
بالألف. فلو ثبت الألف، ألحقت فيه الألف صفة كان أو خبرا، فتكتب قال
عبد الله: وزيد أبنا محمد كذا وكذا، وأطلق عبد الله وزيدا ابن محمد قولا كذا بالألف.
وكذلك إذا ذكرت ابنا بغير اسم، فتكتب: جاء ابن عبد الله بالألف أيضا، وحكم
أبنة مؤنثا في جميع ما ذكر حكم الابن، تقول: جاءت هند بنت قيس، فتخفف الألف.
وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أن يكون مذكرا فلا تسقط من أبنة.

وقيل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائي: أنه متى كان منسوبا إلى اسم أبيه
أو أمه أو كنية أبيه أو أمه وكان نعتا، حذفوا الألف فلم يميزه في غير الاسم والكنية
في الأب والأم. قال: وأما الكسائي فقال: إذا أضفت إلى اسم أبيه أو كنية أبيه،
وكانت الكنية معروفة بها كما يعرف باسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات،
والحذف استعمال؛ فلذا عدى الاستعمال، رجع إلى الأصل.

وحكى ابن جني عن متأخرى الكُتّاب: أنهم لا يحنفون الألف مع الكنية، فقد تمت
أو تأخرت. قال: وهو محدود عند العلماء على قياس مذاهم.

(١) في الفقه [مما ليس بين علمين] وفي أوضح. [ولعل الأمل مما ليس صفة ...].

والألف تحذف من الخط في كل موضع يحذف منه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُفَى .

الرابع - تحذف من كل مُعَوِّف بالألف واللام إذا دخلت عليه لأم الابتداء، نحو ﴿وَلَا حِرَّةَ يُعَرِّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أو لأم الجزء نحو للثار ألف ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبات كما أتتوها في لأبك قائم ، ولأبك مال ؛ وسبب حذفها التباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلى أنها لا تحذف مع لام الابتداء فرقا بينها وبين الجازمة . ولم يحذفوها من نحو مررت بالرجل واهه أطم .

الحرف الثاني

(اللام، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف من الذى للزومها، فكانها ليست مفصلة، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفردة في لزوم البناء، ولفظ الواحد كأنه باق فيه؛ ولم يحذفوه من المنثى كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ آخِضْنَا﴾ فكتبوه بلامين فرقا بينه وبين الجمع . وإنما آخضت التثنية بالإثبات، لأنها أسبق من الجمع، واللبس إنما حصل بالجمع .

(ومنها) تحذف من التي للزومها كما تقدم، ومن تثنيها وهى التآن، وجمعها : وهى الآتى لأتهما لا يتيسران، بخلاف تثنية الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيى : كتبوا اللاتى (التي) واللاتى (التي) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهذا للأصمال لأنه يقل في الكلام مثله ، ويدل عليه ما قبله وما بعده، ولو كتب على لفظه كان أولى .

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله: والذي عهدناه من الكتاب أنه لا تحذف الألف لتلا يتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليلة على أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة على هذه الصورة : " اللَّيْلُ وَاللَّيْلَةُ " : لَأَنَّ فِيهِ أَتْبَاعَ الْمُصَحَفِ ؛ وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ كِتَابَتَهُ بِلَامَيْنِ . قال أبو حيان : وهو القياس .
(ومنها) تحذف من ... (١) ... ونحوه ، مما دخل عليه لام الجز فيكتب بلامين وإن كان في اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيى : يكتب العُطِيف بلام واحدة لأنه قد عُرِفَ فحذف ، وهذا بخلاف اللّهُو، واللّعب، واللّعبة، واللاعين، واللّغو، واللّؤلؤ، والآلات، واللّهم، واللّهب، واللّزامة ، فإنها لا تحذف منها اللام .
قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوله لاماً ثم أدخلت عليه لام التعريف ، كتبتّه بلامين ، نحو اللّهم ، والابن ، واللّهم ، واللّجام ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا في الليل والليلة لموافقة المصحف كما تقدّم .

الحرف الثالث

(النون، وتحذف في مواضع)

- (منها) تحذف مِنَّ عَنِّ إِذَا وَصَلَتْ يَمُنْ أَوْ يَمَا، فتكتب عَمَّنْ وَعَمَّا وَعَمَّ .
- (ومنها) تحذف مِنَّ مِنْ الْجَارَةِ إِذَا وَصَلَتْ يَمُنْ أَوْ مَا، فتكتب مِمَّنْ وَمِمَّا .
- (ومنها) تحذف مِنَّ إِنْ إِذَا وَصَلَتْ يَلَمَّ، فتكتب لِمَّ .
- (ومنها) تحذف من أَنَّ الْمُفْتُوحَةِ إِذَا وَصَلَتْ يَلَا، فتكتب لَّا .

(١) يياض بالأمل ولعله من اللَّبِّ ونحوه الخ .

الحرف الرابع

(الواو، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف لأمن اللبس، مثل ما كتبوا من قوله تعالى: ﴿يَذْعُ الذَّالِقُ﴾،
﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ بنى واو في يلعو ويحمو، لأن ذر القاع في الأول،
وذكر الله تعالى في الثاني يمنع أن يكون الفاعل جماعة فلا يحصل اللبس، بخلاف
قولك لا تضربوا الرجل: فإنه لو حذف لاكتبس الجمع فيه بالواحد.

(ومنها) تحذف مما توالى فيه واوان في كلمة واحدة، مثل داود، وطاوس،
ورؤوس، ويستوون، ويلوون، وأووا إلى الكهف، ويسووا، وتوؤوا، وجأوا،
وأؤوا، وأسأوا، ويؤؤه، ويؤؤس، وغادرؤوا، ومبرؤون، فيكتب بواو واحدة.
وكتب بعضهم طاووس ونحوه بواوين على الأصل، والقياس الاختصار على واو
واحدة كراهة اجتماع المثليين.

وأستثنى ابن عصفور من ذلك موضعاً، وهو أن لا يؤدى إلى اللبس، نحو قوول
وصوول على وزن فوول فإنه يلتمس بقولي وصوول، وأختره أحمد بن يحيى.

(ومنها) تحذف مما توالى فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة، مثل يسوعوا،
وينوعون، فكتب ليسوعوا، وينوعون، بواوين فقط، ويكتب لوؤوا، وأجتوؤوا،
والتوؤوا، بواوين، لأنه لو حذفت إحدى الواوين لاكتبس الجمع بالمفرد.
وقع في المصحف كتابة يستوون، ويلوون، وبواو واحدة، وذلك لأن في يستوون
ونحوه أجمع واوان وضمة، فناسب الحذف، وفي لوؤوا زعمهم، ونحوه أفتح ما قبل
الواو فناسب الإثبات.

(ومنها) تحذف للجزم كما في قولك لم يمتد تحذف الواو علامة للجزم، والله سبحانه
وتعالى أعلم.

الحرف الخامس

(الياء، وتحذف في مواضع)

(منها) للجزم كما في قولك : لم يقض ، فتحذف الياء من آخره علامة للجزم .
 (ومنها) تحذف لمراعاة القواصل ، نحو قوله تعالى : "وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ" بغير ياء
 في آخرها لمراعاة ما قبله من قوله "وَالْقَمَرِ" .
 (ومنها) تحذف فيما توالي فيه ياءان أو ثلاثة ، فَتَكْتُبُ النَّبِيَّ ، وَخَاسِثِينَ ، وَخَاطِئِينَ ،
 وإسرائيل ، وما أشبه ذلك بياءين فقط ، وإن كان في اللفظ ثلاث ياءات .
 (ومنها) تحذف لأمن اللبس ، فَتَكْتُبُ قَارِئِينَ جمع قارئ ياء واحدة ، فوفا بينها
 وبين قَارِئِينَ ثنية قارئ فلها تكتب بياءين .
 (ومنها) تحذف مدة ضمير الغائب مثل قولك : ضربه ، فتكتبه بغير واو ، وإن كنت
 تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفها ووقفت على المهاء ساكنة ، وكذلك مدة ضمير
 الغائتين ، مثل قولك : ضربهم في لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفها إذا وليت
 الكاف ، نحو ضربكم زيد ولكم في لغة من وصل الميم بواو وبياء ، لأنه إذا وقف
 حذف الصلة والله أعلم .

النوع الثالث

(ما يُقَرَّبُ بالبدل)

والحروف التي يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والألف والياء
 أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف في ثلاثة محال :

(١) لعل في العبارة سقطا والأصل يكتب بياء فقط وإن كان في اللفظ يامين وبيامين فقط وإن كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحل الأول

(الاسم، وهو ثلاثة أحوال)

الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً، نحو المِعْزَى، والمُسْتَدْعَى،
والْحَبْلَى، والمرْضَى، والمَلْهُى، والمدْعَى، والمُسْتَرَى، ومِقْلَى، ومَثْنَى، وكذلك أَعْمَى،
وَأَعْتَمَى، وأُظْمَى، وأَفْتَى، وأَذْنَى، وأَعْلَى، ومُعَاثَى، ومُعَادَى، وما أشبه ذلك، فتكتب
الألف في جميع ذلك ياءً سواء كان متقلبا عن واو أو متقلبا عن ياء، لأنك إذا شئت
شئت بالياء، ومن ثم كتبت ياويلتى، وياحسرتى، ويا أسفنى، بالياء إشعاراً بأنها مما تمال
أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو الدنيا، والعليا، والقضيا، وهذيا، ومعميا،
ومعيا، وعام حياً ورؤياً، وسُقياً، فإنك لا تكتب الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان
في الخط، ثم يغتفر ذلك في نحو يحيى ودرى علمين: للفرق بين يحيى علما وبينه فعلا
وبين درى علما وبينه وصفاً، وكان البديل في العلم دون الوصف والفعل لأن الفعل
والصفة أهمل.

قال ابن قتيبة: وأحسبهم أتبعوا في يحيى رسم المصحف.

فلو كان مهموزاً، نحو مستقراً، ومستنبثاً، أو قبل آخره ياء نحو خطايا، وزوايا،
وركايا، والحوايا، والحياء، وما أشبه كتب بالألف.

الحال الثاني - أن تكون الألف فيه تالفة، فإن كانت مبذلة عن ياء، نحو قَتَى،
ورحى، وسوى، والمُهدَى، والمُدَى للغاية، والهوى، والهوى النفس، وتُدَى الأرض، وتُدَى
الجود، وحَى الدابة، والكرى النوم، والقُدَى، والأُدَى، والْحَى: يَحْشُ القول، والْبَضَى:
المرض، والرْدَى: الهلاك، والطَوَى: الجوع، والأَمَى: الحزن، والمَمَى: في القلب
والعين، والجَمَى: جنى الثمرة، والصدى: العطش، والشرى: في الجسد، والضوى:

(١) كذا في الضو، أيضاً وليس مما نحن فيه.

الْمُرْزَالُ، وَالْثَرَى : التراب التَّيْدَى، وَالْجَوَى : داء في الجوف، وَالسَّرَى : [سَيْد]
 اللبل، وَالسَلَى : سَلَى الناقة، وَمَتَى : المكان المعروف، وَالْمَدَى^(١) الغاية، وَالصَّدَى أَسْم
 طائر يقال إنه ذكر البوم، وَالنَّسَى : عرق في الصَّخْدِ، وَطَوَى : وَاْدٍ، وَالْوَغَى :
 الحرب، وَالْوَحَى : السَّجَلُ، وَالْوَرَى : الخَلْقُ، وَالْدَّرَى : الناحية وأنا في ذَرَى
 فلان، وَالْمَعَى واحد الأمعاء، وَالْجَحَى وَالنَّهَى العقلُ، وَالْحَتَى واحد الأحشاء، وما
 أشبه ذلك كتب بالياء.

وإن كانت متقلبة عن واو، نحو عصا، وَمَتَا لِلْقَدَرِ، وَرَجَا لْجَانِبِ الْبَيْتِ، وَالْقَفَا
 في الأنف، وَالرَّيَا وَالْقَرَا للظهر، وَالْمَشَا في العين، وَالْقَفَا قَفَا الْإِنْسَانِ، وَالصَّغَا : مَبْلُكُ
 للرجل، وَوَطَا جمع وطاة، وَ[لُحَا] جمع لُحاة، وَالْقَلَا جمع فلاة، كتب بالألف .
 وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التننية تقول في الأول فتيان، ورجيان،
 ويسويان .

قال ابن قتيبة : فلو ورد عليك أَسْم قد مُتَّى بالواو والياء عَمِلَتْ عَلَى الْأَكْثَرِ الْأَمُّ .
 وذلك نحو رَحَى، فَإِنْ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ رَحَوْتَ الرَّحَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَحَيْتَ،
 قال : وَكُتِبَتْ بِالْيَاءِ أَحَبُّ لِي لِأَنَّهَا اللَّفْظُ الْعَالِيَةُ .

وكذلك الرُّضَا مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ فِي تَنْبِيْهِ رَضِيَانٌ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَضَوَانٌ،
 قال : وَكَتَبْتَهُ بِالْأَلْفِ أَحَبُّ لِي : لِأَنَّ الْوَاوَ فِيهِ أَكْثَرُ، وَهُوَ مِنَ الرِّضْوَانِ . وَكَذَلِكَ
 الْحَكَمُ مِنْ مَتَّى، لِأَنَّهَا لَوْ يُتَمَّى بِهَا وَتَمَّتْ، لَقُلْتُ مَتِيَانٌ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ . وَتَقُولُ
 فِي الثَّانِي : عَصَوَانٌ وَمَتَوَانٌ وَرَجَوَانٌ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ . فَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ
 شَيْءٌ فَلَمْ تَعْلَمْ أَهْوَمُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ [أَوْ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ] ؟^(٢) نَحْوَ خَسَا بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةُ
 وَالسِّينُ الْمُهْمَلَةُ، كُتِبَتْهُ بِالْأَلْفِ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ .

(١) تقدم فهو مكرر . (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كله بالالف على الأصل وهو أسهل للكتاب. وعلى تقدير كتبها بالياء فلو كان متونا فاختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرد وقياس المازني أن يكتب بالف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال .
وقاس سيويه المنصوب بالالف لأنه للتنوين فقط .^(١)

قال ابن قتيبة: وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث، فما كان في المؤنث بالياء كتبت بالياء، نحو العمى، والظمى، لأنك تقول عمياء وظمياء، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبت بالالف، نحو العشا في العير، والعنا وهو كثرة شعر الوجه، والقفا في الألف، لأنك تقول عشاء وقتواء، وعشاء .

قال : وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحد في الهاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصى، والقطا، والنوى، فما كان جمعه بالواو كتبت بالالف، وما كان جمعه بالياء كتبت بالياء .

وكتبت لدى بالياء لاقلابها ياء في لَدَيْكَ .

وأما كَلَّا، فالصحيح من منذهب البصريين أنها تكتب بالالف، لأن ألفه عن واو. ومن زعم أنها عن ياء كالميم، كتبت بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ على منذهبهم لأن الألف عندهم للتثنية، وألف التثنية لا يجوز أن تكتب ياء لكلا يلبس المرفوع بغيره . وقياس كلنا عند البصريين أن تكتب ياء، وشذ كاتبها بالالف .

قال ابن قتيبة : والذي أستحبه أن تُكتبَ كَلَّا وكَلَّا في حال الرفع بالالف ، وفي حالتى الجر والنصب بالياء . فإذا قلت : أتاني كَلَّا الرجلين أو كَلَّا المرأتين، كتبه بالالف . وإذا قلت : رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبه بالياء، لأن العرب قد فرقت بينهما في اللفظ فقالوا :^(٢) رأيت الرجلين كليهما، ومررت بالرجلين كليهما، ومررت بالمرأتين كليهما . وقالوا : جاءني الرجلان كلاهما، والمرأتان كلاهما .

(١) له المنصوب فقط يقال يكتب بالالف الخ . (٢) أى مع المكى كما هي عبارة ابن قتيبة .

وتتري إن لم تتون، فالفقه للتأنيث وإن توت فهي للإلحاق، وقياسها أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه قيل، فالفقه بدل التنوين كالف صبرا، فهو قياسه .
 ووقع في كلام ابن البادس أن تتري في الخط بياء، وهو خلاف المعروف .

تنبيه

لو اتصل الاسم الذي يكتب بالياء بضمير متصل، نحو رحاك، وقفاك، وملهاك، ومرعاك، فقيل يكتب بالياء كحال عدم اتصالها، فيكتب على هذه الصورة: رحاك، وقفيك، وملهيك، ومرعيك .

قال الشيخ أثير الدين أبوحيان رحمه الله : واختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل به ضمير خفض أو ضمير نصب، سواء كان ثانيا أم أزيدا، إلا إحدى خاصة فإنها تكتب بالياء حال اتصالها بضمير انخفض، نحو من أحسبها كالمها دون الاتصال، واختلفوا إذا اتصلت بياء تأنيث تنقلب هاء في الوقف، فذهب البصريون إلى كتابتها ألفا، نحو الحصاة، واختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصية .

الحال الثالث - أن تكون الألف فيه ثانية، نحو ما إذا كانا آسين، فيكتب بالألف على صورة النطق به .

المحل الثاني

(الفعل، وله حالان)

الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا، نحو أعطى، وأستغنى، وتداعى، وتعادى، وأستندى، وما أشبهه فتكتبه كله بالياء إلا أن يكون مهموزا، نحو أخطأ، وأنبا، ونحاطا، وأستبأ، فإنه يكتب بالألف . وكذلك إذا كان قبل آخره ياء، نحو أمتحيا، وتحايا، وأعيا، وتعايا، وأستعيا، وما أشبهه فإنه يكتب بالألف .

ووقع في بعض المصاحف ﴿ تَحْتَسِبُ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالالف في آخر تحتسبى ،
وفي بعض المصاحف بالياء .

الحال الثاني - أن تكون الألف ثالثة ، فترده إلى نفسك ، فإن ظهرت فيه
الواو فأكتبه بالالف ، نحو قولك : عداء ، ودما ، ومحا ، وغزاة ، وسلا ، وعلا من العلوة ،
لأنك تقول : عدوت ، ودعوت ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذ زكا ،
فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكا يزكو ، إلا أن العرب يُميلون
الأفعال ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فأكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ، ومشي ،
وسعى ، وعسى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، ويجوز كتابته
بالالف أيضا .

تنبيه

لو اتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو رماه ، وجزاه ، ورماه ، فقبل يكتب على حاله
بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجزاه ، ورعيه ، والصحيح كتابته بالالف .
قال ابن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله
بالياء ، فكتب أغزى فلان فلانا ، وأدى فلان فلانا ، وألمى فلان فلانا بالياء . وهو
من غزوت ، ودنوت ، ولحوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألميت .
وكذلك تكتب يغزى ، ويذى ، ويُلهى ، على البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول
في تنبيه : يغزيان ، ويذنيان ، ويُلهيان .

المحل الثالث

(بعض الحروف)

وأعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب ألفاً على صورة لفظه ،
نحو ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وأستثنوا من ذلك أرج صور فكتبوها بالياء .

إحداها - إلى، قال بعض النحاة لإمالتها: وقال سيدييه: لأنه إذا سمي بها وثبت قيل بِلَيَّانٍ كما يقال في مقيّ مَيَّانٍ .

الثانية - إلى، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء في قولهم إليك .

الثالثة - على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا في قولهم إليك .

قال ابن قتيبة: وكان القياس فيها وفي إلى أن تكتب بالالف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعة - حتى، وكتبت بالياء حملا على إلى لكونهما بمعنى الانتهاء والفاية، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيه

لو وليت ما الاستفهامية حتى، أو إلى، أو على، كُتِبَ بالالف على هذه الصورة: حَتَّامٌ، وإلام، وعَلَامٌ، لأنها شديدة الاتصال بما الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه، فكأن الف وقعت وسطا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالالف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: فإن وصل في حَتَّامٍ وإلى الهاء الحائرة، فلك أن تجربها على الاتصال ولا تمتد بها، ولك أن تعتد بها وترجع الف في حتى، وإلى، وعلى، إلى أصلها، فتكتب بالياء يعني على هذه الصورة حتى مه، وإلى مه، وعلى مه .

(فائدة)

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للجاوزة كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ فَإِنَّ الضُّحَى ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، ولكنه كتب بالياء لمجاورة يحيى، ويحيى وإن كان من ذوات الواو أيضا، كتب بالياء لمجاورة قلى الذى هو من ذوات الياء، فسجى مجاوره، والضحى مجاور المجاور.

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضع من رسم المصحف الكريم : وهى الصلاة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومِسْكَاة، وَمِنَاة، فكتب على هذه الصورة : الصلوة، والزكوة، والحياة، والنجوة، ومِنُوَّة، ومِسْكُوَّة. ففهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضا اتباعا للسلف فى ذلك، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس، ووجه بآب رسم المصحف متبع فى القرآن خاصة، ولا يكتب شيء من نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة، والقطاة، أقصارا على ما ورد به الرسم السلفى .

قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو على لغات الأعراب، وكانوا يميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئا . وقيل بل كتبت على الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات، وحيوات، وإنما قلبت ألفا، لما أفتحت وأفتحت ما قبلها .

قال : ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة : أى الصلاة، والزكاة، والحياة، لكان من أحب الأشياء إلى أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الراء بين العوض والعوض منه، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الروا . وفى بعض المصاحف ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاٍۭ بِأَلْفٍ بِغَيْرِ وَاوٍ ۖ وَمَا سِوَاهُ فَلَا خِلَافَ فِيهِ ۚ ۝﴾

تنبيه

لو اتصل بشيء مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاحهم، وزكاتهم، وحياتك، ونجاته، ومِسْكَاته، ورباه، كتبت بالألف دون الياء، والله أعلم .^(١)

(١) كذا فى الضوء أيضا . ولعل سواه دون الواو .

القسم الثاني

(ما ليس له صورة تخصه)

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة؛ ولما ثلاثة أحوال.

الحال الأول

(أن تكون في أول الكلمة)

فكتب ألفا بأى حركة تحركت : من فتحة، مثل أحمد، وأيوب، وأحد؛ أو ضمة : نحو أخذ، وأكرم، وأوحى، وأولئك ؛ أو كسرة : نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وإئيد، وإيل، وإذ، وإذا، وإلى، وإلا، وإما، سواء في ذلك همزة القطع مثل أكرم، وهمزة الوصل مثل اتخذ، والهمزة الأصلية مثل امرئ، والهمزة الزائدة مثل إشاح . وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقربها من الساكن، والساكن لا يقع أولا، فجعلت لذلك على صورة واحدة . وأختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزة في المخرج ، وفارقت أختيها في الخفة ، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الهمزة مبدأة كما في الصور المذكورة ، أو تقسمها لفظ آخر، نحو ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ . وفأتى ، وأفانت، وبأنه ، وكأنه ، وكأنين ، وبإيمان ، ولإيلاف، ولإيمام، وسأترك، ولأقطعن، ومررت بأحمد، وجئت لأكرمك، وأكتنلت بالإئيد، إلا فيما شذ من ذلك، نحو هؤلاء، وأبؤم، ولئن، ولئلا، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أولا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وأبؤم بالواو، وإن كانت في الحقيقة مبدأة . دليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن أسم الإشارة . وكذلك ابن أسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة أؤم، فكتبوها بالواو، وراعوا في ذلك كثرة لزوم

هذه الإشارة، وعدم انفكك أبثوم الواقع في القرآن، فكانها صارت همزة متوسطة .
وكتبوا همزة ثن ، ولثلا، وحيتذ، ويومثذ، وما أشبهوا ياء . وإن كانت أول كلمة
وكان القياس أن تكتب بالآلف . أما ثن ، فلأن أصلها لَئِنْ بلام ألف ونون . وأما
لَثَلًا ، فلأن أصلها لَئِنْ ، بلام ألف ونون منفصلة من لا ، بدليل أنهم إذا لم يحسوا
ببداها بلا ، كتبوها لَئِنْ ، نحو جئت لأن تقرأ ، لكنهم جعلوا اللام مع أن كالشيء
الواحد . وكذلك حيتذ، ويومثذ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف للجملة
التي بقي منها لَئِنْ المثنونة تنوين اليَومِض وأن يكتب بالآلف ، لكن جعل الظرف مع
لَئِنْ كالشيء الواحد، فوصل بإذ ، وجعلت صورة الآلف ياء كما جعلوها في يئس .
وكذلك الحكم في كل ظرف أضيف إلى ما ذكر، سواء المفرد : كالأثلة المذكورة،
والجمع نحو أزمانئذ . وسيأتي الكلام على ما يتعلق من ذلك في الفصل والوصل
إن شاء الله تعالى .

الحال الثاني

(أن تكون متوسطة؛ ولها حالتان)

الأولى - أن تكون ساكنة، فلا يكون ما قبلها إلا متحركاً وتكتب بحركة
ما قبلها، فإن كان ما قبلها مفتوحاً، كتبت أَلَفًا نحو رأس، وكأس، وبأس، ويأس،
وضان، وشأن، ودأب، وتأسر، وتأكُل . وإن كان ما قبلها مضموماً، كتبت واوًا،
نحو مؤمن، ومؤمن، وتؤوى، وتؤوى، ومؤذى، ومؤذى، وما أشبهها . وإن كان ما قبلها
مكسوراً، كتبت ياء، نحو ير، وذئب، وبئس، وأنيهم، ونبتنا، وجئت، وجئت،
وشئت، وشئت، ولملت، وما أشبهها .

الثانية - أن تكون الهمزة متحركة، والنظر فيها باعتبارين .

الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها ساكناً، وحينئذ فلا يخلو : إما أن يكون حرفاً من حروف العلة (وهي الألف والواو والياء) أو حرفاً صحيحاً . فإن كان الساكن الذي قبلها حرفَ علةٍ نُظِرَ : إن كان حرف العلة ألفاً، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو سأل ، وأبناؤنا ، وأبنائكم ، ونساءنا ، ونساءكم ، وجاءنا ، وجاءكم ، (وسأل ، فأَعلَ من السؤال) وما أشبهه . وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو، نحو التَّسْأَلُ ، وأبائكم ، وأبنائكم ، وأولياؤكم ، وبأبائنا^(١)، وشبه ذلك ؛ وإن كان حرف العلة واواً أو ياءً : فلما أن تكونا زائدتين للذَّ ، أو تكون الياء للتصغير أو أصليتين أو ملحقتين بالأصل . فإن كانتا زائدتين للذَّ نحو خطيئة ، ومقروءة ، وهنئياً ، مبرئاً ، أو ياء تصغير نحو أقيس تصغير أقيس جمع فاس ، فلا صورة للهمزة . وإن كانتا أصليتين نحو سوءة ، وهبة ، أو ملحقتين بالأصل نحو جيل (وهو الضَّيْعُ) ، وحوَّبة (وهو الدلو العظيم) ، والحوَّج (أسم موضع) ، والسَّموئل (أسم رجل) ، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول : سوءة ، وهبة ، وجيل ، وحوبة ، وحوَّب وسمول . ولا صورة للهمزة حينئذ في تحقيقها ولا في حذفها . وإن كان الساكن الذي قبلها حرفاً صحيحاً، نحو المرأة ، والكَّماة ، ويسام ، ويسلم ، ويلازم ، وهو أقل استعمالاً . وقد كتب منه حرف في القرآن بالألف ، وهو قوله تعالى : " يَسْأَلُونَ عَنْ أَسْبَابِكُمْ " .

لا في التحقيق ولا في الحذف والنقل .

ومنها من يجعل صورتها الألف على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة والكَّماة، ويسام، ويسلم، ويلازم، وهو أقل استعمالاً. وقد كتب منه حرف في القرآن بالألف، وهو قوله تعالى: " يَسْأَلُونَ عَنْ أَسْبَابِكُمْ " .

(١). كما في الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر .

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكتابة، وتسم،
بالألف، ويكتب يُسَمُّ بالياء، ويكتب يَلُوم بالواو. وأسئني بعضهم من ذلك
ما إذا كان بعدها حرف علة، نحو سؤل، ومشوم، فلم يجعل لها صورة أصلا،
وإذا كانت مثل رموس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها. وكذلك الموعودة
في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ﴾ على ما كتبت في المصحف بواو واحدة
لا يجعل لها صورة.

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها متحركاً فينظر: إن كانت مفتوحة مفتوحاً
ما قبلها، كتبت ألفاً نحو سأل، ورأيت، ورأوك، وبدأكم، وأنشأكم، وقرأه،
وليفرأه، وشبه ذلك. إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها، نحو مآل ومآب.
وزهب بعضهم إلى أنها تصور ألفاً فتكتب بالعين. وإن كانت مفتوحة مكسوراً
ما قبلها نحو خاطئة، وناشئة وليبطلن، وموطأ، وخاسأ، ويشتكم، وشانك،
صورت عجانس ما قبلها (وهو الكسرة) فتصور ياء. وإن كانت مفتوحة، مضموماً
ما قبلها نحو الفؤاد، والسؤال، ويؤده إليك، ويؤلف، ومؤجلاً، ومؤذناً، وهزواً،
وشبهه، صورتها بجانس ما قبلها. وإن كانت مضمومة، مضموماً ما قبلها، نحو تؤم،
كصير جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحاً ما قبلها نحو لؤم، كتبت بالواو في الحالتين،
إلا إن كان بعدها في صورتين واو، نحو رموس، ونشوم، وإن كانت مضمومة،
مكسوراً ما قبلها نحو يستهزون، وأنيشكم، ولا يلبثك، وستقرئك، كتبت بواو على
مذهب سيبويه، وياه وواو بعدها على مذهب الأخفش.

(١) أي فلا صورة لها. (٢) هذا خاص بنحو يستهزون ويقرون.

الحال الثالث

(أن تكون الهمزة آخرًا، ولها حالتان أيضا)

الأولى

(أن يكون ما قبلها ساكنًا، والنظر فيها باعتبارين)

الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها صحيحًا، فتحذف الهمزة وتلحق حركتها على ما قبلها ولا صورة لها في الخط، نحو جزء، وخبء، ودفع، والمرء، وملء. سواء في ذلك حالة الرفع والنصب والجر. وقيل: إن كان ما قبل الساكن مفتوحًا، فلا صورة لها. وإن كان مضمومًا، فصورتها الواو، وإن كان مكسورًا، فصورتها الياء مطلقًا، وقيل: إن كان مضمومًا أو مكسورًا فعلى حسب حركة الهمزة، فيكتب الجزء، والدفع، بالواو في الرفع وبالألف في النصب وبالياء في الجر. وإن كان شيء من ذلك منصوبًا متونًا فيكتب بألف واحدة، هي البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرى صورة البدل من التنوين.

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها معتلًا، فينظر: إن كان حرف العلة زائدا للذ، فلا صورة لها نحو نبيء، ووضوء، وسماء، والسوء، والمسيء، وقراء، وشاء، ويشاء،^(١) والماء، وجاء، إلا إن كان متونًا منصوبًا فيكتبه البصريون بألفين، والكوفيون وبعض البصريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفًا نحو سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرى البدل من التنوين. فإن اتصل ما قبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصور الهمزة واوا رفعًا، نحو هذا سماءك، وياء جزاء نحو نظرت إلى سماءك، وألفا واحدة هي ألف المد تصبغًا، نحو رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

(١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها زائد ولا معصفت وأصله [وبناتونسواوالماسوعبا، الخ] - فليحذر.

العللة ياء أو واوا نحو رأيت وضوءاً، فيكتب بالفاء واحدة. وإن كان حرف العللة غير زائد للذ، فلا صورة للهمزة في الخط .

الحالة الثانية

(أن يكون ما قبل الهمزة متحركاً)

فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها. فإن كانت الحركة فتحة، رسمت ألف، نحو بَدَأَ، وَأَنشَأَ "وَمِنْ سَبَا بَنِيَّ" وَالْمَلَأَ، وَيُسْتَهْزَأُ، على البناء للفعول، وَيُنْشَأُ كذلك، ورأيت أمراً وما أشبهه. وإن كانت كسرة رسمت ياء، نحو قُرِئَ، وَأُسْتَهْزِئَ، ولكل أمرئ، ومن شاطئ، وَيُسْتَهْزِئُ، على البناء للفاعِل، وبرئ ومررت بأمرئ. وإن كانت ضمة، رسمت واوا، نحو أَمْرُؤُ، وَالْوَلُؤُ، وما أشبه ذلك، إلا في مثل البناء إذا كان منصوباً متوناً قليل : يكتب بالفتح نحو سمعت نبأ، وقيل : بواحدة وهو الأولى . وإن اتصل بها ضمير، فعلى حسب الحركة قبلها كحالف إذا لم يتصل بها ضمير. وقيل : إن كان ما قبلها مفتوحاً، فبالف نحو لن يقرأ، إلا أن تكون هي مضمومة فيواو، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو، وبالياء إن قلنا بإبدالها ياء، وقيل إن أنضم ما قبلها أو أنكسر، فكما قبل الاتصال بالضمير، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها. وإن أفتتح ما قبلها وأفتحت، فبالألف نحو لن يقرأ، وكذلك إذا أفتتح ما قبلها وسكنت نحو لم يقرأ، ولم يُنْشَأْ، وأقرأ، وإن أنشأ وما أشبهه. وإن أفتتح ما قبلها وأنضمت، فبالواو نحو يقرأ. وقيل بالواو والألف كما كتبوا في المصحف (قُلْ مَا يَمْشِي) و(يَبْذُلُ الْخِصَم) و(يَبْذُلُ الْخَلِيق) (وَمِنْ يَنْشَأُ) يواو وألف في الجميع. أو أنكسرت، فبالياء نحو من المقرئ، وقيل بها وبالف كما كتبوا في المصحف (مِنْ بَنَى الْمُسْلِمِينَ) بالف وياء .

تنبيه

قد تقدم في الحذف أن همزة الوصل تحذف في بعض مواضع وتثبت فيما عداها. فحيث ثبتت، كتبت بحسب حالها إذا ابتدئ بها. فإن كانت يتبدأ بها مضمومة، كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبعدة منها، نحو **أَوْتَمَنَ** فلان، وقلت لك أوامر فلانا بكذا؛ وإن كانت يتبدأ بها مكسورة، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة أو ياء مبعدة منها، نحو **أَكْثَنُ** لي يازيد، اثت القوم، اثت عليهم كذلك وإن كان النطق بها واوا بضم ما قبلها نحو **زَوَيْنَهُمْ** مَنْ يَقُولُ **أَكْثَنُ** لي **يَا** تكتبه **يَاء** على الهمزة في الابتداء بها، ويستثنى **يَاء** **فَاعِلٍ** من نحو **يُوجِل** مثل **يُوسَن** فإنها تكتب واوا بعد الواو والفاء كما في قولك **فَأُوجِل**، وأوجل. يكتبان بإثبات ألف الوصل، والواو بعدها ولم يكتبوها على ابتداء الهمزة. أما بعد غير الواو والفاء، فإنها تكتب بحسب الابتداء بها نحو قلت لها **آييلي**، أو ثم **آييلي**، وقلت لكم **آييلوا**، فانك تلفظ به واوا وتكتبه **يَاء** للاتصال؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت **يَاء** لفظا وخطا، نحو قلت لك **آييلي**، وكذلك إذا ابتدئ بهمزة الوصل نحو **آييلي** ياهند.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتْ هَمْزَةٌ اسْتِفْهَامٍ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ قَطْعٌ صَوَّرْتُ هَمْزَةَ الْقَطْعِ بَعْدَهَا بِجَانِسِ حَرَكَتِهَا. فَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ تَحْتَهُ كَتَبْتُ **أَلْفَا**، نَحْوُ **أَعْجَدُ**، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ ضَمًّا كَتَبْتُ **اَوَا** نَحْوُ **أُزِيلُ**، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ كَسْرًا كَتَبْتُ **يَاء** نَحْوُ **أَنْشِكَ** لَأَنَّهَا إِذَا خُفِّفَتْ بِالْبَدَلِ كَانَ إِبْدَالُ الْمَفْتُوحَةِ **أَلْفَا**، وَإِبْدَالُ الْمَضْمُومَةِ **اَوَا**، وَإِبْدَالُ الْمَكْسُورَةِ **يَاء**. وَقَدْ تَحْذِفُ الْمَفْتُوحَةُ خَطَا تَكْتُبُ **بِأَلْفٍ** وَاحِدَةً، نَحْوُ **أَعْجَدُ** كَمَا فِي رِسْمِ الْمُصْحَفِ.

وَأَخْتَلَفَ فِي السَّاقِطَةِ مِنَ الْهَمْزَيْنِ وَالْحَالَةِ هَذِهِ : فَقِيلَ الثَّانِيَّةُ ، وَهُوَ قَوْلُ أَحَدِ **أَبْنِ يَحْيَى** : وَقِيلَ الْأُولَى وَهُوَ قَوْلُ الْكَسَائِيِّ .

فلو كانت ثلاث ألفات في اللفظ نحو قوله تعالى : (أَأَلْهَيْتَا خَيْرٌ) فقال أحمد ابن يحيى : تكتب بواحدة .

وآختلف في الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وأبن كيسان إلى أنها الاستفهامية لأنها حرف معنى . وحكى الفراء عن الكسائي : أنها الأصلية وحكاها أبن السيد عن غير الكسائي وحكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا نحو قوله أأنك ، لأن الألف هي الأصل ، والمهمزة حرف زائد لمعنى كالواو والفاء فلا يعتد به ، لكنه قليل ، والله أعلم .

الجملة الثانية

(في حالة التركيب والفصل والوصل)

وأعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ، لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى ، فكما أن المعنيين مقيزان فكذا اللفظ المعبر عنهما يكون متميذا . وكذلك الخط السائب عن اللفظ يكون متميذا بفصله عن غيره . ويستثنى من ذلك مواضع كتبت على خلاف الأصل .

(منها) أن تكون الكلمتان كشيء واحد ، وذلك في أربعة مواضع .

الموضع الأول - أن تكون الكلمتان قد رُكبتا تركيب مزج ، مثل بعلبك : ليدل على أن التركيب الذي يستبر فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج ، وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب إسناد نحو زيد قائم ، أو تركيب إضافة نحو غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، وحيص بيص ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخلط فيه كلمة بأخرى .

الموضع الثاني - أن تكون إحدى الكلمتين لا يتبدأ بها في اللفظ، نحو الضمائر البارزة المتصلة، ونون التوكيد، وعلامة التأنيث والنثنية والجمع في لغة أكلوني البراغيث، وغير ذلك مما لا يمكن أن يتبدأ به، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين .

الموضع الثالث - أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها، وذلك ما كان نحو باء الجزر، وفاء العطف، ولام التأکید، وفاء الجزء، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها، فلما أمتزجت في اللفظ أمتزجت في الخط فتكتب متصلة وإن كانت في الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع - أن تكون الكلمة مع الأخرى كشيء واحد في حال تما فاستصحب لها الاتصال غالبا : مثل بعلبك، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا، لأن اللفظ الثاني منتهى الاسم، فهو مفرد في المعنى وفي اللفظ .

وكتبنا ثلثا مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالآلف) كما تكتب لأن إذا كانت اللام مكسورة بالآلف فكذلك إذا زيدت عليها لا، إلا أن الناس أتبعوا رسم المصحف، وكذلك كن فعلت كذا تكتبه بالياء آتيا للصحف، وإن كان القياس أن يكتب بالآلف . وسيأتى الكلام على وصل لا إن فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) توصل من الجارة وهي المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم في موضعين :

الموضع الأول - توصل عن المفتوحة الميم مطلقا، سواء كانت موصولة نحو أخذت الدرهم ممن أخذته منه، أو موصوفة كما في المثال المذكور فإنها فيه تحمل

المعنيين جميعا، أو استفهامية نحو **يَمْنٌ** أنت؟ أو شرطية نحو **يَمْنٌ** تأخذ درهما تأخذ منه، وإنما وصلت بها لأجل اشتباهها خطأ إذ لو كتبتا **يَمْنٌ** من لكانتا مشتبهتين في الصورة فأدغمت نون **يَمْنٌ** في **يَمْنٌ** ونزلت منزلة المدغم في الكلمة الواحدة، فلم يحصل له صورة بل حذف مع كتيبه متصلا، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحذف. هذا هو المشهور الرابع.

وقال الأستاذ بن عصفور: إن كانت **يَمْنٌ** استفهامية، كتبت مفصولة على قياس ما هو من المدغمات على حرفين.

الموضع الثاني - توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذا كانت موصولة نحو عجبْتُ مما عجبَتْ منه، أو استفهامية نحو **يَمْنٌ** هذا الثوب؟ أو زائدة كما في قوله تعالى: **(يَمْنًا خَطَايَاهُمْ أَغْفِرُوا)**. أما إذا كانت شرطية نحو **يَمْنٌ** ما تأخذ أخذًا، أو موصوفة نحو **يَمْنٌ** ما أكلت منه، فإن القياس يقتضي أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير استفهامية، كتبت **يَمْنٌ** معها، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا في حالة الاستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها.

قال الشيخ أمير الدين أبو حيان رحمه الله: والأول أصح لأن علة الوصل في **يَمْنٌ** مفقودة في **يَمْنًا**، وهي التباس اللفظين خطأ.

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم، في موضعين. الموضع الأول - توصل **يَمْنٌ** الموصولة غالبا، نحو **يَمْنٌ** عمن رويته عنه، ويجوز فصلها، ففصل عن **يَمْنٌ** وثبت النون في عن، وأما **يَمْنٌ** غير الموصولة، فالقياس فصلها، فتكتب في الاستفهام عن من تسأل؟ وفي الشرط، عن من ترض أرض عنه، ففصل عن **يَمْنٌ** من على ما مر.

وزعم ابن قتيبة أن عَنَ مَنْ تكتب موصولة بكل حال ، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب جموعا موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام في ذلك لأنهما كلمتان إلا في نحو عما قليل لزيادتها .

الموضع الثاني - توصل بما الاستفهامية ، كما في قوله تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وتحذف الألف من ما على ما تقدم في الحذف .

(ومنها) توصل مع ما إذا كانت زائدة ، وتقطع إذا كانت موصولة ، قاله ابن قتيبة . (ومنها) توصل في بَيْنَ في موضعين :

الموضع الأول - توصل بَيْنَ الاستفهامية دائما نحو قولك : فِيمَنْ تفكر ؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من عَنَ ومن ، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثاني - توصل بما إذا كانت موصولة في الغالب نحو فكَّرْتُ فِيمَا فُكِّرْتُ فيه ، ولا تسقط الياء على ماسر . ويجوز في هذه الحالة فصلها ، تفصل "في" عن "ما" . وتكتب على هذه الصورة "في ما" . وكذلك توصل بما إذا كانت استفهامية نحو قوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ ولا تحذف ياؤها كما تقدم .

أما مع إذا اتصلت بما أو بين ، فإنها تكتب منفصلة . قاله ابن قتيبة .

قال بعض النحاة : أطلق سبب ذلك قلة الاستعمال ، وإلا فافرق بين مع وبين في . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما في الاسمية ، فإن في لا تكون إلا حرفا ، ومع إنش تحركت كانت أسماء ، وإن سكنت ، فغلاف والاصح الاسمية ، وأيضا فإنها تنفصل مما بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصب فلاسم ، الروافع للجر ، إذا دخلت على ما الزائدة نحو إنما وكأنا ولينا . فتكتب إنَّ وكأَنَّ وليَّتْ متصلات بما ، نحو إنما فعلت كذا ، وإنما كلمت أخاك ، وإنما أنا أخوك ، وكأنا وجهه قرء ، ولينا هذا الشيء ،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة ، كتبت مفصولة نحو **إِنَّمَا قُلْتُ لَحَقَّ** ، وكانت ما حدثت صحيح ، ولبت ما لك لي . على أنه قد جاء في القرآن كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت في القرآن مفصولا إلا قوله تعالى في الأنعام : **(إِنَّ مَا تَعْدُونَ لَأَيُّ)** . وقد كتبوا في المصحف : **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)** في الطور وغيره متصلا ، وكذلك : **(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ)** . مع رفع كيد ونصبه ، وإن كانت ما موصولة في الموضعين .

(ومنها) توصل قل بما إذا دخلت عليها نحو قلما أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون نحو : **(إِلَّا تَقْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)** .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو : **(وَأَمَّا تَخَأَفُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ)** . وإنما حذفت النون في هذه وما قبلها لإدغامها كما في مما وعما ونحوه .

(ومنها) توصل أين بما نحو : **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ)** . لأن ما إذا دخلت على أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فرفع النون ، فإذا دخلت عليها ما ، قلت : أينما تكون أكون فجزمت ، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة . فإن كانت ما موصولة ، فصلت نحو أين ما أشرت تريد أين الذي أشرت .

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها ، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما في حاتم فتكتب متام فيتعذر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما نحو : **(وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)** . كما تقدم في أين .

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو كَمَا جِئْتَنِي أَحْسَنْتُ
إِلَيْكَ . فإن كانت نكرة منعوبة كتبت مفصولة نحو كُلُّ مَا تَفْعَلُ حَسَنٌ، وكلُّ مَا كَانَ
مِنْكَ حَسَنٌ .

قال ابن قتيبة: وكلُّ مَنْ مقطوعة على كل حال ومكان .

(ومنها) توصل هل بِلَا، وتحنف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فعلت)
وتقطعها من بل، فتكتب (بَلَّ لَا تفعل) .

قال ابن قتيبة: والفرق بينهما أن لا إذا دخلت على هل تغير معناها، فكانها معها
كلمة واحدة؛ وإذا دخلت على بل لم تغير المعنى تقول: بل تفعل، وبل لَا تفعل، كما
تقول: كي تفعل، وكى لَا تفعل .

(ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو بينا أنا جالس، وبينما أنا أمشي .

(ومنها) توصل أي بما إذا كانت ما زائدة كما في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه
السلام: زَيْتُ الْأَجَلَيْنِ قَضِيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) وكما تقول: أيما الرجلين لقيت
فأكرم . فإن كانت ماموصولة قطعت فتكتب أي ما تراه أوفق، أي ما عندك أفضل،
مقطوعة .

(ومنها) يوصل يوم وحين بإذ من قولك يومئذ وحيثئذ، وكان القياس الفصل،
على ما تقدم في الهمزة .

(ومنها) توصل لَنْ وَلِئِنْ وَإِنْ كَانَ كل منهما كلمتين . إذ الأصل لِإِنْ وَلِإِنْ لَا
وقد تقدم بيان كاتبتها بالياء دون الألف، لكونهم جعلوه مع ما بعده كالشيء الواحد.
(ومنها) توصل أَنْ المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون على أحد الأقوال
فتكتب على هذه الصورة (أَلَا) . (والثاني)، تفصل منها وتبته النون، فتكتب على

هذه الصورة : (أن لا يقوم) . و(الثالث) ، يُفصل بين أن تكون مخففة عن الثقيلة ، فكتبت مفصولة نحو علمت أن لا يقوم زيد ، وعلمت أن لا ضرر عندك ، التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت في قوله تعالى : ﴿ وَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدركمها متصلة على اللفظ وتحذفها في الخط ، نحو يسجنى ألا تقوم وهو قول الأخفش وابن قتيبة واختيار ابن السيد . (والرابع) ، التفصيل بين أن تدغم فتنة ، فكتبت مفصولة أو بنبرغنة فينوى الاتصال وتحذف خطأ ، ويروى عن الخليل ، وأستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع مفصولة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف . وقد وقع في المصحف وصل مواضع القياس فصلها ، فيجب وصلها في المصحف اتباعاً لرسمه ، وتوصل في غيره في الغالب أو في بعض الأحوال .

(ومنها) وصلت بئس بما في موضعين :

أحدهما - ﴿ بئساً أشقروا به أنفسهم ﴾ في البقرة .

والثاني - ﴿ بئساً خلفتموني من بعدي ﴾ في الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بما للإدغام . وحكى ابن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن لم مع حذف النون للإدغام في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الَّتِي لَا يَسْتَجِيبُوا

لَكُمْ ﴾ في هود ، بخلاف التي في القصص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .

(ومنها) وصلت أن بن مع حذف النون للإدغام في سورة الكهف في قوله :

﴿ أَلَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ .

(ومنها) وصلت أم بن في نحو قوله تعالى : ﴿ آمَنَ مَوْقَانَتِ ﴾ .

قال محمد بن عيسى : كل ما في القرآن من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ . وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ ﴾ .
وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ . وفي فصلت : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا ﴾ .

(ومنها) وصلت كي بلا في نحو كَيْلًا وَلَيْكِلًا في أربعة مواضع في المصحف ،
﴿ لَيْكِلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ في آل عمران . و﴿ لَيْكِلًا يَعْلَمُ مَعَدَّيْكُمْ شَيْئًا ﴾ في الحج
و﴿ لَيْكِلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ ﴾ في الأحزاب . و﴿ لَيْكِلًا تَأْسُوا ﴾ في الحديد
وما عداها فهو مقطوع كما في أول الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كي تفعل وكى لا تفعل ، كما تقول :
حتى تفعل وحتى لا تفعل فيختلف المعنى بالنفي والإثبات فيه .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(فيا يُكْتَبُ بالظاء، مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يُكْتَبُ بالضاد).

وإنما خصت الظاء بالذكر دون الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد ؛
وخص ما يكتب بالظاء بالذكر دون ما يكتب بالذال المعجمة ، لأن الدال والنال
في صورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خطأ الكاتب فيه ، بخلاف الظاء والضاد ؛ فإن
شكلهما مختلف فيظهر خطأ الكاتب وعوّاره فيه ؛ فلذلك وقعت العناية بالتنبيه على
ما يكتب بالظاء دون ما يكتب بالذال المعجمة .
وقد أوردته على حروف المعجم ليقرب تساؤله .

حرف الألف

فيه - أظله الشيء : إذا غشيته ؛ أما أضله من الضلال إذا ضلّ دابته إذا تفتت ،
فيالضاد .

حرف الباء

فيه - يحفظه الأمر : إذا أتبعه . وفيه ، البَظَرُ : وهو اللّمة المتدلّية من فَرْج المرأة ، التي تُقَطَّع بِالْحَتَانِ .

حرف التاء المثناة فوق

فيه - التَّقْرِيطُ : وهو المدح ، والتَلَطُّطُ : وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لا ابتلاع ما حَصَلَ بين الأسنان .

حرف الجيم

فيه - الجَوَاطُ : وهو الجافي المتكبر ، أو الأَكُولُ ؛ والجُحُوطُ : وهو تَوَتُّو العين وتُدَوُّرها ، ومنه أبو عُثَيْان الجاحِظُ ، وبجَمْعَةِ البرمِيَّ .

حرف الحاء المهملة

فيه - الحِيفُظُ : وهو ضِدُّ النَّسيان ، والحَفِيفَةُ : وهي المَوْجِدَةُ ؛ والحِظُّ : وهو الغِنَى والنصيب . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَنَدُو حَظُّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لَلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ ﴾ . أما الحَضُّ بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْضَعُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴾ . والحُظُوةُ : وهي الرِّفْعَةُ ؛ والحَظَرُ : وهو المنع . ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ . وفي معناه الحِظِيرُ : وهو المحوِّط من قصب ونحوه . أما الحَضُورُ خلافُ الغَيْبة فإنه بالضاد ؛ والحِظَلُ : وهو النَّبَاتُ المُرَّ المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه - الشَّيْلَةُ : وهي الشَّيْطَانَةُ من الشيء ؛ والشَّطَاظُ : وهي عِيدَانٌ لَطَافٌ يُجَمَّعُ بِهَا العَدْلَانُ ؛ والشَّطَفُ : وهو خُشُونَةُ العِيشِ ؛ والشَّوَاظُ : وهو هَلَبُ النار . ومنه

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِدٌ مِنْ نَارٍ وَبُحَّاسٌ﴾. والشَّيْطُمُ : وهو القَرَس الطويل الظاهر؛ والشَّاتِطِيُّ : وهي أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه ـ الظَّنُّ : بمعنى التخمين والشكّ؛ والظَنَّةُ : وهي التهمة . أما الضَّنُّ بمعنى البخل فإنه بالضاد، وعلى المعنيين قرئ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد والظاء : لأتجاه المعنيين في النبي صلى الله عليه وسلم إذ ليس يخيّل ولا يمتهم ؛ وفيه ظَلٌّ يفعل كذا: إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾ . وقوله: ﴿فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ﴾ . وقوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلٰكِ الَّتِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ مَا كَثُرَ﴾ .

أما ضَلَّ من الضلال: خلاف الهدى؛ وضَلَّ الشيءُ : إذا ضاع، فبالضاد . وفيه الظُّلُّ : خلاف الحرّ حيثما وقع وما يُسْتَقُّ منه ، والظُّلْم وما يتشعب منه ، والظُّلَام وما يتفرّع منه ، والظُّلْم (فتح الظاء) وهو ماء الأسنان، والظُّلْمُ : وهو ذَرَّ النعام، والظُّيُّ : واحد الظباء ، والظُّيَّة الأُنثى منه ، والظُّيَّة : حيأة الناقة ، والظُّبَّة : وهو حشد السيف، والظُّرْف : وهو الوعاء الحسن ، والظُّعْن : وهو السفر . ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ . والظُّرَاب : وهي الهضاب ، أما الضَّرَابُ مصدر ضاربته فإنه بالضاد ، والظُّعِينَةُ : وهي المرأة، والظُّلْف : وهو للبقر والغنم كالخافر تحيل، والظُّلْف : وهو نزاهة النفس، والظُّفَر : واحد الأظفار، والظُّفَر : وهو النصر . أما ضَفَرَ الشعر ونحوه فبالضاد، والظُّفَر : وهي المُرْسُعة، والظُّفَر : وهو العضو المعروف . أما الضُّبهر : وهو صخرة في الجبل يخالف لوئها لونه فإنه بالضاد، والظُّهَيْر : وهو المؤمن، والظُّهيرة : وهي وسط النهار، والظُّلْمَا : وهو العطش، والظُّرَار جمع ظُرٌّ : وهو الفليظ من الأرض . أما الضُّرير : بمعنى الأعمى فبالضاد ،

وَالظَّرِبَانُ : وهى دَوِيَّةٌ مَنَتَةُ الرِّيحِ، وَالظَّلْعُ : وهو العَمَزُ يقال نَافَعٌ ظَالِعٌ إِذَا عَمَزَتْ فِي الْمَشْيِ . أما الضِّلَعُ واحد الأضلاع فإنه يَكْتُبُ بالضاد، ومنه قولهم فَرَسٌ ضَلِيعٌ .

حرف العين المهملة

فيه ـ العَظْمُ : وهو معروف؛ والعَظْمَةُ : وهى الكِبَرَاءُ وما تَصَرَّفَ منها، وَعَظَّه الدهرُ وَعَظَّتْهُ الحربُ . أما العَضُّ بالأسنان بالضاد، وَالْعُظْلُ^(١) : وهو الشَّتَّةُ، ومنه تَعَاظَلُ الجِرادُ وَالْكَلابُ فِي السَّفَادِ . أما العَضَلُ بمعنى المنع فإنه بالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ . وكذلك قولهم : أَعْضَلَ الأَمْرُ إِذَا صَعِبَ . ومنه الداءُ العُضَالُ، وسوقُ عُكَّازٍ : وهو سُوقٌ كان يَقامُ للحربِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَأَصْلُ العُكَّازِ الحِمْلُ .

حرف الغين المعجمة

فيه ـ الغَيْظُ بمعنى الحَقِّ وما تَفَرَّعَ عنه، أما غَاضُ المَاءِ بمعنى غَارَ وَالْغَيْضَةُ وهى مَنِيَتْ الشَّجَرُ فِي المَاءِ بالضاد، وَالْغِلْظُ وما تَصَرَّفَ منه .

حرف الفاء

فيه ـ الْفَقْاطَةُ : وهى القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ . أما أَفْضاضُ الجَمْعِ بالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك أَفْضاضُ البَكَرِ وَالْكَأْبِ، وَالْفَطِيعُ : وهو الشَّيْعُ، وَفَاطَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ . أما فَيْضُ الإِنَاءِ وَالدمعُ بمعنى السَّيْلَانِ، والضاد؛ ومن ثمَّ جاز أن يَكْتُبَ فَاطَمْتُ نَفْسَهُ بِالظَّاءِ عَلَى مَعْنَى مَاتَتْ نَفْسَهُ وَيُحْزَنُ أَنْ يَكْتُبَ بالضاد عَلَى مَعْنَى سَالَتْ نَفْسَهُ .

(١) كذا في النسخة أيضا بالقاء المشابة . وفي اللسان في مادة (ع ظ ل) ... [وأصل العضل المنع والشدة] أى بالضاد الساقطة ولم يذكره بهذا المعنى في مادة (ع ظ ل) . . .

حرف القاف

فيه - القَيْظ وهو صميم الخبز وما تَصَرَّف منه . أما الْقَيْض الذى هو القشر الأعلى من البيض فبالضاد ، وكذلك قَيْضُ الله له كذا أى أتاحه له ، والقَرَّظ : وهو ثمرة شجرة السَّنَط التى يَدْبَحُ بها الجلد . أما الْقَرَض بمعنى القطع فبالضاد ، ومنه قَرَضَ المال .

حرف الكاف

فيه - الكَظْم : وهو كَتَمَ الحزن ، والكَكْظ : وهو شدة الحرب ، وكَاظَمَةُ : وهو اسم مكان بالبحرين .

حرف اللام

فيه - لَطَى : أَسْمُ جَهَنَّمَ ، وَاللَّظ : وهو اللزوم . ومنه " أَلْطُوا بِيَاذَا الْجَلَلِ والإِكْرَام " أى أَلْزِمُوا هَذَا الْأَسْمَ فى الدعاء والمناجاة به ، وَاللَّحْظ : وهو النظر بِمُؤَخَّرِ العين ، وَاللَّمْظ : وهو بِيَاضُ الْجَفَلَةِ السُّفْلَى من الفرس ، ومنه قِيلَ فرس أَلْمَظُ ، وَاللَّفْظ : وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

حرف النون

فيه - النَّظَمَ وما تصرف منه ، وَالنَّظَرَ بالعين ، وما تصرف منه ، وَالنَّظِيرَ وهو المثل . أما النَّصَارَةُ بمعنى ' البهجة فبالضاد ، ومنه قوله تعالى : (وَجِئُوا بِمَثَلٍ نَّاضِرَةٍ) . ومنه أَشْتَقَاقُ بَنَى النَّصِيرِ وفى معناه النَّصَارُ أَسْمُ الذَّهَبِ ، وَالنَّظَافَةُ : وهى خلاف القَدَارَةِ .

حرف الواو

فيه - الْوَلِيفُ : ما فوق الرُّسْغ من فوات الحافر ، وَالْوَلِيفَةُ ، وأصلها الطعام الرائب ثم أَسْتَحْلَمَتْ فيما هو أَعْمُ من ذلك .

حرف الياء

الْيَقَظَةُ : وهى خلاف النوم .

المقالة الثانية

في المسالك والممالك؛ (وفيها أربعة ابواب)

الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

(في معرفة شكل الأرض، وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما أشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية، وبيان موقع الأقاليم العرفية من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعة لها، ومعرفة طريق استخراج جهة كل بلد؛ وفيه طرفان) .

الطرف الأول

(في شكل الأرض، وإحاطة البحر بها)

أما شكل الأرض فقد تقرر في علم الهيئة أن الأرض كُرَيَّة الشكل والماء مُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما اقتضته العناية الإلهية من كشف أعلاها لوقوع العبرة فيه؛ وقيل هي مُسَطَّحة الشكل؛ وقيل كالترس؛ وقيل كالطبل . والتحقيق الأول؛ وبكل حال فالماء مُحِيط بها من جميع جهاتها كما تقدم .

قال في "تقويم البلدان" (١): وأحواله معلومة في بعض المواضع دون بعض، فمن المعلوم الحلال الجانب الغربي ويسمى بحر أوقيانوس (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحت مفتوحة ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى - المشرق؛ سميت بذلك لشرُّوق الشمس منها؛ ويقال لها المشرق أيضا .

الثانية - المغرب؛ سميت بذلك لغروب الشمس فيها؛ ويقال لها الغرب أيضا .

الثالثة - الشمال (فتح الشين) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على شمالك ويقال لها الشام أيضا؛ لأن الشام كانت في جهة الشمال عن بلاد المغرب فسميت الجهة به؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة البحرية : لكونها جهة البحر الرومي، أو تسمية لها بأسم الرياح التي تهب منها فقد سبق أنهم يسمون الريح التي تهب من الشمال البحرية : لأنها يسارها في البحر كيف كان .

الرابعة - الجنوب (فتح الجيم) وهي التي إذا استقبلت المشرق كانت على جانبك الأيمن ولم يسم بالأيمن كما سُمِّيَ بمقابلته بالشمال، لأنه لما ذكر الشمال لم يبق إلا الجانب الأيمن فاستغنى عن ذكره؛ وأهل مصر يسمون هذه الجهة القبلية : لوقوعها في جهة قبلتهم ولذلك يسمون بها في التحديد؛ وإن كان الأصل الابتداء بالشرق : لأن منه مبدأ حركة الفلك .

ثم كرة الأرض يقسمها خط في وسطها بنصفين : نصف جنوبي، ونصف شمالي؛ ويسمى هذا الخط خط الاستواء لأستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول السنة؛ ويقاطعه خط آخر يقسمها بنصفين : نصف شرقي ونصف غربي؛ وتسمى الأرض به أربعة أرباع؛ ويسمى هذا الخط خط نصف النهار لمسائمة الشمس له في نصف النهار؛ وكل من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة، كل درجة ستون دقيقة . وسأيت تقدير ذلك بالأميال والفراخ والمراحل والبرد في الكلام على بُعد ما بين البلدان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأعلم أن كل ما بعد من أقصى العارة في المغرب إلى جهة المشرق يعبر عنه عند علماء الهيئة والميقات بالطول ؛ وقد اختلف في ابتداء ذلك : فالتقدماء ابتدئوه من جزائر البحر المحيط تُعرف بالسلالات ، يأتي الكلام عليها في جملة جزائر البحر المحيط ، والمحققون على ابتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغربي الذي هو أقصى العارة الآن ، وبينهما عشر درج ، ونهاية العارة في المشرق موضع يقال له كُنْدُرٌ ، ومتصف ما بين الابتداء والنهاية الشرقية يسمى قبة أرين ، ويعبر عنه بقبة الأرض ؛ وهي على بعد ربع النور من المبدأ الغربي ، ويختلف الحال فيه باختلاف الابتداء من الجزائر الخلدات أو من الساحل . وما بعد عن خط الاستواء المقسم ذكره يعبر عنه بالعرض ؛ فإن كان في جهة الجنوب فالعرض جنوبي ، وإن كان في جهة الشمال فالعرض شمالي . ويعبر الطول والعرض في الأمكنة من البلدان وغيرها بالدرج والدقائق على ما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم النصف الجنوبي من الأرض لاعمارة فيه إلفيا قارب خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة ، وما إلى ذلك مما لا يزيد عرضه على ثلاث درج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه في "تقويم البلدان" أو ست عشرة درجة ونحوها وعشرين دقيقة فيما ذكره إصحاق الحارثي وغيره . وأكثر المعمور إنما هو في النصف الشمالي ؛ والعاره فيه فيما بين خط الاستواء إلى نهاية ست وستين درجة ونصف درجة في العرض ، وما وراء ذلك إلى نهاية الشمال خراب لاعمارة فيه ، وغالب للعاره واقع بينا يمازى عرضه عشر درج إلى حدود الخمسين درجة ، وما وراء ذلك في جهة الجنوب إلى خط الاستواء ، وفي جهة الشمال إلى حد العارة غالبه جبال وقفار ؛ وغالب العارة في الطول من ساحل البحر المحيط الغربي إلى تسعين درجة فما دونها .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(فما اشتملت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية)

قد قسّم الحكماء المعمور إلى سبعة أقاليم ممتدة من المغرب إلى المشرق في عرض قليلة تتشابه أحوال البقاع في كل إقليم منها، ثم اختلفوا في ترتيبها بحسب العرض، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاستواء، وآخر السابع منتهى العارة في الشمال وهو ست وستون درجة على ما تقدم .

قال في "تقويم البلدان": والذي عليه المحققون أن ابتداء الإقليم الأول حيث العرض اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة، وما وراء ذلك إلى خط الاستواء خارج عن الإقليم الأول في جهة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة، وما وراء ذلك إلى نهاية العمران في الشمال خارج عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران ما لم يدخل في الأقاليم السبعة، وعليه وقع الترتيب في هذا الكتاب .

الإقليم الأول - مبدؤه حيث العرض اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة كما هو مذهب المحققين على ما تقدم، ووسطه حيث العرض ست عشرة درجة ونصف وثمان درجة، وآخره حيث العرض عشرون درجة وربع وثمان درجة، فتكون سبعة سبع درجات وثلاثي درجة وثمان درجة .

الإقليم الثاني - مبدؤه حيث العرض عشرون درجة وربع وثمان درجة، ووسطه حيث العرض أربع وعشرون درجة وثلاثا درجة، وآخره حيث العرض سبع وعشرون درجة ونصف درجة، فتكون سبعة بالتقريب سبع درجتين وثلاث دقائق .

الإقليم الثالث - مبدؤه حيث العرض سبعٌ وعشرون درجةً ونصفُ درجة؛
ووسطه حيث العرض ثلاثون درجةً وثلاثا درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وثلاثون درجةً ونصفٌ وثمانين درجةً بالتقريب ^(١).

الإقليم الرابع - مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجةً ونصفٌ وثمانين
درجةً؛ ووسطه حيث العرض ست وثلاثون درجةً ونحوً وسدسُ درجة؛ وآخره
حيث العرض تسع وثلاثون درجةً إلا عشرًا؛ فتكون سعةً وخمسُ درجٍ وسبعُ عشرةً
دقيقةً بالتقريب.

الإقليم الخامس - مبدؤه حيث العرض تسع وثلاثون درجةً؛ ووسطه حيث
العرض إحدى وأربعون درجةً وربُّعُ درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث وأربعون
درجةً وربُّعٌ وثمانين درجةً؛ فتكون سعةً وأربعُ درجاتٍ وربُّعٌ وثمان وعشرُ درجةً
بالتقريب.

الإقليم السادس - مبدؤه حيث العرض ثلاث وأربعون درجةً وربُّعٌ وثمانين
درجةً؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجةً وعشرُ درجة؛ وآخره حيث
العرض سبع وأربعون درجةً ونحوً خمسُ درجة؛ فتكون سعةً ثلاث درجاتٍ ونصف
وثمان وخمسُ درجة.

الإقليم السابع - مبدؤه حيث العرض سبع وأربعون درجةً ونحوً خمسُ درجة؛
ووسطه حيث العرض ثمان وأربعون درجةً ونصفٌ وربُّعٌ وثمانين درجةً؛ وآخره
حيث العرض خمسون درجةً وثلاثُ درجة؛ فتكون سعةً ثلاث درجاتٍ وثمان
دقائق.

(١) فتكون منه ست درجاتٍ وثمانين درجةً؛ ولعل هذه الفلكة سقطت من قلم النسخة فقد ذكرت في الفهرست.
وتعويج البهائم.]

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف في الطول والقصر باعتبار القرب من خط الاستواء والبعيد عنه ؛ فكلما قُرب الإقليم من خط الاستواء كان أكثر طولاً من الذي يليه : ضرورة أن أوسع الكرة وسطها وما بعده من الجانبين يقصر شيئاً فشيئاً .

فطول الإقليم الأول - من ابتدائه من ساحل البحر المحيط الغربي إلى ساحل البحر المحيط الشرقي فيما ذكره في "تكوين البلدان" مائة وأثنان وسبعون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثاني - مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثالث - مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

وطول الإقليم الرابع - مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرة دقيقة .

وطول الإقليم الخامس - مائة وخمسة وثلاثون درجة وأثنان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس - مائة وست وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السابع - مائة وتسع عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الثانية

(فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البلدان فى التعريف بها والسفر إليها ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى البحر المحيط)

وهو المستدير بالقدر المكشوف من الأرض ، وأحواله معلومة فى بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحال منه الجانب الغربى ، ويسمى بحر أوقيانوس ، وفيه الجزائر الخللعات المتتمة ذكرها فى الكلام على الأطوال .

ويأخذ فى الإمتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من رُقَاق سَبْتَةِ الذى بين الأندلس وبرِّ العنوة إلى جهة الجنوب حتى يتجاوز صحراء لَمْتُونَةِ : وهى بادية البربر بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال ، ثم يمتد جنوباً على أرض خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الإستواء المتتمة ذكره إلى الجنوب .

قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة ، لا يعيش فيه حيوان ، ولا يسلك فيه مركب .

ثم يعطف إلى جهة الشرق وراء جبال القمر التى منها منابع نيل مصر الآتى ذكرها ، فيصير البحر المذكور جنوبياً عن الأرض ، ويمتد شرقاً على أراض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتد شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يأخذ مشرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهناك بلاد الصين ، ثم ينعطف

في شرق الصين إلى جهة الشمال ويصير في جهة الشرق عن الأرض، ويمتد شمالا على شرق بلاد الصين حتى يتجاوز حد الصين، ويسامت مد ياجوج ومأجوج، ثم ينعطف ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال؛ ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال عن الأرض، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها؛ ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويصير في جهة الغرب منها، ويمتد على سواحل أمم مختلفة من الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غربها، ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية ويسامت البلاد التي بينها وبين الأندلس، ويتجاوزها إلى سواحل الأندلس؛ ويمتد على غربي الأندلس جنوبا حتى يجاوزه وينتهي إلى زقاق سبته الذي وقعت البداة منه .

الطَّرَف الثاني

(في البحار المنبثقة في أقطار الأرض، ونواحي الممالك، وما بها من الجزائر المشهورة)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(الخارج من البحر المحيط وما يتصل به)

والمشهور منه ثلاثة أبحر .

البحر الأول

(الخارج من البحر المحيط الغربي إلى جهة الشرق)

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أمهم عليه من شماليه، ويعبر عنه بالبحر الرومي أيضا، وقد يعبر عنه بالبحر الشامي : لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه، ويخرج من المحيط من بحر أوقيانوس المتقدم ذكره بين الأندلس وبرا العدوة

من بلاد المغرب، ويسمى هناك بحر الزقاق، وربما قيل زقاق سبتة - لجوارته لها على ما سيأتى، وهو هناك في غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسي : والثابت في الكتب القديمة أن سبته عشرة أميال ولكنه آقع بعد ذلك .

قال ابن سعيد : وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا .

قال في "الروض المعمار" ويذكر أنه كان عليه قطرة عظيمة من الأندلس وساحل طنجة من بر اللوة، مبنية بالحجارة، لا يعلم لها نظير في معمر الأرض، يمر عليها الناس والدواب من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة طمى فأغرق القنطرة، وربما ظهرت لأهل المراكب تحت الماء . قال : والناس يقولون إنه لأبَد من ظهورها قبل فناء الدنيا .

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزقاق المتقدم ذكره، ويمتد على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المصرية فيمر على مدينة (طنجة) حيث الطول ثمان درج، والعرض خمس وثلاثون درجة ونصف، ثم يعطف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سلا) .

ثم يمتد شرقا وتسمى إلى مدينة (سبتة) ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغرب الأقصى على بُعد منه، ثم يمتد إلى حدود مدينة (تلمسان) قاعدة الغرب الأوسط، ثم يأخذ شرقا بجيلة إلى الشمال حتى يصير عند (الجزائر) قُرْصَة بحاية، ويمر حتى يسامت (بحاية) .

ثم يمتد حتى يجاوز مدينة (مرسى الخرز) الذي به مغاص المرحاض شرق قسنطينة : آنح مملكة بحاية من الشرق، ثم يجاوز مملكة بحاية إلى أول حدود أفريقيا، ويمر في سمت وسط المشرق حتى يقابل مدينة (تونس) قاعدة أفريقية من شمالها، ويدخل منه خور إلى تونس المذكورة .

ثم يمتد بعد أن يتجاوز ثُويس نحو تسعين ميلا شرقا نيفا، ثم يعطف جنوبا حتى يصير له دخلة كبيرة في الجنوب، وفي قَم هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتد في الجنوب إلى قريب من مدينة (سوسة) ثم يشرق إلى سوسة المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المهديّة) ثم يمر شرقا وجنوبا حتى يتجاوز مدينة (صفاقس)، ويمتد حتى يحاوي جزيرة (حربة)، ثم يعطف شمالا ويصير للبحر الجنوبي دخلة في البحر، ويمتد شرقا وشمالا حتى يبلغ مدينة (أطرابلس) : وهي آخر مدین أفريقية، ثم يمتد شرقا حتى يحاوي حدود أفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتد شمالا على سواحل (برقة) الآتي ذكرها في جملة نواحي الديار المصرية إلى (طابثا) ثم يعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبحر في البحر دخلة إلى (رأس أوتان) : وهو جبل داخل في البحر، ثم يشرق من رأس أوتان إلى (رأس تثنى) : وهو جبل في البحر قبالة رأس أوتان من جهة الشرق، ثم يعطف إلى الجنوب ويمتد جنوبا حتى يسمات (عقبة برقة) : وهي أول حدود الديار المصرية ، على ما يأتي ذكره في تحديدها .

ثم يمتد على سواحل مصر، ويمر شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلى عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرقا إلى (رشيد) ^(١) ثم إلى (القرما) ثم إلى (العريش) ثم إلى (رَج) : وهي منزلة في طرف رمل الديار المصرية

(١) رياض في الأصل . وفي النسخ [رشيد عند مصب فرقة النيل الغربية] . ويمتد كذلك إلى مدينة دياط ، عند مصب فرقة النيل الشرقية ، ويأخذ شرقا إلى العلية ثم إلى القرما ... الخ] .

من جهة الشام على مرحلة من غَزَّة، حيث الطول نحو ستّ وخمسين درجة ونصف والعرض اثنتان وثلاثون درجة؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف ويأخذ شمالاً على (سواحل الشام) الآتى ذكرها في الكلام على المملكة الشامية فيمتد إلى مدينة (غَزَّة) ، ثم إلى (عَسْقَلَان) ، ثم إلى (بَافَا) ميناء الرملة من أعمال الصَّفقة الساحلية من دمشق، ثم إلى (قَيْسَارِيَّة) . (يفتح القاف) وهي مدينة خراب تعدّ من جُند فلسطين، كانت من أمّهات المُدن، ثم إلى (عَثَلَيْث) من أعمال صَفد، ثم إلى (عَكَا) من أعمالها، ثم إلى (صُور) من أعمالها، ثم إلى (بَيْروت) من أعمال الصَّفقة الشمالية من دمشق، ثم إلى (جُبَيْل) : وهي مدينة قديمة خراب، ثم إلى (أَفْقَة) : من أعمال طرابلس، ثم إلى مدينة (طرابلس)، ثم إلى (أَنْطَرطُوس) من أعمالها، ثم إلى (بُليّاس^(١)) من أعمالها، ثم إلى (جَبَلَة) من أعمالها، ثم إلى (اللّاذقية) من أعمالها، ثم إلى (السُّويديّة) ميناء أنطاكية من أعمال حَلَب، ثم يأخذ البحر غرباً بشمال إلى (أَيَّاس)، مدينة الفتوحات الجاهلية ، ثم إلى (المصيصة) ثم إلى (أَذَنَة) ثم إلى (طَرَسُوس) ثم يمتدّ شمالاً بغرب حتى يماور حدود بلاد الأرمن؛ ويمتدّ على سواحل بلاد الروم التي هي الآن بيد البركيان الآتى ذكرها في مكاتبات ملوكهم إلى (الكُرك). (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) وهي بلدة بساحل بلاد المسلمين هي الآن بيد صاحب قبرس؛ ثم يمرّ شمالاً إلى (العَلَايَا) ، ويقابلها من البر الآخر (ديماط) من سواحل الديار المصرية تقريباً، ثم يمرّ إلى (أَنْطَالِيَّة)، ثم إلى (بَلَّاط)، ثم إلى (طَنْغَزَلُو)، ثم إلى (أَيَّاس لُوق)، ثم إلى (مَقْنَسِيَا)، ثم إلى مدينة (أَبُزُو) : وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق، وبها يعرف الخليج فيقال فم أبزو، ويقابلها من البر الآخر غربى مدينة الإسكندرية، فيها ينها وين برقة؛ ثم يماور الخليج للذكور ويمتدّ مغرباً بميلة إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجية، فيمرّ على بلاد المرّا : وهي مملكة أولها فم الخليج القسطنطيني

(١) قال في سجع البلدان [بضمين وسكون التون] - وفي القاموس [بفتح كير طراط] طول فيه لنتين .

المتقدم ذكره من جانبه الغربي . كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج ، وقد فتحها الآن ابن عثمان وأستلمها من الروم .

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يحاوز بلاد (المفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . ويقالها من البر الآخر شرق برقة ، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد اقليرنس ، ثم إلى بلاد الباسليسة : وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعائة فُرعَتْ بها .

ويقالها من البر الآخر أوساط برقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب (جَوْن البادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هذا ، ويمتد غربا بشمال حتى يصير طرفه غربي رومية ، وعلى طرفه مدينة (البُنْدُقية) ومن فمه إلى متهاه نحو سبعائة ميل ، ثم يحاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بولية ، وأولها فم خور البنادقة من الجانب الغربي . ويقالها من البحر الآخر (طَلَبِيْثَا) قُرْصَة برقة المتقدمة الذكر ، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد (قلفريه) من جملة مملكة بولية المتقدمة الذكر .

ويقالها من البر الآخر بلاد أطرابُلُس من بلاد إفريقية ، ثم يمتد إلى ساحل (رومية) ، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقالها من البر الآخر شرق تُوُس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جنوبا حتى يحاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التُّسْقَان : وهم جنس من الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزعفران .

ويقالها من البر الآخر مدينة تُوُس : قاعدة أفريقية المتقدمة الذكر ، ويمتد في الجنوب إلى بلاد (بيزه) وهي بلدة على الركن الشمالي من جزيرة الأندلس إليها ينسب الفرنج اليازنة والحليد البيزاني .

ويقابلها من البر الآخر (مَرَسِي الخُرَز) آخر مملكة بِجَايَة من الشرق على ما تقدم ذكره .
ثم يمتد إلى بلاد (جَنَوَة) الآتية ذكرها في الكلام على البلاد الشمالية ، ثم يأخذ
غربا إلى جبل البُرت : وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض
الكبيرة ذات الأمم المختلفة ، ثم ينقطع تقريبا ويمطف مشرقا ويدخل الركن الشرق
من الأندلس فيه ؛ ويمتد في الشرق ، ويستدير على الركن المذكور ، ثم يمطف غربا
ويمتد على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْشَلُونَة) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشَة) .
قال في "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بِجَايَة .

قال في "تقوم البلدان" : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار ، ثم يمتد كذلك بين الغرب
والجنوب إلى مدينة بَلَنْسِيَة ، ثم يمطف غربا إلى دَائِيَة ؛ ثم يمتد غربا فيجنوب إلى
مدينة مالقة ثم يمتد إلى الجزيرة : وهي مقابلة لساحل سَبْتَة وطَنْجَة حيث وقع الابتداء .
وسمى في الكلام على ضبط مالم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف
مع ذكر صفاتها عند التمرّض لذكرها في الكتاب في مواضعها إن شاء الله تعالى .
وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكر ألف فرسخ ومائة
وسبعون فرسخا ، وغاية عَرْضِه في بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومي المتقدم الذكر فيجر نيَطش (بنون مكسورة وياء مثناة
تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة في الآخر) . وهو المعروف في زماننا
بِبحر القريم : لتركب بلاد القريم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمني : لتركب بعض
بلاد أَرْمِينِيَة على بعض سواحله ، وربما قيل فيه البحر الأسود : وهو متصل ببحر الروم
المذكور من شمالية ، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" في أوله وباقي
الضبط على ما تقدم وهو المعروف في زماننا ببحر الأَرَق : لتركب بلاد الأَرَق على ساحله
الشرقي بِلِس وراءه بحر متصل به : ولذلك يُسَمَّى عنه بعضهم ببحيرة مانيطش وهو

يصبُّ في بحر نيطش، وبحر نيطش يصبُّ في بحر الروم؛ ولذلك تُسرَّع المراكبُ في سيرها من القِرَم إلى بحر الروم، وتبطئُ في سيرها من بحر الروم إلى القِرَم لاستقبالها بحرَّان الماء .

وأقول بحر نيطش المذكور مما يلي بحر الروم . (الخليج القسطنطيني) المتقدم ذكره في تحديد بحر الروم : وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر .

قال ابن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وأصله بالبحر الرومي من جانبه الشمالي، ويمتد شمالا على (سواحل بلاد الروم) من البر الشرقي منه إلى (قناة الجرون) وهي قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابل القسطنطينية ويمتد من الجرون شمالا بميلة يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربي على خليج القسطنطينية على القرب من الجرون المذكورة ؛ ثم يمتد شرقا بشمال إلى مدينة (كتروا) ، وهي آخر مدن القسطنطينية التي على هذا الساحل، ثم يمتد إلى مدينة (كينولي) وهي بلدة على الخليج القسطنطيني، ثم يأخذ بين الشمال والغرب، ويكون للبر دخلة في البحر إلى جهة الغرب، وعلى طرف هذه الدخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتي ذكرها في مكاتبات ملوك الكفر ، ثم يأخذ في الاتساع إلى مدينة (سامسون) ، وهي بلدة من سواحل بلاد الروم، ثم يأخذ مُشرقا إلى مدينة (طرابزون)، وهي فرضة للروم بهذا الساحل، ثم يمتد شمالا بميلة إلى مدينة (مُخُوم)، وهي مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون شرقا بشمال، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد، ويقال إنها من بلاد الكرج، ثم يمتد شرقا بشمال إلى مدينة (أبتاس)، وهي مدينة في جبل على ساحل البحر على القرب من مُخُوم، ثم يتصاق بالبحر مغربا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البرَّان وبصير

الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَانِيَطُش في بحر نِيَطُش، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامان) من سواحل الروم: وهي حد بلاد الروم، من مملكة بركة المشتعلة على القرم، ودشت القَبَجاق، والسراى، وخُوَارِزْم على ما سيأتى بيانه في مكاتبات القانات؛ ثم يأخذ في الاتساع شرقاً وتَمَّالاً وغرباً ويصير كالبركة، ويمتد على سواحل الأَزَقِ الآتى ذكرها في مكاتبات حاكمها إلى مدينة الشقراق، وهي أول بلاد الأَزَقِ، ومنها ينتهى قسريقه؛ ثم يعطف إلى الشمال ويأخذ إلى مدينة (الأَزَقِ)، ثم يستدير من الأَزَقِ حتى يصير إلى الغرب، وينتهى إلى الخليج الذى بين بحر نِيَطُش وبحر مَانِيَطُش المتقدم ذكره.

وهناك مدينة الكَرِش من بلاد الأَزَقِ مقابل مدينة الطامان المتقدمة الذكر من البر الآخر، ثم يترجئوا ويمتد على سواحل القرم الآتية الذكر في مكتبة حاكمها، فيمر إلى مدينة (الكفا) فرضة القرم.

ويقابلها من البر الآخر مدينة طرازون المتقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك إلى مدينة صوداق: وهي فرضة ببلاد القرم أيضاً.

ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المتقدمة الذكر، ثم يأخذ في الانضمام جنوباً ويعطف مشرقاً بحيث يكون للبر دخلة في البحر، ويمتد على سواحل بلاد البلغار إلى مدينة صَارِي كَرَمَان من بلاد البلغار، وبينها وبين ضلقات مدينة القرم خمسة أيام.

ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوب المتقدمة الذكر، ثم يأخذ في الاتساع غرباً ويميل إلى الجنوب ويمتد كذلك إلى مدينة أَقْبَا كَرَمَان من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوباً ويمتد على (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلى بلدة صَقِجى، وعندها يصب نهر طُكَّا (بطاء) مهمل مضمومة بعدها نون وألف. وهو نهر عظيم بقدر مجموع دجلة والفُرات، ثم

يتضابق ويأخذ شرقاً حتى ينتهى إلى أول الخليج القُسْطَنْطِينِيّ المتقدم ذكره، ثم يأخذ جنوباً ويتقارب البرّان ويمتد كذلك إلى مقابل مدينة كربى المتقدمة الذكر، ثم يمتد كذلك إلى مدينة (القُسْطَنْطِينِيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكتبة ملكها .
ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدمة الذكر، ثم يمتد حتى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الابتداء . وسأبقى الكلام على ضبط المالم يضبط من البلاد التى على ساحل هذا البحر المتقدمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام على مكاتب ملوكها وحكامها إن شاء الله تعالى .

ويبحر نبطش المتقدم ذكره على القرب من الخليج القُسْطَنْطِينِيّ جزيرة (مَرْمَرَا) الآتى ذكرها عند الكلام على مكتبة ملكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحر الثانى

(الخارج من المحيط الشرقى إلى جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أفهى بلاد الصّين الشرقية الجنوبية مما على خط الاستواء حيث لا عرض، وقيل : على عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب، ويمتد غرباً بشمال على (سواحل بلاد الصّين) الجنوبية، ثم على المفاوز التى بين الصّين والهند حتى ينتهى إلى (جبال قامرُون) الفاصلة بين الصّين والهند .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها فى شرقها، ثم يحاوز (جبال قامرُون) المذكورة ويمتد على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب، ويمر على (سُفَالَة الهند) وهى سُوقَارَة ، ويمتد حتى ينتهى إلى آخر الهند، ثم يمتد على مفازة السّند الفاصلة بينه وبين البحر، ويمر حتى ينتهى إلى قم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشمال على ما سأتأذى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويعاوزه إلى بلاد اليمن فيمر على (ساحل مهرة) : أول بلاد اليمن، ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه حتى ينتهي إلى مدينة (عدن) فُرُوضَةُ الْيَمَنِ، ثم يمر من عدن إلى الشمال بميلة إلى الغرب نحو مجرا حتى ينتهي إلى (باب المنتب) وهو فُرُوضَةُ بين جليلين، ويخرج منه ويمتد غربا بميلة إلى الشمال أنفي عشر ميلا، ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى (علاقَة) فُرُوضَةُ مَدِينَةِ (زَيْد)؛ ثم يمتد شمالا أيضا إلى مدينة (حلي) من أطراف اليمن من جهة الحجاز، وهي المعروفة بحلي أبن يعقوب ثم يمتد شمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جُلَّة)، فُرُوضَةُ على بحر القلزم؛ ثم يمتد شمالا إلى (المنجفة) ميقات الإحرام لأهل مصر؛ ثم يمتد شمالا بميلة إلى الغرب حتى يتصل بساحل (يَمَن)؛ ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يعاوزه (مَدِين) الآتي ذكرها في كُور مصر القديمة؛ ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب (أَيْلَة) الآتي ذكرها في كُور مصر القديمة أيضا؛ ثم يعطف إلى الجنوب حتى يعاوزه أَيْلَة المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبي محمد) ويكون للبردخلة في البحر في جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا حتى ينتهي إلى فُرُوضَةِ (الطور)؛ وهي مكان حط وإقلاع لراكب الديار المصرية، وما يصل إليها من اليمن وغيرها، ويمر في الشمال حتى يصل إلى فُرُوضَةِ (السويس)؛ وهي مكان حط وإقلاع للديار المصرية أيضا؛ وعنده ينتهي بالعرب يمر القلزم ويتدنى بالبحر . وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تهتم ذكره في الكلام على أصل هذا البحر .

ثم من السويس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر، ويمتد موازيا لبلاد الصعيد حتى ينتهي إلى مدينة (القلزم) التي ينسب إليها هذا البحر الآتي ذكرها في الكلام على كُور مصر القديمة، ويقابلها من بر الحجاز أَيْلَة، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بميلة إلى الشرق حتى يسامت فُرُوضَةُ الطور المتقدم ذكرها، وتصير فُرُوضَةُ الطور بين أَيْلَة

والقُلُومُ غربيُّ السُّخْلَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا ؛ ثُمَّ يَمْتَدُّ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى (الْقَصِيرِ) ، فُرْصَةٌ قُوصٌ ؛ ثُمَّ يَتَسَعُّ فِي جِهَتِي الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ حَتَّى يَكُونَ أَسَاسُهُ تِسْعِينَ مِيلًا ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْقِطْعَةُ الْمَتَسَعَّةُ بِرَكَّةِ الْفَرَنْدِلِ : وَهِيَ الَّتِي أَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا فِرْعَوْنَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا بِمِيلَةٍ يَسِيرَةً إِلَى الْغَرْبِ إِلَى (عَيْذَابَ) ، فُرْصَةٌ قُوصٌ أَيْضًا . وَيَقَابِلُهَا مِنْ بَرِّ الْحِجَازِ جُدَّةُ فُرْصَةُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةُ ؛ ثُمَّ يَمْتَدُّ فِي سَمْتِ الْجَنُوبِ عَلَى (سَوَاحِلِ بِلَادِ السُّودَانِ) حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَ (سَوَاكِنَ) مِنْ بِلَادِ الْبِجَاةِ ؛ ثُمَّ يَمْتَدُّ كَذَلِكَ حَتَّى يَحِيطَ (بِجَزِيرَةِ دَهْلَكَ) وَهِيَ جَزِيرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَأَهْلُهَا مِنَ الْحَبَشَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَيَقَابِلُهَا مِنَ الْبَرِّ الْآخَرِ جَنُوبِيٌّ حَتَّى أَبْنِ يَعْقُوبَ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَيَمْتَدُّ حَتَّى يَصِلَ إِلَى رَأْسِ (جَبَلِ الْمُنْتَدِبِ) الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرِهِ .

وَهُنَاكَ يُضِيقُ الْبَحْرُ حَتَّى يَرَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ مِنَ الْبَرِّ الْآخَرِ . وَيَقَالُ : إِنَّهُ بِقَدْرِ رَمِيْقٍ سَهْمٍ ؛ وَتُرَى جِبَالَ عَدَنَ مِنْ جِبَالِ الْمُنْتَدِبِ فِي وَقْتِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ يَتَجَاوَزُ بَابَ الْمُنْتَدِبِ وَيَأْخُذُ شَرْقًا وَجَنُوبًا ، وَيَتَسَعُّ قَلِيلًا قَلِيلًا وَيَمُرُّ عَلَى بَقِيَةِ سَوَاحِلِ الْحَبَشَةِ حَتَّى يَمُرَّ بِمَدِينَةِ (زَيْلَعٍ) مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَيَقَابِلُهَا عَدَنَ مِنْ بَرِّ الْيَمَنِ ، وَهِيَ عِنْدَ غَرْبِ بَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ ، ثُمَّ يَمُرُّ إِلَى مَدِينَةِ مَقْدِسِيٍّ^(١) حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى (خَلِيجِ بَرِّرَا) الْخَارِجِ مِنْ بَحْرِ الْهِنْدِ فِي جَانِبِهِ الْجَنُوبِيِّ عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَيَتَجَاوَزُ فِي هَذَا الْخَلِيجِ وَيَمْتَدُّ عَلَى (سَوَاحِلِ بِلَادِ الزَّنَجِ) حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهَا ؛ ثُمَّ يَمْتَدُّ عَلَى (سَوَاحِلِ بِلَادِ الْوَاقِ) عَلَى أَمَا كُنَّ مَجْهُولَةً حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَبْدَأِهِ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ الشَّرْقِيِّ . عَلَى أَنَّهُ فِي تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ لَمْ يَتَمَرَّضْ لِسَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ فِيهَا هُوَ شَرْقِيٌّ بَابَ الْمُنْتَدِبِ لَعَدَمِ تَحَقُّقِهِ .

(١) فِي تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ [بِكسر الهمزة] وَفِي مَعْيَمِ الْبُلْدَانِ [بِفتح الهمزة] فَهِيَ لَتَانٌ .

وأعلم أن هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلدان ، أو باسم بعض البلدان التي عليه . فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين ، وفيما يقابل بلاد الهند إلى ماجاورها إلى بلاد اليمن شرق باب المندب بحر الهند ، وفيما دون باب المندب إلى غايته في الشمال والغرب بحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم المتقدمة الذكر في ساحل الديار المصرية .

قال في "تقويم البلدان" : وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرق إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالقرب ، ومقتضى كلام ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسبعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان : فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلى باب المندب أربعة آلاف وتسبعمائة فرسخ ، ثم ذكر أن طول بحر القلزم ألف وأربعمائة ميل ، وهي أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلايين يون .

وكلام صاحب "تقويم البلدان" أقرب إلى الصواب . فإنه أستخرجه من تضريب الدرّج وأستخرج أميالها وفراخها . وبآخر بحر القلزم من الذراع الآخذ إلى جهة السويس على ميل من مدينة القلزم موضع يعرف (بذنب التمساح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين القربا حتى يكون بينهما نحو سبعين ميلا فيما ذكره ابن سعيد .

قال في "الروض المطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم ، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى في كتابه . قال : ولما لم يتأت له ذلك أحفر خليجا آخر مما يلي بلاد تيس وديماط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقمعان (٩) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القلزم إلى ذنب التماسح فيقرب ما في كل بحر إلى الآخر، ثم أردتم ذلك على طول التهر .

وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يحرق بينهما من عند ذنب التماسح المتقدم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
وقال : إِذَنْ يَتَخَطَّفُ الرُّومُ الْحُجَّاجَ .

وذكر صاحب «الروض المطار» أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مَصَّبَ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقصى صعيد مصر فلم يأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما على بلاد القرم فقال له يحيى بن خالد : إنَّ هَذَا تَخَطَّفُ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَكَّةَ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِنِعْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ويتفرع من البحر الهندي بحران عظيمان مشهوران ، وهما (بحر فارس ، والخليج البربرى) .

فأما بحر فارس ، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه ، ويمتد شمالاً ببيلة إلى الغرب غربى (مفازة السند) الفاصلة بينه وبين بحر الهند ، ثم على غربى بلاد السند ، ثم على أرض (مكران) من نواحي الهند ، ويخرج منه من آخر مَكْرَانَ خَوْرٌ يمتد شرقاً وجنوباً على ساحل مَكْرَانَ وَالسُّنْدِ حَتَّى يَصِيرَ السُّنْدِ غَرْبِيَّةً ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ آخَرُهُ عَلَى (ساحل بلاد كَرْمَانَ) من شماليها حتى يعود إلى أصل بحر فارس ، فيمتد شمالاً حتى يتهى إلى مدينة (هُرمُوز) ويتهى إلى آخر كَرْمَانَ فيخرج منه خَوْرٌ يمتد على ساحل كَرْمَانَ من شماليها ، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصل بأصل بحر فارس ، ويمتد شمالاً ثم يعطف ويمتد مغرباً إلى (حصن ابن عُمارَة) من بلاد فارس ، وقيل من بلاد كَرْمَانَ ، وهو اليوم نراب ؛

ثم يمتد مغرباً في جبال منقطعة ومفاوز إلى مدينة (سيراَف)؛ ثم يمتد كذلك إلى (سيف البحر) بكسر السين : وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتد إلى (جَنَابَة) من بلاد فارس، ثم يمتد إلى (سينيز) من بلاد فارس، وقيل من الأهواز ثم يمتد إلى مدينة (مَهْرُوبَان) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهي فُرْضَة (أَرْجَان) وما والاها، ثم يمتد مغرباً ببيلة يسيرة نحو الشمال إلى مدينة (عَبَادَان) من أواخر بلاد العراق من الشرق على القرب من البصرة عند مَصَبِّ دِجْلَة في هذا البحر، ثم ينعطف ويمتد جنوباً إلى (كَاطِمَة) وهي جَوْثُ على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين منها، ثم يمتد إلى (الْقَطِيف) من بلاد البحرين ثم يمتد كذلك إلى مدينة (عُمَان) فُرْضَة بلاد البحرين، وإليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج، ويخرج على القرب منها عن يمين المقلع من ساحلها في جهة الغرب بحر بلاد (الشَّحْرِ) من اليمن أيضاً، وإليها ينسب العَبَرُ الشَّحْرِيُّ الطَّيْبُ كما هتتم ذكره في النوع الخامس فيما يحتاج إليه من قيس الطيب؛ ثم يمر على سواحل (مَهْرَة) من شرق بلاد اليمن حتى ينتهي إلى مبدئه من بحر الهند .

قال في "تقويم البلدان": وفيهم هذا البحر ثلاثة أجبلٍ يحشاها المسافرون، يقال لأحدها كُسَيْرٌ، والثاني عَوِيرٌ، والثالث ليس فيه خيرٌ .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربع مائة فرسخ وأربعون فرسخاً، وعمقه ثمانون باهاً .

وأما الخليج البربري، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره في جنوبي جبل المنسب المتقدم الذكر، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة، ويأخذ غرباً حتى ينتهي إلى مدينة بربراً (ربما من موحدتين مفتوحتين ورايين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهي قاعدة الرِّقَاوَةِ من السُّودَانِ، حيث الطُّولُ ثمان وستون درجةً والعرضُ ست درج ونصف .

قال في "هَوَيمُ البُلْبَانِ": وطوله من المشرق إلى المغرب نحو خمسمائة ميل .
قال الشريف الإدريسي : وموجه كالجبال الشواهي ولكنه لا ينكسر . قال :
يركب فيه إلى جزيرة قبلو ويقال قنبلة، وهي جزيرة للزُّنَجِ في هذا البحر .
قال في "القانون": وطولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها في الجنوب ثلاث درج .
قال الإدريسي : وأهلها مسلمون .

البحر الثالث

(الخارج من المحيط الشمالي، المعروف ببحر برَدِيل)

(يفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر النال المهملة وسكون الباء المثناة تحت ولا م في الآخر) .

قال ابن سميّد : ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شمالي الأندلس ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة، ويقرب طرفه الشرقي حتّى يَبْقَى بينه وبين بحر الروم المتقدّم ذكره أربعون ميلا، وهناك مدينة (برَدِيل) التي يضاف البحر إليها .

الضرب الثاني

(من البحار المنهثة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال بالبحر المحيط)
وهو بحر الخَزَرِ (يفتح الخاء والراء المعجمتين، وراء مهملة في الآخر) .

ويسمى بحر جرجان لوقوع مدينة جرجان على ساحله ، وبحر طبرستان لوقوع ناحية طبرستان على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر ملح متفرد عن البحار لا اتصال له بغيره البتة .

قال ابن حوقل : وهو مظلم القعر ، ويقال إنه متصل ببحر نبطش من تحت الأرض .

قال المسعودى : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله أين طريق الحس ، أم من طريق الاستلال والقياس .

قال الشريف الإدريسي : وهو مدور الشكل إلى الطول ، وقيل مثلث الشكل كالقلم ، وعلى ساحله الجنوبي بلاد الجبل والديلم ، وعلى جانبه الشرق بلاد جرجان والمفاضة التي بين جرجان وخوارزم ، وعلى جانبه الشمال بلاد الترك والخرز وجبال سياه كوه ، وعلى جانبه الغربي بلاد إيلاق وجبال الفتق ، وأبتدأه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف باب الأبواب من بلاد آران ، حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دريبد شروان ، ثم يمتد جنوبا من باب الحديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكرفيه ، ثم يمتد مشرقا بانحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمر على أراضي موقان من عمل أردبيل من آذربيجان ، ثم يمتد جنوبا وشرقا حتى تبلغ نهايته في الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طبرستان ، ثم ينطف ويمتد شرقا حتى يعلو بلاد الجبل إلى مدينة آبسكون ، وهي قرصة جرجان ، ثم يمتد إلى نهايته في الشرق حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض نحو أربعين عند مدينة جرجان ، وهي في الشرق منه قرية من ساحله ، ثم ينطف ويمتد شمالا وغربا حتى يبلغ نهايته في الشمال حيث العرض نحو خمسين درجة ، والطول تسع وسبعون

(١)
درجة؛ وفي شماليه وغربيته يصبّ نهر إرّيل الذي عليه مدينة السراى قاعدة مملكة
أزبك الآتى ذكرها في مكتبة قائمهم إن شاء الله تعالى .
قال في "تهويم البلدان" : وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الثانية

(في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في كيفية استخراج جهات البلدان)

إذا كنت في بلد وأردت أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذي أنت فيه، فالذي أطلقه
كثير من المصنفين أنك تعرف طول البلد الذي أنت فيه وعرضه، وطول البلد الآخر
وعرضه، وتقابل بين الطولين وبين العرضين فإن كان ذلك البلد أعرض من بلدك
مع مساواته له في الطول، فهو عنك في جهة الجنوب . وإن كان أطول من بلدك
مع مساواته له في العرض، فهو عنك في جهة الشرق . وإن كان أقبل طولاً مع مساواته
في العرض، فهو عنك في جهة الغرب . وإن كان أطول وأعرض من بلدك،
فهو عنك بين الشرق والشمال . وإن كان أقبل طولاً وعرضاً، فهو عنك بين المغرب
والجنوب . وإن كان أقبل طولاً وأكثر عرضاً، فهو عنك بين الجنوب والشمال .
وإن كان أكثر طولاً وأقل عرضاً، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذي ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطول من بلدك مع
مساواته له في العرض، يكون عنك في جهة الشرق بميلة إلى الشمال . وإذا كان أقبل

(١). في سجع البلدان بالهيئة القوية [يوزن إيل] .

طولا مع مساواته له في العرض ، يكون في جهة الغرب بميلة إلى الشمال أيضا .
وإذا كان أقل طولا وعرضا ، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدم ، إلا أن يقل
الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المغرب . وإذا كان أقل طولا وأكثر عرضا ، فإنه يكون بين المشرق
والمغرب على ما تقدم ، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المشرق .

الطرف الثاني

(في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان)

قد تقدم أن الأطوال والعروض في الأمكنة والبلدان تعتبر بالدرج والتقائق ،
وأن الدرجة مقسومة بستين دقيقة ، ثم الذي حققه القدماء كبطليموس صاحب
الجسطي وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلا وثلاثي ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين ،
وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرصد المأمورين مما يخالف ذلك بنقص عشرين درج
مما لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين في "زيجه" عن القدماء أنهم قدروا
الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وستين ميلا ، وبمائتي ألف وأربعين ألف ذراع ،
وبخمسة بريد ، وبمسير يومين .

وقدر الشافعي رضي الله عنه ذلك بمسير يومين بالأيام المعتدلة دون ليلتهما ، وقدر
السير بالسير المعتدل ، وتقدير الدرجة كما بين القسطاط وديمياط ، فإن عرض ديمياط
يزيد على عرض القسطاط بدرجة وكسري سير على ما سيأتي ذكره .

فاذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذي أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم ،
فلك حالتان :

الحالة الأولى - أن يكون ذلك البلد على سُمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أو العرض، فأَظْهَرَكُم درجة بينهما بالزيادة والنقص فأضربه فى ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأُميال، فما نخرج من الضرب فهو بُعد ما بينهما من الأُميال على الخط المستقيم، فأَعتَبره بما شئتَ من المراحل والقراخ والبُرد على ما تهتَم بِيانِه .

الحالة الثانية - أن لا يكون ذلك البلد على سُمْتِ بلدك الذى أنت فيه . فطريقك أن تقابل بين عَرَضِ بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتَظْهَرَكُم فَضْلُ ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيدُه أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كلاً من فَضْلِ الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جَذْرَهُ، وهو القدر الذى إذا ضربتَه فى مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فأضربه فى ست وستين وتُثْنِين على ما تهتَم، فما بلغ فهو أُميال . فأَعتَبره بما شئتَ من المراحل والقراخ والبُرد على ما تهتَم .

مثال ذلك - أن القُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة وِدِمَشَقَ طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث درج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين : وهو خمس درج فى مثله يبلغ خمساً وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ أثنى عشر وربعا، فتجمع ما حصل من العَرضَين، وهو خمس وعشرون وأثنا عشر وربعا، يكون سبعا وثلاثين وربما نخذ جَذْرَها يكن سِتَا ونصف سُدْسٍ تقريباً، وهو ما بين القُسْطَاطِ وِدِمَشَقَ من الدرج، فأضربه فى ست وستين وتُثْنِين، وهى ما للدرجة الواحدة من الأُميال يكن أربعاً مائة وخمسة أُميال وثلاث سُدسِ ميل، فإذا أعتبرت كل أربعة

وعشرين ميلاً بمرحلة على ما هتّم، كانت سبع عشرة مرحلة تقريباً، وهو القدر الذى بين القُسطاطِ وِدِمَشَقْ على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلْدان على التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

وقد ذكر أبو الرِّيحان البيرونى في كتابه "القانون" : أن زيادة التعرّيج على الاستواء يكون بقدر الخمس تقريباً . فإذا كان بين البلدين أربعون ميلاً على الخط المستقيم كانت بحسب سائر السائر خمسين ميلاً .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض في الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد في الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما هتّم بين القُسطاطِ وِدِمَشَقْ، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب، فإذا أضيف إليها مثلُ حجمها، وهو ثلاثة وخمسان، كانت عشرين مرحلة، وهو القدر المتأد في سيرها بالسير المعتدل . وأعلم أن أطوال البُلْدان وعُرُوضها قد وقع في الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفرّيس . و"رسم المعمور" المترجم للامون من اللغة اليونانية . و"الزيجات" وغير ذلك أختلاف كثير وتباين فاحش . ومن صرح بذكر ذلك أبو الرِّيحان البيرونى في كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتبألى تصحيح جميعها، وقد صحّحت ما أمكن منها .

قال في "تقويم البُلْدان" : إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

الباب الثاني

من المقالة الثانية

(في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء، ومقرّراتهم في القديم والحديث، وما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هي عليه الآن، وفيه فصلان)

الفصل الأول

في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء : من خلفاء بني أمية بالشام ، وخلفاء بني العباس بالعراق ، وخلفاء القاطمين بمصر، وخلفاء بني أمية بالاندلس .
أما الخلافة، فسيأتي في المقالة الخامسة في الكلام على الولايات أن المراد بها خلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعده في أمته . ولذلك كان يقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال في الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتي ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .
وأما منّ ولها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات .

الطبقة الأولى

(الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وأولهم (أبو بكر الصديق رضي الله عنه)؛ بوجع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم ! على ما سيأتي ذكره في الكلام على البيعات من المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقي حتى توفّي لتسع ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ! في مجبرة طائفة رضي الله عنها .

وبويع بعده (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) في اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عهد له بالخلافة، وتوَقَّى يوم السبت سَلَخَ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى ثُوَلُوةَ: غلام المغيرة بن شعبة، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه

وفي أيامه فتحت الأمصار ففتحت دِمَشْقُ على يد خالد بن الوليد وأبى عبيدة ابن الجراح، وتبعهما في الفتح سائر بلاد الشام؛ فتحت بَيْسَانُ، وطَبْرِيةُ، وقَيْسَارِيَّةُ، وقَيْسَطِينُ، وعَمَقْلَانُ، وبيْلَبْكُ، وخِصُّ، وحَلَبُ، وقَنْسِرِينُ، وأنطاكيةُ، ومِيسارُ إلى بيت المقدس في خلال ذلك، ففتحته صلحا .

وُفُتِحَ من بلاد الجزيرة الفراتية الرِّقَّةُ، وحرَّانُ، والمَوْصِلُ، ونَيْصَبِينُ، وآيْدُ والرُّها .
وُفُتِحَ من العراق القَادِسِيَّةُ، والمدائِنُ، على يد سعد بن أبى وقاص، وزال مُلْكُ الفُرسِ، وأنهمز مَلِكُهُمْ يَزْدَجَرْدُ إلى فرغانة من بلاد التُّرك .

وفتحت أيضا كُورُ دِجْلَةَ، والأُبُلَّةُ، على يد عُتْبَةَ بنِ عَزْرَوَانَ .

وفتحت كُورُ الْأَهْوَازِ على يد أبى موسى الأشعرى .

وفتحت نِهَازَنْدُ، وإصطخرُ، وأصْبَهَانُ، وقِسْتَرُ، والمُوسُ، وأَذَرْبَيْجَانُ، وبعض أعمال خِرَاسَانَ .

وفتحت مِصْرُ، والإِسْكَنْدَرِيَّةُ، وأنطاكيُسُ، وهى بَرْقَةُ، وطَرَابُلُسُ الغرب، على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده (عثمان بن عفان رضى الله عنه) لثلاث بقين من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل بالمدينة ثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل يوم الاثنين، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده **(عليّ كرم الله وجهه)** يوم قتل عثمان، وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق، ودفن بالنجف على الصحيح المشهور.

وبويع بالخلافة لابنه **(الحسن)** بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه، وسلم الأمر لماوية بنحو خمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن توفى بها في ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وقيل ست وخمسين.

الطبقة الثانية

(خلفاء بني أمية)

أولهم **(معاوية بن أبي سفيان)** كان أميراً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر بها إلى أن سلم الحسن إليه الأمر، فأستقل بالخلافة وبقي حتى توفى بدمشق مستهل رجب الفرد سنة ستين من الهجرة، وقيل في النصف من رجب، وهو أول من رتب أمور الملك في الإسلام.

وقام بالأمر بعده ابنه **(يزيد)** بالعهد من أبيه؛ وبويع له بعد وفاته في رجب سنة ستين، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين.

وقام بالأمر بعده ابنه **(معاوية)** وبويع له بالخلافة في النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فأقام بالخلافة أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل عشرين يوماً.

وقام بالأمر بعده **(مروان بن الحكم)**؛ وبويع له بالخلافة بالجالية في رجب سنة أربع وستين، ثم جئلت له البيعة في ذى القعدة من السنة المذكورة، وتوفى بالطاعون بدمشق في شهر رمضان سنة خمس وستين.

وقام بالأمر بعده أبنة ((عبد الملك)) بالعهد من أبيه؛ ويوبع له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفى بدمشق منتصف شوال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده أبنة ((الوليد)) بالعهد من أبيه؛ ويوبع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفى بدمشق في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه ((سليمان بن عبد الملك))؛ ويوبع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفى بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده ابن عمه ((عمر بن عبد العزيز)) بعهد له؛ ويوبع له بالخلافة يوم موته، وتوفى بمُناصرة لخمس وقيل لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقام بالأمر بعده ((يزيد بن عبد الملك بن مروان)) بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لأبن عمه عمر، ويوبع له يوم موت عمر، وتوفى ببجولان لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه ((هشام بن عبد الملك)) بعهد من أخيه يزيد؛ ويوبع له بالخلافة في يوم موته، وتوفى بالرصافة ليست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده ((الوليد بن يزيد بن عبد الملك))؛ ويوبع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخرة سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين^(١) .

(١) أى فكانت خلافته مع واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعده أخوه (يزيد) المعروف بالنقص؛ سمي بذلك لتقصه الجند ما كان زادهم يزيد؛ بويج له بالخلافة يوم قتل الوليد، وتوفي بدمشق لعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه (إبراهيم بن الوليد)؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أخيه في ذى الحجة المذكور، فكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوما ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعده (مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي)؛ بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمر إليه؛ وفي أيامه ظهرت دعوة بني العباس، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر، فأدرك وقتل بقرية يقال لها بؤصير من الفيوم، وبزواله زالت دولة بني أمية .

الطبقة الثالثة

(خلفاء بني العباس بالعراق)

وأول من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بني أمية (السفاح) وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس؛ عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ بويج له بالخلافة بالكوفة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي بالأنبار ثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه (المنصور) أبو جعفر عبد الله؛ بويج له بالخلافة يوم موت أخيه السفاح، وتوفي بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن بالحجون .

وقام بالأمر بعده أخوه (المهدي) أبو عبد الله محمد؛ بويج له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفي بماسذان في المحرم سنة تسع وستين ومائة .
وقام بالأمر بعده أخوه (المهدي) أبو محمد موسى؛ بويج له بعد أبيه يوم موته وهو غائب، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوما، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

(١) وكان مقبلا بجران يحارب أهل طبرستان بسكر أبيه .

وقام بالأمر بعده ((الرشيد)) أبو محمد هرون بن المهدي؛ بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادي، وتوفي ليلة السبت ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده أبوه ((الأمين)) أبو عبد الله محمد، ويقال أبو موسى، ويقال أبو العباس، بالمهد من أبيه هرون الرشيد؛ وبويع له صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه الرشيد، وقتل خمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه ((المأمون)) أبو العباس، ويقال أبو جعفر عبد الله، بالمهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين؛ وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو ظابط؛ وبويع له البيعة العامة خمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وتوفي بأرض الروم ليلة بقيت من رجب، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمان عشرة ومائتين، ودفن بطرسوس .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المتنم بالله)) أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطرسوس، فصار إلى بغداد، فدخلها مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين، وتوفي بسامرا ثمانى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبوه ((الواثق بالله)) أبو جعفر هرون؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفي بسرمن رأى ليلة السبت بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المتوكل على الله)) أبو الفضل جعفر؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق، وقتل ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبنته (المستنصر بالله) أبو جعفر محمد؛ بويج له بالخلافة صبيحة قتل أبيه المتوكل، وتوفي بسلاماً ثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيل لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (المستعين بالله) أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدم ذكره؛ بويج له بالخلافة في اليوم الثاني من موت المستنصر، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وجُهِزَ إلى واسط، فقتل بها في آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده (المعتر بالله) أبو عبد الله محمد، وقيل أبو الزبير ابن المتوكل على الله المتقدم ذكره؛ بويج له ببغداد حين خلع المستعين نفسه، وبايعه المستعين فيمن بايع، وخلع ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك .
وقام بالأمر بعده (المهتدي بالله) أبو عبد الله ، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدم ذكره؛ بويج له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتر بالله، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ؛ وكان يقال هو في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية .

وقام بالأمر بعده (المعتمد على الله) أبو العباس ، ويقال أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره؛ بويج له بالخلافة يوم قتل المهتدي بالله، وتوفي لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة سبع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (المعتضد بالله) أبو العباس أحمد بن الموفق، طلحة بن جعفر المتوكل ؛ بويج له بالخلافة يوم قتل المعتمد على الله، وتوفي ببغداد اسبع وقيل لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبوه ((المكشى بالله)) أبو محمد علي؛ بوج له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرقعة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة علي من عنده وسار إلى بغداد، فدخلوا ثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المقتدر بالله)) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدم ذكره، وخُلع لعشرَين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين .

وبوج ((المرتضى بالله)) أبو محمد عبد الله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم اضطرب عليه الأمر فأخفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بأبن المعتز فصادره، ثم أُخرج من دار السلطان ميتًا لليلتين خلتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خلع المقتدر بالله نفسه، وبوج بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقي حتى قُتل لثلاث خلون من شوال سنة عشرين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه ((القاهر بالله)) المتقدم ذكره، لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، ثم خلع ومُثلت عيناه لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن أخيه ((الراضى بالله)) أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدم ذكره، وتوفى لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المتقى بالله)) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدم ذكره، بوج له بالخلافة لعشرَين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وخُلع ومُثلت عيناه لعشرَين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه (المستكفي بالله) أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله المتقدم ذكره؛ بويج له بالخلافة يوم خلع المتق بالله بمشاركته له، ثم خلع وسملت عيناه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه (المطيع لله) أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل ابن المقتمد بالله المتقدم ذكره؛ بويج له بالخلافة يوم خلع المكتفي، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض في الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

وولى بالخلافة بعده ابنه (الطائع لله) أبو بكر عبد الكريم؛ بويج له بالخلافة يوم خلع أبيه المطيع لله، وقُصَّ عليه لأتت عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده (القادر بالله) أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويج له بالخلافة يوم خلع الطائع، وكان غائباً بالطائع فأحضر، وجددت له البيعة ببغداد في شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفي حادى عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه (القائم بأمر الله) أبو جعفر عبد الله، بالعهد من أبيه، وجددت له البيعة بعد موت أبيه، توفي ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابن ابنه (المقتدى بأمر الله) عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدم ذكره، وتوفي بغاة في الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه (المستظهر بالله) أبو العباس أحمد؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفي سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة ونعمسمائة .

(١) كذا في العقد أيضاً وفي حياة الحيوان [أبو العباس] .

(٢) ليست هذه الكلمة في العقد ولا في حياة الحيوان وهي قليلة الجدوى كما ترى .

وقام بالأمر بعده أبنة (المسترشد بالله) أبو منصور الفضل؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل في قتال الباطنية سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (الراشد بالله) أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيه؛ وجئدت له البيعة يوم قتله، وخلع في منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده (المقتنى لأمر الله) أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقتم ذكره؛ بويج له بالخلافة يوم خلع الراشد بالله، وتوفى ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (المستجد بالله) أبو المظفر يوسف؛ بويج له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتنى، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (المستضي بالله) أبو محمد الحسن؛ بويج له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستجد من أقاربه بيعة خاصة، وفي عشره بيعة عامة، وتوفى ثاني ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (الناصر لدين الله) أبو العباس أحمد؛ بويج له بالخلافة يوم موت أبيه المستضيء، وتوفى أول شوال سنة أئتين وعشرين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (الظاهر بأمر الله) أبو نصر محمد؛ بويج له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (المستنصر بالله) أبو جعفر المنصور؛ بويج له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنة (المستعصم بالله) أبو أحمد عبد الله؛ بويج له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بالله، وقتله هو لا كوكب التار في العشرين من الحزم سنة

(١) أي عام ربيع الآخر الثالث لبيعة الخاتمة الواقعة في التاسع .

ست وخمسين وستائة . وبقتله أقرضت الخلافة العباسية من بغداد، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس ببغداد إذا عُلّت خلافة ابن المعتز، وحسبت خلافة القاهرة أولا وثانيا خلافة واحدة .

الطبقة الرابعة

(خلفاء بني العباس بالديار المصرية من بقايا بني العباس)

وأول من قام بأمر الخلافة بها ((المستنصر بالله)) أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد المتقدم ذكره . وذلك أنه لما قتل التتر المستعصم المتقدم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرة انحوا من ثلاث سنين ونصف ثم قَدِم جماعة من عرب الجبال إلى مصر في رجب سنة تسع وخمسين وستائة أيام الظاهر بنبرس، ومعهم المستنصر المذكور، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر، فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء، منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الشافعى، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنفسه، ثم شهد جماعة من اليهود على شهادتهم بحكم الاستفاضة، وأثبت ابن بنت الأعز نسبه، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهل الحل والعقد، وأهتم الملك الظاهر بأمره، واستخدم له عسكريا عظيما، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته بفحزة من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا أن يستولى عليها ويتربعها من التتار، فخرج إليه التتار قبل أن يصل ببغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره في العشر الأول من المحرم سنة ستين وستائة . فكانت خلافته دون السنة، وهو أول خليفة لقب بلقب خليفة قبله، وكانوا قبل ذلك يلقبون بالقاب مرتجلة .

وقام بالأمر بعده (الحاكم بأمر الله) أبو العباس أحمد بن حسين بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي القتيّ ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور المتفقم ذكره في الخلفاء ببغداد . قدّم مصر سنة تسع وخمسين وستائة، وهو ابن خمس عشرة سنة في سلطنة الظاهر بيبرس، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد، وجلس له مجلسا عاما أثبت فيه نسبه، وبايعه بالخلافة في سنة ست وستين وستائة، وأشركه معه في الدماء في الخطبة على المنابر، إلا أنه منعه التصرف والتخول والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، فأمكنه بالكيش بخطط الجامع الطولوني، فكان يخطب أيام الجمعة في جامع القلعة ويصلي، ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن المنصور لاجين، فأباح له التصرف حيث شاء وأركبه معه في الميادين، وتوفي في شهر سنة إحدى وسبعائة .

وقام بالأمر بعده ابنه (المستكني بالله) أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وأستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب والتزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في شهر سنة تسع وسبعائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلى قوص ليقم بها ، وبقي بقوص حتى توفي في سنة أربعين وسبعائة .

وولي الخلافة بعده ابنه (المستعصم بالله) أبو العباس أحمد بهد من أبيه المستكني بأربعين شاهدا بمدينة قوص، ودعى له على المنابر في العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبعائة .

ثم خلفه الناصر محمد بن قلاوون، وبايع بالخلافة (الواثق بالله) أبا إسحاق إبراهيم ابن الحاكم بأمر الله المتفقم ذكره، وأمر بأن يدعى له على المنابر، ويحمل له راية الخلافة،

غزى الأمر على ذلك . وكان قد تم بمبايعته بعد موت المستكنى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر في العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم ، وبقي حتى توفى رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعائة .

ثم ولى الخلافة بعده أخوه (المعتضد بالله) أبو الفتح أبو بكر بن المستكنى بالله أبي الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، وتوفى عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعائة .

وولى الخلافة بعده ابنه (المتوكل على الله) أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المتقدم ذكره بالهد من أبيه المعتضد ، واستقر له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعائة ، وبقي حتى خلعه الأمير أتيك أتابك الساكر في سلطنة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه (المستعصم بالله) أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدم ذكره ، فأقام في الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبي بكر إلى الخلافة ثانيا في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعائة ، واستمر حتى قبض عليه الظاهر برقوق وأعتقله بقلعة الجبل في مسهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعائة .

وولى الخلافة مكانه (الواثق بالله) أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره ، فبقي حتى توفى في العشر الأول من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدم ذكره ثانيا إلى الخلافة ، والمتوكل على الله في الاعتقال والناس لا يرون في كل ذلك الخليفة غيره .

ثم عن الملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكل على الله من الاعتقال، وأكرمه وأحسن إليه في ثانی جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وبقي في الخلافة حتى توفي سابع عشر شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وولى الخلافة بعده أبوه (أبو الفضل العباس) ولقب المستعين بالله . وبقي في الخلافة على سنين من تقدمه من الخلفاء العباسيين بالذيار المصرية من قصور أمره على العهد إلى السلطان والتماء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام في الثاني عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستقل بالأمر وأستبد به، وأجمع له أمر الخلافة : من ضرب اسمه على السكة في التناير والدرهم والتماء له على المنابر بمفرده، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكتابات وغيرها، وقوض أمر تدبير دولته للأمر "شيخ" وكتب له تفويض في ورق، عرضه ذراعاً ونصف بذراع البز، يزيد عما كان يكتب فيه للسلطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كاتبه المقر الشمسى محمد العمري عين أعيان كتاب النسخ الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية، ونائب كاتب السر . وسأى ذلك في الكلام على التواقيع في المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وأما مقرات الخلفاء، فهي أربع مقرات :

المقرة الأولى

(المدينة النبوية على ما كنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام)

كانت مقرة الخلفاء الراشدين إلى حين أنقراضهم، وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بها حتى توفي في الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثاني عشر الخ ولكن في العقد "ثلاث عشرة خلت من ربيع الأول" ولعل المؤلف أخطأه .

ثم كان بعده في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن إلى حين سَلِمَ الأمر لمعاوية، وإنما كان مُقام علي والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية .

المقرة الثانية

(الشام)

وهي دار خلفاء بني أُمية إلى حين اقتراضهم

قد تقدّم أن معاوية كان أميراً على الشام قبل الخلافة، ثم استقل بالأمر حين سَلِمَ إليه الحسن، وبقي في الشام هو ومن بعده إلى حين اقتراض خلافتهم، فقتل مروان بن محمد على ما تهتم ذكره . وكانت دار إقامتهم دمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة .

المقرة الثالثة

(العراق)

وهي دار خلفاء بني العباس

وكان أول مبايعة السَّفَّاح به بالكوفة على ما تهتم، ثم بنى بعد ذلك بالأنبار مدينةً وسماها الهاشمية ونزلها . فلما ولي أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة بعده بنى بغداد وسكنها وصارت منزلاً لخلفاء بني العباس بعده إلى حين اقتراض الخلافة منها بقتل القتر المستعصم آخر خلفائهم بها .

المقرة الرابعة

(الديار المصرية)

وهي دار الخلافة الآن

وقد تهتم سبب انتقال الخلافة إليها بعد اقتراضها من بغداد في الكلام على من ولي الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا .

وقد هتّم أن الحاكم بأمر الله ثانی خلفائهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكيش بمط الجامع الطولوني . أما الآن فاستقرت دار الخلافة بمط المشهد النفيسي بين مصر والقاهرة، ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوة .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثانية

(فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت عليه

من الترتيب، وما هي عليه الآن)

أما ما أنطوت عليه من الممالك، فأعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرى تحيّر ونحوها .

وفتح خالد بن الوليد من الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وهي أول فتح فتح بالشام، ثم كانت الفتوح الكثيرة في خلافة عمر رضي الله عنه، ففتح بلاد الشام، وكور دجلة والأبله، وكور الأهواز، واسطخر، وأصبهان، والسوس، وأذربيجان، والري، وخرجان، وقزوين، وزنجان، وبعض أعمال خراسان، وكذلك فتحت مصر، وبرقة، وطرابلس الغرب .

ثم فتح في خلافة عثمان رضي الله عنه: كرمان، وبيستان، ونيسابور، وفارس، وطبرستان، وهرات، وبقية أعمال خراسان. وفتحت أرمينية، وحران، وكذلك فتحت أفرقية، والاندلس، وسد الإسلام ما بين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجني من هذه الأقطار الثابتة والأمصار الشاسعة، فتحمل إلى الخليفة، وتوضع في بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال. ولم يزل الأمر على ذلك إلى إنشاء خلافة بني العباس، ماعدا الاندلس فإن بقايا خلفاء بني أمية استعملوا عليه

حتى يقال : إن الرشيد كان يستلقي على ظهره وينظر إلى السحابة مائة ويقول :
 "أذهبي إلى حيث شئت يا بني تراجك" ثم اضطرب أمر الخلافة بعد ذلك
 وتهاصر شأنها واستبد أكثر أهل الأعمال بعمله من خلافة الرازي على داسيائي ذكره
 في الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما ترتيب الخلافة : فله حالتان ،

الحالة الأولى

(ما كان عليه الحال في الزمن القديم)

اعلم أن الخلافة لا ابتداء الأمر كانت جارية على ما ألف من سيرة النبي صلى الله
 عليه وسلم ! : من خشونة العيش ، والقرب من الناس ، وأطراح الخيل وأحوال
 الملوك ، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجي إليهم من الأموال
 التي لم يفرغ عظماء الملوك بجزء من أجزائها . ونأهيك أنهم قدحوا عدة من الممالك العظيمة
 التي كانت يضرب بها المثل في عظم قدرها ، وأرتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق
 والمغرب . حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : "إنما الملك الذي يأكل
 الشعير ويحس على رجله بالليل ماشيا وقد قصت له مشارق الأرض ومغاربها"
 يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلم الحسن
 رضي الله عنه الأمر لمعاوية ؛ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم !
 "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك" فكان آخر الثلاثين خلافة الحسن .

فلما سلم الحسن رضي الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتباين الآراء ، أقتضى
 الحال في زمانه إقامة شعار الملك ، وإظهار أبهة الخلافة ، فأخذ في ترتيب أمور الخلافة
 على نظام الملك لما في ذلك من إرهاب العدو وإخافه . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشام قبل أن يلى الخلافة، حتى حكى صاحب "البقيّة" وغيره أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدّم الشام في خلافة وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية أمير على الشام، فخرج معاوية للاقائه في موكب عظيم، فلقى في طريقه في خفّ من القوم فلم يشعر به وتعداه طالبا له؛ ثم عرف ذلك فيما بعد، فخرج وسلم على أمير المؤمنين عمر، ومشى إلى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الزجل يا أمير المؤمنين، فالتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب الموكب الآن مع ما يلقى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ - قال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرض يكثر فيها جواسيس العدو فاحتاج أن أظهر لهم من أبهة الملك والسلطان ما يزعمهم، فإن أصرخى به، آتتت؛ وإن نبيت عنه، آتتت - فقال: إن كان ما قلت حقا، فإنه لراى أدب! وإن كان غير حق، فإنه نلغة أريب. لا أكرك ولا أتاك - فقال عبد الرحمن: لحسن أمير المؤمنين! ما صدر به هذا الفتى عما أوردته فيه - فقال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.

فلما صارت الخلافة إليه، زاد في حسن الترتيب وإظهار الأبهة، وأخذ الخلفاء بعده مضاعفة ذلك والاحتفال به حتى أمتت الخلافة في أعني ما يكون من ترتيب الملك، وفاقته في ذلك الأكراسة والقياسة. بل أضمحل في جانب الخلافة سائر الممالك النظام، وأطوى في ضمنها ممالك المشارق والمغرب، خصوصا في أوائل الدولة العباسية في زمن الرشيد ومنّ والاه.

حتى يحكى أن صاحب عمورية من ملوك الروم كانت عنده شرفة مأسورة في خلافة المعتصم فعلبها، فصاحت وأمتصها! فقال لها: لا يأتى المعتصم للخلاصك إلا على أبقى. فبلغ ذلك المعتصم، فنادى في عسكره بركوب الخيل الباقى، وخرج

وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبقى، وأتى عمورية فحاصرها وخلص الشريعة، وقال : أشهدى لى عند جنتك المصطفى صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصتك ، وفي مقدمة عسكرى أربعة آلاف أبقى .

وقد حكى ابن الأثير في تاريخه : أنه لما وصلت رُسُل ملك الروم إلى بغداد في سنة خمس وثلاثمائة في خلافة المقتدر، رتبَّ من العسكر في دار الخلافة مائة وستون ألفاً مابين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفة سبعمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خصي : أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود، ووقف الفُلمان المجريَّة الذين هم بمثابة ممالك الطباق الآن بالباب، بجلم الزينة والمناطق المُحلَّاة، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة ، وضرائب الزينة ، وُضِّيت جُدرانُها بالسُتور، وفُرشت أرضها بالسُّسط، وكان عدَّة البسط اثنين وعشرين ألف بساط، وعدة السُتور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذهَّب، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيور الذهب والفضة على أغصانها، وأغصانها تتمايل بحركات موضوعة، والطيور تُصقِّر بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والدادب في دجلة بأحسن زينة . وكان هناك مائة سُبُع مع مائة سَبَّاح، إلى غير ذلك من الاحوال الملوكية التي يطول شرحها .

هذا مع تَهْقير الخلافة وأحطاط رتبَّتها يومئذ . ولم تزل الخلافة قائمة على ترتيب واحد في الثقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الراضى بالله . فلما ولى المُتقي لله، تقاصر أمر الخلافة وتناقص، وقنع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المنابر وضرب أسمهم على الدنانير والدرهم ، وربما خطب الواحد منهم بنفسه، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولَّى أرباب الوظائف من القضاة وغيرهم، وتكتب عنه اليهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه في ذلك سلطان .

وأما شِعار الخلافة :

فإنها - الخاتم : والأصل فيه ما ثبت في الصحيح "أن النبي صلى الله عليه وسلم !
 قيل له : إن الملوك لا يقرعون كتابا غير مختوم فأخذ خاتما من وريق ، وجعل نقشه
 خاتم رسول الله " فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لبسه أبو بكر بعده
 ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ، ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه في برقلم يُقدَّر عليه .
 وأخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم ، لكل خاتم نقش يخصه ، وبقي الأمر على ذلك
 إلى أنقراض الخلافة من بغداد .

(ومنها) البردة : وهي بركة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخليفة يلبسها
 في المواقب .

قال ابن الأثير : وهي تَمَلَّة مخططة ، وقيل كساء أسود مبرج فيه صغر ،
 وقد اختلف في وصولها إلى الخلفاء .

حكى الماوردي في الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبي صلى الله
 عليه وسلم كان وهبا لكعب بن زهير حين أمتدحه بقصيدته التي أولها : "بانت
 سعاد" فأشترها منه معاوية . والذي ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية ، وقال :
 لم أكن لأؤثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب أشترها
 معاوية من ورثته بشرة آلاف درهم .

وحكى الماوردي أيضا عن حمزة بن ربيعة أن هذه البردة كان النبي صلى الله
 عليه وسلم أعطها لأهل أيلة أمانا لم ، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبي أوفى
 وهو عامل عليهم من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وبعث بها إليه ،
 وكانت في حرانته حتى أخذت بعد قتله . وقيل أشترها أبو العباس السفاح : أول خلفاء
 بني العباس بثلاثة دنانير .

(ومنها) القَضِيب : وهو عُود كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذه بيده .

قال الماوردي : وهو من تركه النبي صلى الله عليه وسلم التي هي صدقة .

قلت : وكان القَضِيب والبردة المتقنما الذكر عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن أترعهما السلطان سبج السُّجُوفِي من المسترشد بالله، ثم أعادهما إلى المقتنى عند ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذي يظهر أنها بقيت عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مآلها .

(ومنها) ثياب الخلافة : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماه في تاريخه في الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بني أيوب بآيين أنه كان به هَوَجٌ، فادَّعى أنه من بني أمية وليس ثياب الخلافة، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شبراً، فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية، وأنه أراد زمن بني أيوب .

(ومنها) اللون في الأعلام والخِلَع ونحوها .

وكان شعار بني أمية من الألوان الخُضْرَة، فقد حكى صاحب حماه عن الملك السعيد إسماعيل المتقدم ذكره : أنه حين ادَّعى الخلافة وأنه من بني أمية ليس الخُضْرَة؛ وهذا صريح في أنه شعارهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ؛ وقد اختلف في سبب اختيارهم السَّوَادَ، فذكر القاضي الماوردي في كتابه "الحاوي الكبير" في الفقه : أن السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حُجَّينٍ ويوم الفَتْح عقد لعنه العباس رضي الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي : أول القائم من بني العباس بطلب الخلافة قال لشيعة : لا يهولنكم قتلي ، فإذا تمكنت من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السفاح ، فلما قتله مروان ، لبس شيعة عليه السوداء ، فزعمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في "المغرب" أن الظافر الفاطمي أحد خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساء الخليفة شعورهن طي الكُتُب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ والي بمنية بن خصب^(١) ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهاراً للحرب على الظافر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من الفال العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بني العباس بعد خمس عشرة سنة ، ورفضت راياتهم السوداء .



وأما تولية الملوك عن الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفاً باعتبار السلطان بمحضرة الخلافة وغيره . فإن كان الذي يوليه الخليفة هو السلطان الذي بمحضرة الخلافة ، كبن بويه وبني سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طغرل بك بن ميكائيل السلجوقي لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسي ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وعليه البردة ، ودخل عليه طغرل بك في جماعة ، وأعيان بغداد حاضرون ، فقبل طغرل بك الأرض ويد الخليفة ، ثم جلس على كرسي نصب له ، ثم قال رئيس الرؤساء وزير الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولّاك جميع ما ولّاه الله تعالى من

(١) سيج البلدان [منية أبي الخصب] .

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عبادِه، فاتقِ اللهَ فيا ولألك، وأعرِفَ نعمته عليك، ثم خُلِعَ على طغرلِك سبعُ جِبات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطوق بطوق من ذهب، وسُورَ بسِوَارَيْن من ذهب، وأُعطي سيفًا بخلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئَ عهده عليه فقبل الأرض ويدَ الخليفة ثانياً وأنصرف، وقد جُهِّز له فرس من اصطبلات الخليفة بمركب من ذهب مقندس فركب وأنصرف إلى داره، وبعث إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكاً من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وضياعها . ولعل هذا كان ترتيبهم في لبس جميع ملوك الحضرة .

وإن كان الذي يوليه الخليفة من ملوك النواحي البعيدة عن حضرة الخليفة كلوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهّز له التشريف من بنداد محبة رسول من جهة الخليفة، وهو جبة أطلس أسود بطراز مُنَهِب وطوق من ذهب يعمل في عنقه، وسِوَارَان من ذهب يعملان في يديه، وسيفٌ قرأ به ملبس بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل . فإذا وصل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخِلعةَ والعمامة، وتقلد السيف وركب الفرس وسار في موكبه حتى يصل إلى محل ملكه . وربما جهّز مع خلة السلطان خلعاً أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخِلعةُ والطوق والتقليد من ملوك بني أيوب من بنداد الناصر يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستصم في سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

وأما الوظائف المعتمدة عندهم ، فعلى ضربين :

الضرب الأول

(وظائف أرباب السيوف ؛ وهى عدة وظائف)

(منها) الوزارة فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القضاى وغيره أن أول من لُقّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة ، حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العباس السفّاح أول خلفاء بنى العباس ، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك فى اتّخاذ الخلفاء الوزارة إلى أقراض الخلافة ببغداد بقتل التّار المستعصم فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلامى ، وقتله هو لا كملك التّار بعد قتل المستعصم لما لاقه على المستعصم مع التّار ، وهو آتروزياء الخلافة ببغداد .

(ومنها) الحجابة : وكان موضوعها عندهم حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه ، لا التصدىّ للحكم فى المظالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاى فى " تاريخ الخلفاء " ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحجّاب من لدن الصّديق رضى الله عنه فَن بعده ، خلا الحسن بن على فإنه لم يكن له حاجب .

(ومنها) ولاية المظالم : وموضوعها قوّد المتظالمين إلى التناصف بالرّبة ، وزجر المتنازعين عن التجاؤد بالهية . كما قاله المسّورديّ فى " الأحكام السلطانية " وهى شبيهة بالجوبية الآن فى هذا المعنى ؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولّاها إلا ذوو الأقدار الجليّة ، والأخطار الحفيلة .

(ومنها) النّقابة على ذوى الأنساب : كالطالبين والعباسيين ومن فى معانهم ، كما فى نقابة الأشراف الآن بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لنهيم من وظائف

أرباب السيوف، ولذلك أَسْتَصْحَبَ هذا المعنى في نقيب الأشراف الآن، فيكتب في ألقابه الأميرى، وإن كان من أرباب الأعلام على ما سيأتى ذلك في كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضرب الثانى

(وظائف أرباب الأعلام، وهى نوطان، دينية وديوانية)

فاما الديوانية - فأجلها الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم . وقد مر القول في ابتداء وزارة الخلفاء وأتتها في الكلام على وزارة أرباب السيوف في الضرب الأول .
وأما الدينية - (فمنها) القضاء، وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارة تكون عامة لبغداد وأعمالها، وتارة قاصرة على بغداد أو أحد جانبيها .

(ومنها) الحسبة وأمرها معروف .

(ومنها) ولاية الأوقاف والنظر عليها .

(ومنها) الولاية على المساجد والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارة على الجهاد، والإمارة على الحج، وغيرهما .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأعلام ولاية قضاء النواحى، والحسبة بها إلى غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحالة الثانية

ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند استيلاء التتار على بغداد لما بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى في سنة تسع وخمسين وستمائة

”المستنصر بن الظاهر“ أول الخلفاء بمصر على ما تقدم ذكره وكسب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضي عيسى الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان التهايز وآلات الخلافة ورتب له الجندارية، وأستخدم له عسكريا عظيما وجهزه إلى بغداد للاستيلاء عليها فقتله النار على ما تقدم.

ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمام ”الحاكم بأمر الله“ فأتى خلفائهم أيضا في سنة تسع وخمسين وثمانمائة على ما تقدم ذكره، بقرعة، ثم أشركه معه في النداء في الخطبة على المنابر في سنة ست وستين وثمانمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف ”خليل بن المنصور قلاوون“ فأطلق سبيله، وأسكنه في الكيش على القرب من الجامع الطولوني، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولي السلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء، وبقي الأمر على ذلك إلى أن ولي الخلافة ”المستعصم بالله“ أبو العباس أحمد بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان المرة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوض إليه السلطان نظر المشهد النيفسي، واستقر بأيدي الخلفاء إلى الآن.

والذي استقر عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا في مصلي السلطان خاصة في جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبد السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى تخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة في جميع ذلك.

قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قبض على السلطان الملك الناصر فرج ابن الظاهر برفوق بالشام في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة على ما تقدم ذكره،

فاستقل الإمام "المستعين بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة : من الكتابة على العهد ومناشير الإقطاعات ، والتقاليد ، والتواقيع ، والمكتابات وغيرها ، وأفرد بالدعاء على المنابر ، وضرب اسمه على الدنانير والدرهم والطور على ما تخدم ذكره في الكلام على ترتيب الخلفاء ، وهيئته في لبسه عند ركوبه بالمدينة في المواكب أو غيرها .

فعمامته مدورة لطيفة عليها رُفْرُفٌ من خَلْفِهِ تهدير نصف ذراع في ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كامليَّة ضيقة الكُم مَرْجَعَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُم .

أما تقليده السلطان السلطنة ، فالذي رأيته في بعض التواريخ في عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس : أحمد بن أبي الربيع سليمان ، إلى السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاة والأمراء إلى القلعة واجتمعوا بدار العدل ، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من الصحت ، وعليه خُلع خضراء ، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض ، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السر على العادة ، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء ، وجاء السلطان جلس على الدرجة الأولى من الصحت دون الخليفة ، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى آخر الآية ، وأوصى السلطان بالرفق بالرعية ، وإقامة الحق ، وإظهار شعائر الإسلام ونُصرة الدين ؛ ثم قال : "فَوَضَّعْتُ إِلَيْكَ جَمِيعَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُلْتُ لَكَ مَا تَحْتَدُّهُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ" . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِذَا مَنَّا بِأَيُّوْنَ اللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية ، ثم أتى الخليفة بِخُلعٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض ، فألبسها السلطان وقلَّده سيقه ، ثم أتى بالهدء المكتوب عن الخليفة للسلطان قراءه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته ، تناول الخليفة

فكتب عليه ماصورته - فوضت إليه ذلك - وكتب - أحد بن عم محمد صلى الله عليه وسلم - وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية، ثم أتى بالسباط على العادة .

وأخبرني من حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبي الفتح : محمد المشار إليه فيما تقدم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراج الدين البقيني، والقضاة الأربعة وأهل العلم، وأمراء الدولة إلى مقعد الإصطبلات السلطانية يعرف بالخرافة، وجلس الخليفة في صدر المكان على مقعد مفروش له، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حلت، فجلس بين يديه، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحلم فأجاب بالبلوغ، فخطب الخليفة خطبة، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره، ثم أتى الخليفة بخلعة سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة، ثم جلس الخليفة في مكانه الذي كان جالساً فيه، ونصب السلطان كرسي إلى جانب مقعد الخليفة فجلس عليه، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم، وقد استقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكتنري .

أما حضوره يجلس السلطان في عامة الأيام، عند حضوره إلى السلطان لسلام أومهم أو غير ذلك، فقد أخبرني بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكل المتقدم ذكره كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر، قام له، وربما مشى إليه خطوات وجلس على طرف المقعد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

(في ذكر مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول

(في مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في الديار المصرية، وفيه اثنا عشر مقصدا)

المقصد الأول

(في فضلها ومحاسنها)

أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضى لها بالفخر قال تعالى : ﴿ وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بني إسرائيل، وبالأرض أرض مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ . وإما من الخصب وسعة الرزق بدليل قوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِوَيْنٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاسْكِينِ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ الْقَوْمَ لَكُمْ يَمِينًا يَمِينًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فامر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورحمة قدرها .

وقد ذكر الله تعالى اسمها في غير موضع من كتابه العزيز في ضمن قصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ وفي موضع آخر . ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ وفي معناه قوله تعالى خطابا لبني إسرائيل : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ على قراءة الحسن والأعشى مصر غير مصروف .

قال القضاة : وكذلك قراءة من قرأ ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكرة سمي به مذكرة فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّكُمْ سَتَقْبَحُونَ بِلَادًا يَدُكُمْ فِيهَا الْقِرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَأَهْلَهَا نَسَبًا وَصِهْرًا " أراد بالنسب هاجرام إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سارة . وأراد بالصهر مارية أم إبراهيم : ولِدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، كان المقوقس قد أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة هديته .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرًا فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ خَيْرٌ جُنْدٍ الْأَرْضِ ، قِيلَ : وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مِصْرُ أَطِيبُ الْأَرْضِينَ تَرَابًا وَتَجْمَعُهَا أَكْرَمُ الْحَجَمِ نَصَابًا " .

ويقال في التوراة : " مِصْرُ خَزَائِنُ اللَّهِ ، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ اللَّهُ " .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

ومن كلام كعب الأحبار "مصر بلد معافى من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله على وجهه" .

ووصفها الكِنْدِيُّ فقال : جَبَلُهَا مُقَدَّسٌ ، وَنِيلُهَا مُبَارَكٌ ، وَبِهَا الطُّورُ الَّذِي كُلُّمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال كعب الأحبار : كلم الله تعالى موسى من الطور إلى طوى وفي التوراة وإد مقدس أفصح ، يريد وادى موسى عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، منهم إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ، وإخوانه عليهم السلام .

وقيل في "الروض المعطار" من الجاحظ أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها بِكُورَةِ أَهْنَسَ الآتِي ذِكْرُهَا فِي كُورِ مِصْرَ الْمُقَدَّسَةِ ، وَأَنَّ نَخْلَةَ مَرْيَمَ كَانَتْ بِأَهْنَسَ قَائِمَةً إِلَى زَمَانِهِ . وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِدَ بِهَا بِمَدِينَةِ أَسْكَرَ شَرْقِ النِيلِ ، وَهِيَ الْآنَ قَرْيَةٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِطْفِيجِيَّةِ الْآتِي ذِكْرُهَا فِي أَعْمَالِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

وبها سمح يوسف عليه السلام بِمَدِينَةِ بُوصِيرِ الْحَرَابِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجِيزِيَّةِ عَلَى الْقَرَبِ مِنَ الْبَلَدِشِينَ .

قال القُضَاعِيُّ : أَجْمَعَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَكَانِ ، وَأَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِهِ ، وَسَطَعَهُ مَعْرُوفٌ بِإِجَابَةِ التَّمَاءِ .

سأل كافور الإخشيدي الإمام أبا بكر بن الحنّاد الفقيه الشافعي عن موضع يستجاب فيه التَّمَاءُ ، فأشار عليه بالتَّمَاءِ عَلَى سَطْحِ هَذَا السَّجَنِ .

قال القُضَاعِيُّ : وَعَلَى الْقَرَبِ مِنْهُ مَسْجِدُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مَسْجِدُ مُبَارَكٍ .

وبسفع المَقَطَّم بالقِرافَة الصغرى قَبْرُ (يُودَا وَرُوبِيل) من إخوة يوسف عليه السلام .
وقد روى أَنه دخلها من الصُعبَة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ،
وَدُفِنَ بِقِرافَتها جماعة منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لَهيعة خمسة نفر وهم :
عمرو بن العاص ، وعبد الله بن حُلَافَة ، وأبو بَصرة الغفاري ، وعُقبة بن عامر الجُهَنِي ،
وعبد الله بن الحرث الزبيدي ، وهو آخرهم موتاً .
قال القُضَاعِي : وذكر غير ابن لَهيعة أَن مَسْلَمَةَ بن مُخَلِّد الأنصاري أيضا مات
بها ، وهو أميرها .



أما عماسها ، فلا شك أَن مصرع ما أَشتملت عليه من الفضائل ، وَحُقِّقَتْ به من
الاثَرِ أعظم الأقاليم خَطَرًا ، وأجلها قَسَدًا ، وأنعمها مملكة ، وأطيبها تربة ، وأخفها
ماء ، وأخصبها زرعًا ، وأحسنها ثمارًا ، وأعدلها هواء ، وألطفها سائِكا .
ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وفُودًا ، وَيَقْدُونَ طيها من كل ناحية ، وَقَلَّ أَن
يخرج منها مَنْ دخلها ، أو يرحل عنها من وِجَلها ، مع ما أَشتملت عليه من حسن
المنظر ، وبهجة الرَوِّق لا سيما في زمن الربيع ، وما يبدو بها من الزروع التي تملأ
العين وَسامَة وحُسنًا ، وتروقُ صورةً ومعنى .

قال المسعودي : وصف الحكماء مَصَرَفَقَالُوا : ثلاثة أشهر لَوْلُوةٌ بيضاء ، وثلاثة
أشهر مِسْكَة سوداء ، وثلاثة أشهر زَمْرَدَة خضراء ، وثلاثة أشهر سَيْبَكَة حمراء .
فاللَوْلُوة البيضاء : زمان النيل ، والمِسْكَة السوداء زمان نُضُوب الماء عن أرضها
والزَمْرَدَة الخضراء زمان طلوع زرعها ، والسَيْبَكَة الحمراء زمان هَيْج الزرع وأَكْبَاهه .
وقد قيل : لو ضُربَ بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ ، لَنُفِيَ أهلها بها عما سواها
ولما احتاجوا إلى غيرها من البلاد . وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون مع

عتود ويَجْبِرُهُ وَأَذَنَاتُهُ الرُّبُوبِيَّةَ بِأَفْضَاثِهِ بَلْكَهَا بِقَوْلِهِ : «أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ» .

قال ابن الأثير في «عجائب المخلوقات» : «وهي إقليم العجايب، ومعدن الفرائب؛ كان أهلها أهل ملك عظيم، وعز قديم؛ وإقليمها أحسن الأقاليم منظرًا، وأوسعها خيرا؛ وفيها من الكنوز العظيمة ما لا يدخله الإحصاء . حتى يقال إنه ما فيها موضع إلا وفيه كثر .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه في «المسالك والممالك» من ذمه مصر بقوله : هي بين بحر رطب عَيْن كثير البخارات الرديئة، يولد الأثواء وَيُسَيِّدُ الْغِنَاءَ، وبين جبل وبر يابس صُلْد، لثثة يسه لا تثبت فيه خضراء، ولا تنفجر فيه عين ماء، فكلام متعصب خرق الإجماع، وأقن من يخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتُحِبُّهُ الْأَسْمَاعُ، وكفى به قيصرة أن ذم النيل الذي شهد العقل والنقل بتفضيله، ونَحَصَّ من المُقَطَّع الذي وردت الآثار بتشريفه .

المقصود الثاني

(في ذكر خواصها وعجايبها، وما بها من الآثار القديمة)

أما خواصها، فمن أعظمها خطرًا معدن الزمرد الذي لا نظيره في سائر أقطار الأرض، وهو في مغارة في جبل على ثمانية أيام من مدينة قوص، يوجد عروفا خضراء في تطايق حجر أبيض، وأفضله الذبابي، وهو أقل من القليل، بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد إلى إنشاء الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» فأهمل أمره وترك .

قال في "مسالك الأبصار" : وجميع ملوك الأرض وأهل الآفاق تسمت منه ،
وقد مرّ القول عليه في جملة الأحجار الملوكة في أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطرا منه وأرفع شأنا اللسان الذي تسميه العامة البلسم ، وهو نبات يزرع
ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة على القرب من عين شميس ،
ويسقى من بئر مخصوصة هناك ، يقال إن المسيح عليه السلام أغتسل بها حين
قدمت به أمه إلى مصر ، والنصارى تزعم أنه حفرها ببقية وهو طفل ، حين وضعته
أمه هناك .

ومن خاصتها أن اللسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد في بقعة من بقاع الأرض
غير هذه البقعة .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض يسيل في ميل ،
وشأنه أنه يقصد في شهر كيهك من شهور القبط ، ويجمع ما يسيل من دهنه ويصنى
ويطبخ ويحمل إلى خزانة السلطان ، ثم ينقل منه قدر معلوم إلى قلاع الشام
والبيارستان ليستعمل في بعض الأدوية ، وملوك النصارى من الحبشة والروم
والفرنج يستهلكونه من صاحب مصر ويهدونه بسببه ، لما يستعملونه فيه من أثر
المسيح عليه السلام في البئر ، وله عليهم بذلك اليد الطولى والمنة العظمى ، لا يساويه
عندهم ذهب ولا جواهر .

قال في "مسالك الأبصار" : والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد ، وترى أنه لا يتم
تصريفه حتى يوضع شيء من هذا الدهن في ماء المعمودية عند تططيسه فيها .
وبها معدن التطرون ، وهو منها في مكانين .

أحدهما - بركة التطرون التي بالجليل الغربي غربي عمل البحيرة الآتي ذكره

في جملة أعمالها المستقرة ، وهي من أعظم المعادن وأكثرها مَحَصَلًا على حَقارة
النظرون وقلة ثمنه .

قال في " التعريف " : لا يعرف في الدنيا بركة صغيرة يُسْتَعَلَّ منها نظيرها ، فإنها
نحو مائة قَدَانٍ تَقِلُّ نحو مائة ألف دينار .

والثاني - مكان بالخَطَّارة من الشرقية ، ولا يبلغ في الجَوْدَةِ مبلغ البركة الأولى ،
ولا يبلغ في المَحَصَلِ قريباً من ذلك .

وبها أيضاً معدن الشَّبَّ على القرب من أسوان ، وهو من المعادن الكثيرة
المَحَصَلُ أيضاً إلى غير ذلك من الخواص .

وبها معدن التَّقَطُّ على ساحل بحر القلزم ، يسيل دهنه من أعلى جَبَلٍ قليلاً قليلاً
ويتزل إلى أسفله فيتحصّل في دِيَارٍ قد وضعها له الأولون ، وتأتي العرب فتحمله إلى
نزائن السلاح السلطانية .



وأما عجائبها ، فكثيرة .

(منها) جبل الطير شرق النيل مقابل مَنِيَّةِ بَنِي خَصِيْبٍ فيه صَدْعٌ يَأْتِي إليه جنس
البواقي من الطير ، وهو المعروف بالْبَيْعِ في يوم من السنة فيضعون مناقيرهم في ذلك
الصدع واحداً بعد واحد حتى يتعلق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .
قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلي : سمعت من أعيان
تلك البلاد أنه إذا كانت العام مخصباً ، يُقْبِضُ على طائرَيْن ؛ وإن كان متوسطاً ،
يقبض على طائر واحد ؛ وإن كان جَدْبًا ، لم يقبض على شيء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرق عن النيل ، على القرب من أنصنا به تلال رمل إذا
صُعِدَ إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرمد ، يسمع من
البر الغربي من النيل .

وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذي صعد على ذلك المكان جنباً
أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شيء من تلك الأصوات لو كسح الرمل .
(ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إنجيم به تلال رمل إذا كسحها الإنسان
من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليه وارتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها .
قال في "الروض المعطار" : وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية من أنتفى
سيفه وأولج فيه وقبض على مقبضه بيديه جميعاً، اضطرب السيف في يديه وارتعد
فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس؛ وإذا حُدَّ بحجارة هذا الجبل سكينٌ
أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبداً، وجذب الإبر والمسال أشدَّ جذباً من المغناطيس،
ولا يبطل فعلها بالنوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب .
قال القضاة : ويجعل زماخير الساحة يقال إن فيه خلقاً من الجبل ظاهرة
مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم" . وعلى
القرب من الطور عين ماء في أجرة رمل ينبع الماء من وسطها فورات لطيفة وينسبط
ماؤها حولها نحو الذراع، ثم ينوص في الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى
أين يذهب، وهي على ذلك مدى التهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها
في مكان يدركه البصر؛ وعجائبها أكثر من أن تذكر .

المقصود الثالث

(في ذكر نيلها ومبدئه وآتهائه، وزيادته ونقصه، وما تنتهي إليه زيادته،
وما تصل إليه في النقص قاصدته)
أما ابتداءه وآتهائه، فاعلم أن ابتداءه من أول الخراب الذي هو جنوبى خط
الاستواء المقام ذكره، ولذلك عسر الوقوف على حقيقة خبره .

وقد ذكر الحكماء أنه يتحدّر من جبل القمر، إما (يفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف ومكون الميم) كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبط ياقوت في "المشترك" وآبن سعيد في "معجمه".

قال في "رسم المعمور" وطرفه الغربي عند طول ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف في الجنوب، وطرفه الشرقي حيث الطول إحدى وستون درجة ونصف والعرض بحاله . قال في الرسم : ولونه أحمر . وذكر الطوسي أنهم شاهدوه على بُعد، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج . وأعرضه في "تقويم البلدان" بأن عرض إحدى عشرة في غاية الحرارة لاسيّما في الجنوب لخصيخ الشمس .

قال بطليموس : والنيل يتحدّر من الجبل المذكور من عشرة مَسيلات، بين كل مسيلين منها درجة في الطول المتقدم بيانه، والغربي منها، وهو الأول عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثاني عند طلوع تسع وأربعين، وعلى ذلك حتى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مسيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب في بطيحتين كل خمسة منها تصب في بطيعة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار، ثم تنفتح إلى ستة أنهار، وتسير السنة في جهة الشمال حتى تصب في بحيرة مدوّرة عند خط الاستواء تعرف ببصرة كوري، فيفترق النيل منها ثلاث فرق . ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مقدشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندي مقابل بلاد اليمن . وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى التُّكُور وغانة من مملكة مالي من بلاد السودان، وتتر حتى تصب في البحر المحيط الغربي عند جزيرة أوليل وتسمى نيل السودان .

وفرقة تأخذ شمالاً - وهي نيل مصر - فيمضي الشمال على بلاد زغاوة، وهي أول ما يلي من بلاد السودان .

ثم يمشي على بلاد النوبة حتى ينتهي إلى مدينتها دُقْلَة الآتي ذكرها في الكلام على ممالك السودان .

ثم يمشي شمالاً ببيلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين، وعرض سبع عشرة على حاله .

ثم يمشي غرباً ببيلة قليلة إلى الشمال إلى طول أربعين وثلاثين، وعرض تسع عشرة .
ثم يرجع مشرقاً إلى طول إحدى وخمسين .

ثم يمشي في الشمال إلى الجندل : وهو الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في آنحدارها ومراكب مصر في صعودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة، والعرض أثنان وعشرون درجة .

ثم يمشي شمالاً إلى مدينة أسوان الآتي ذكرها في أعمال الديار المصرية على القرب من الجندل المقامة الذكر .

ويعتبر شمالاً ببيلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين، وعرض أربع وعشرين .
ثم يُشْرِقُ إلى طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ في الشمال حتى ينتهي إلى مدينة التُسْطَاط الآتي ذكرها في قواعد مصر المستقرة .

ويمتد في جهة الشمال أيضاً حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شَطُونٌ من قرى مصر، من عمل متوفٍ يفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقية، فتمتد في الشمال حتى تأتي على قرية تسمى المنصورة من عمل المرواحية،

(١) كذا ضبطه بإقترت بالباردة . وقال في القاموس " شَطُونٌ كَكَرْوَن " .

فتشعب شُعبتين وتمزَّ الغريبة منهما، وهى العظمى إلى دِمياط من شرقها، وتصب في بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخمسون دقيقة؛ وتمزَّ الشرقية منهما على أُنثُوم طَنَاح، من غربها حتى تجاوز بلاد المِثْرَلَة، وتصب في بحيرة شرق دِمياط حتى بحيرة تَسِيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفرقة الغربية، فتمزَّ من شَطَنُوفَ المَقْدَم ذكرها حتى تأتي بالقرب من قرية تسمى بأبى مُسَابَة من عمل البحيرة، فتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهى العظمى تأخذ شمالاً بين عمل البحيرة من شرقها وبين جزيرة بنى نصر من غربها، والشرقية تأخذ شمالاً أيضاً بين جزيرة بنى نصر من شرقها، وبين عمل الغربية من غربها . ويسمى هذا البحر ببحر أبيار، ويمزَّ حتى يلتقى مع الفرقة الغربية عند قرية تسمى القَرْسَق من الغربية بالقرب من مدينة أبيار المنسوب إليها البحر المقدم ذكره، ويصير شعبة واحدة ويمزَّ حتى يصب في البحر الرومى غربى قرية تسمى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرع خليج صغير يدخل إلى بَحِيرَة تَسْتَرَوْه^(١) الآتى ذكرها في جملة البحيرات، ويتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل خُلُجَانُ يأتي ذكر المشهور منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما زيادته ونقصه، فقد اختلف في مَدَد زيادته : فقلل المسعودى عن العرب أنه يستمد من الأنهار والعيون . ولذلك تنيفض الأنهار والعيون عند زيادته . وإذا غاض زادت؛ ويؤيده ما روى القضاعى بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : "إن نيل مصر سيئُ الأنهار، يخفف الله له كلَّ نهر بين

(١) كذا ضبطها المؤلف فما يأتي لاحقاً بها الماء وكذلك يلقون إلا أنه حذف منها الهاء : تَسْتَرَوْه .

المشرق والمغرب أن يمته، فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونا فأتته
جره إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عنصره .
ويقال عن أهل الهند زيادته وقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالي الأنواء وكثرة
الأمطار، ورؤود السحاب .

وقالت القبط : زيادته من عيون في شاطئه رأها من سافر ولحق بأطاليه، ويؤيده
مارواه القضاة بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب "أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله
عنه قال لكعب الأحبار : أسألك بالله ! هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل
خبرا ؟ قال : إى والله ! إن الله عز وجل يوحى إليه في كل عام مرتين، يوحى إليه
عند خروجه، فيقول : إن الله يأمرك أن تجرى، فيجرى ما كتب الله له، ثم يوحى
إليه بعد ذلك، فيقول : يا نيل إن الله يأمرك أن تتل، فيتل، ولا شك أن جميع
الأقوال المتقدمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة في الخامس من يكونه من شهر القبط . وفي ليلة
الثاني عشر منه يوزن الطين، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به،
بأن يوزن من الطين الجاف الذى يملوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحريز،
ويرفع في ورقة أو نحوها ويوضع في صنوبر أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس،
فهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .
وفي السادس والعشرين منه يؤخذ قاع البحر وتقامس عليه قاعدة المقياس التى تبنى
عليها الزيادة .

وفي السابع والعشرين يتأدى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين
أصبعاً إلى أن يكمل آخر عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعاً وعشرين أصبعاً،
فإذا وفى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود ، وموممٌ معدود ؛ ليس له نظير في الدنيا ؛ وفيه تكتب البشارات
بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة ، وتسير بها البرد ، ويكون وفاؤه في مسرى
من شهور القبط ، وفيها جلُّ زيادته .

وفي النوروز ، وهو أول يوم من توت يكثر قطع الخُلجان والترع عليه ، وربما
أضطرب لذلك ثم عاد .

وفي عيد الصليب ، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب
بقية الترع .

وقد حكى القضاة عن ابن عفير وغيره عن القبط المتقسمين أنه إذا كان
الماء في آثني عشر يوما من مسرى آثني عشر ذراعا ، فهي ستة ماء ، وإلا فالماء
ناقص ، وإذا تمَّ الماء ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم ، ثم غالب وفائه
يكون في النصف الأول من مسرى ، وربما وفي في النصف الثاني منها ، وقد
يتأخر عن ذلك .

وفي الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت في " تاريخ النيل " أنه تأخر وفاؤه في سنة ثمان ومبجئة إلى تاسع عشر
بابه فوفي ستة عشر ذراعا ، وزاد أصبعين بعد ذلك في يومين : كل يوم أصبع بعد أن
استسقى الناس أربع مرات ، وهذا مما لم نسمع بمثله في دهر من التهور .

وقد برّرت عادته أنه من حين ابتداء النداء بزيادته في السابع والعشرين من
بشونه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين فما حولها إلى نحو
العشرة ، وربما زاد على ذلك . فإذا دخلت مسرى ، آشتت زيادته وقويت ،
فيفيد العشرة فما فوقها ، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب
من الوفاء حتى ربما بلغ سبعين أصبعا .

ومن العجيب أنه يزيد في يوم الوفاء سبعين أصباً مثلاً، ثم يزيد في صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولها، ويتم على ذلك . وله في آخرها به زيادة قليلة يعبر عنها بصبة بابه لما ينصب إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر يونه، فقالوا : أيها الأمير إن ليننا هذا سنة لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان اثنا عشر من هذا الشهر عمداً إلى جارية يكر من أبويها فأرضيناها فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون في الإسلام، فأقاموا أبى ومسرئ وهو لا يزيد قليلاً ولا كثيراً . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضى الله عنه يرفعه ذلك ، فكتب إليه أن أصبت ، وكتب رُقعة إلى النيل فيها ” من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر ، وإن كانت الله الواحد القهار الذى يُحركك، فسال الله أن يُحركك .“

وبعث بها إليه ، فالتقاها في النيل ، وقد تبعها أهل مصر للخروج منها ، فأصبحوا يوم الصليب ، وقد بلغ في ذلك اليوم ستة عشر ذراوا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك في زمن موسى عليه السلام ، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فخنس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فرغبوا إلى موسى فدعا لهم بإبراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أبرأ الله في تلك الليلة ستة عشر ذراوا .

ورأيت في ” تاريخ النيل “ المتقدم ذكره : أنه في زمن المستنصر أحد خلفاء الفاطميين

بمصر مكث النيل ستين لم يطلَّ، وطلع في السنة الثالثة وأقام إلى الخامسة لم يزل، ثم زل في وقته ونَضِب الماء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس؛ ثم طلع في السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صِباة من الناس، ولم يبق في الأقاليم ما يمشى على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفي ست عشرة ذراعا في ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من رَّ إلى رَّ؛ وأقل ما انتهى إليه قاع النيل في النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط : المرة الأولى - في سنة خمس وستين وبائة من الهجرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرة الثانية - في سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

وقد وقع مثل ذلك في زماننا ، في سنة ست وثمانمائة . وأُغِي ما انتهى إليه القاعُ في الزيادة مما رأيته مسطورا إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه في سنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع أُنْقَى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص في نهاية الزيادة اثنا عشر ذراعا وأصبعا . وذلك في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وأُغِي ما كان ينتهي إليه في الزمن المتقدم ثمانية عشر ذراعا حتى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم انتهى في المائة السابعة إلى أن صار يجاوز العشرين في بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة كان القاع على تسع أذرع، ولم يُوف بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع؛ وفي ستين كثيرة كان القاع فيها

(١) الدراع والاصبع يذكرا ن وفي بيان وقد جرى في كلامه تارة بالتدوير وتارة بالتأنيث وكل صحيح .

دون النذارين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى شجرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاع ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾** .

قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من الغد بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذكر إلا أنه يكتب فى كل يوم رقعا لأعيان التولية من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السر ، وناظر الخالص ، وناظر الجيش ، والمحاسب ، ومن فى معانهم ، فيذكر زيادته فى ذلك اليوم من الشهر العربى وموافقه من القبطى من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يطالع على ذلك عوام الناس ورعايهم ، فإذا وفى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، وبصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "المجائب" أن أول من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عقاب من نحاس : ذكر وأُنثى ، يجتمع عندهما كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصغر أحد العقابين . فإن صغر الذكر استبشروا بزيادة النيل . وإن صغرت الأنثى استشعروا عدم زيادته فتهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودي : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل وقصانه .

قال القضاة : وذلك بمدينة منف ، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بنى مقياس منف ، وإن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل .

قلت : وموضع المقياس بمنف إلى الآن معروف على القرب من الأهرام اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدرشين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاصة .

قال المسعودي : ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بإثميم ، ووضعت الروم مقياسا بقصر الشمع .

قال القضاة : وكان المقياس قبل الفتح بقيسارية الأكسية بالقسطنطينية إلى أن أتى المسلمون أنبئتهم بين الحصن والبحر ، ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمنف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القياس إلى القسطنطينية ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا بأسوان ، ثم بنى مقياسا ببلندرة ، ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا .

فلما ولي عبد العزيز بن مروان مصر ، بنى مقياسا صغير الأذرع بمحوكان من ضواحي القسطنطينية ، ثم لما ولي أسامة بن زيد التنوخي بنى مقياسا في جزيرة الصناعات المعروفة الآن بالرؤبة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بني أمية سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وهو أكبرها ذرعا ، ثم بنى المأمون مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة في سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الملك على مصر ، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

(١) سواه المتوكل كما هي عبارة القرظي و ياقوت .

(٢) سواه يزيد بن عبد الله الترك كما في القرظي .

وكانت التصاري تتولى قياسه فعزلم المتوكل عنه ورَّتب فيه أبا الرقاد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرقاد المؤدب، وكان رجلاً صالحاً، فاستقر قياسه في يده إلى الآن؛ ثم أصلحه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام أثنى عشرة ذراعا، ثم يكون كل ذراع أربعة وعشرين أصبعا، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا، وزعوا النرايين الزائدين، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على أثنى عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا، وبقي الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاة: وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسين بن محمد بن عبد المنعم في رسالة له أن المسلمين لما فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل في حدِّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره، ويدعوهم ذلك إلى الاحتكار، والاحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار، فكتب عمر إلى عمرو ابن العاص يسأله عن حقيقة ذلك، فأجابه: إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعا، والحذ الذي يروى منه سائرنا حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والتقصان: في الظلم والاستبعاد، أثنى عشرة ذراعا في التقصان وثمانى عشرة ذراعا في الزيادة. فاستشار عمر رضي الله عنه على بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا، وأن يقصّ ذرايين على أثنى عشرة ذراعا، ويبقى ما بعدهما على الأصل .

قال القضاة : وفي هذا نظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وانتقاص الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودي : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل في ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُستسقى فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان . وإذا آتته الزيادة إلى ستة عشر ذراعا، ففيه تمام خراج السلطان وأخصب الناس، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضارٌّ للبهائم لعدم المرعى .

قال : وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، وذلك كفاؤها ورى جميع أرضها . وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، استبحر من مصر الربع، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع . قال : وذلك أكثر الزيادات . قلت : هذا ما كان عليه الحال في زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره في غالب السنين إلى ما بعد السبعائة .

أما في زماننا، فقد علّت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء في كل سنة وضُعت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام : متقاصرة وهي ست عشرة ذراعا فما حولها، ومتوسطة وهي سبع عشرة ذراعا إلى ثمان عشرة ذراعا فما حولها، وطالية وهي ما فوق الثمان عشرة، وربما زادت على العشرين .

المقصود الرابع في ذكر خلجاتها،

(وخلجاتها القديمة ستة خلج)

الخلج الأول

(المنهى)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصديق عليه السلام" ومخرجه بالقرب من دروة سربام، من عمل الأشمونين الآتى ذكرها، وهى المعروفة بدروة الشريف، ويأخذ شمالا إلى مدينة البهنسى، ثم إلى قرية اللاهون من عمل البهنسى، ويمتد إلى الجبل حتى يجاوزه إلى إقليم الفيوم، ويمتد بمدينة وينبث في نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تحف فوهته في أيام نقص النيل، وباقيه يجرى في موضع ويحف في آخر إلى إقليم الفيوم، فيجرى شتاء وصيفا من أعين تنفجر منه ولا يحتاج إلى حفر قط .

ويقال: إن "يوسف عليه السلام" حفره بالوحى ومياهه منقسمة على استحقاق مقدر، كما في دمشق من البلاد الشامية .

قال في "الروض المعمار": وكانت مقامه بحجر اللاهون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذروان بين قبتين من أحكم صنعة، ملتج على ستين درجة، فيها فتارات في أعلاها وفي وسطها وفي أسفلها، يسقى الأعلى الأرض العليا، والأوسط الأرض الوسطى، والأسفل الأرض السفلى يوزن وقدر معلوم .

قال : ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحى، وإن ملك مصر يومئذ لما عاينه قال هذا من ملكوت المياه .

ويقال إنه عمل من القِصَّة والنُّحاس والرخام . قلت : قد ذهبت معالم هذا
اللاهون ويق بعض بنائه وتُقلت المقاسم إلى مكان آخر باليوم تسقى الآن الأراضى
على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيح التى لا تمضى كثرةً ، ولم يشتهر فى زمن من
الأزمان أنها آذنت أحداً قط .

الخليج الثانى

(خليج القاهرة الذى يكسر سته يوم وفاء النيل)

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .
قال القضاعى : أمر بحفره عام الرِّمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وساقه إلى بحر القُلتزم ، فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد
والأطعمة إلى مكة والمدينة ، ونفع الله بذلك أهل الحجاز .

وذكر الكندى فى كتاب "الجند العربى" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين
من الهجرة ، وفرغ منه فى ستة أشهر ، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز
فى الشهر السابع .

قال الكندى : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز ، ثم
أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل ، وصار متناه إلى ذنب التماسيح من ناحية
الطُوز والقُلتزم .

وذكر ابن قنيد : أن أبا جعفر المنصور أمر بستة حين خرج عليه محمد بن
عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة في سنة تسع^(١) ...
وقد ذكر المسعودي في "مروج الذهب" أنه أقطع جريان هذا الخليج
عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لردم جميعها وصار شرب
أهلها من الآبار .

قال ابن عبد الظاهر : وليس لها أثر في هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان
الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين
القنطريتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السد
وقنطرة باب الخرق في سنة نيف وأربعين وستائة .

وذكر في موضع آخر من خطه أن القنطرة التي عليه خارج باب القنطرة بناها
القائد جوهر سنة ستين وثلاثمائة وقنطرة اللؤلؤة - وهي التي كانت بالقرب من ميدان
الفتح ، وبعضها باق إلى الآن - من بناء الفاطميين أيضا ؛ واللؤلؤة التي تنسب هذه
القنطرة إليها منقطة على برّ الخليج القبلي ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي ،
كانت مستورها خلفاء الفاطميين يزلون فيها في أيام النيل وقيمون بها إلى آخر النيل .
قلت : أما باقى القناطر التي على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سقر ،
وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدثة في الدولة التركية ، وغالبها في الدولة الناصرية
محمد بن قلاوون .

قال ابن أبي المنصور في "تاريخه" : وأول من رتب حضره على الناس المأمون
ابن البطاحي ، وكذلك البساتين في دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بفرده .

(١) لعله تسع وستين فإن ابتداء ولاية مصر في خمس وستين .

(٢) هذه الفقرة غير مناسبة هنا وقد ذكرها قريبا بخطها في الكلام على خليج الاسكندرية فنبه .

الخليج الثالث

(خليج السردوس)

ويقال السردوسى زيادة ياء فى آخره، وهو الذى حفره هامان لفرعون .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لما حفره سأل أهله البلاد أن يجره إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة ألف دينار فعملها إلى فرعون، فقال : ويحك ! إنه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم، وأمر برذ المال إلى أربابه .

قال : وكان هذا الخليج أحد زهات الدنيا يسار فيه يوما بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية . قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوض عنه يجر أبى المتجا الآتى ذكره .

الخليج الرابع

(خليج الإسكندرية)

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمى العطف تُقابل قوة، مدينة المزاجتين، ويميل غربا حتى يتصل بمجران الإسكندرية، وتدخل منه قناة تحت الأرض إلى داخلها، ويتشعب منها شعب كثيرة تدخل دورها، وتخرج من دار إلى أخرى، ويخالط آبارها فيحلو ماؤها وتلاها منها صهاريجها حينئذ فتبكت من السنة إلى السنة .

وكانت قوة هذا الخليج فيما تهدم جنوبى قوته الآن عند قرية تسمى الظاهرية من عمل البحيرة، وكان يمر على دهنور مدينة البحيرة، ثم نقل إلى مكانه الآن، ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال في "تقويم البلدان" : وهو من أحسن المتفرجات لأنه مخضر الجانين
بالسائين، وفيه يقول ظافر الحنّاد الشاعر السكندري :

وعَشيّة أهدتَ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا * جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَلْبِكَ وَأَقْدَا
رَوْضٌ كَمُخَضَّرِ النَّدَارِ وَجَدُولٌ * تَهَشَّتْ عَلَيْهِ يَدُ الشِّمَالِ مَبَارِدًا
وَالنَّخْلُ كَالْفَيْدِ الْحَسَنِ تَرَبَّتْ * وَلَيْسَ مِنْ أَتْمَارِهِمْ قَلَامِدًا

وقد ذكر المسعودي في "مروج الذهب" : أنه أقطع جريان هذا الخليج
عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لردم جميعها، وصار شرب أهلها
من الآبار .

الخليج الخامس

(خليج منجا)

ويقال إن الذي حفره برصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

(خليج دنياط)

ولم أقف على تفاصيل أحواله .

أما بحر أبي المنجا، فإنه وإن عظم شأنه مستحدث حفره الأفضل بن أمير الجيوش
وزير المستعلي بالله الفاطمي .

قال ابن أبي المنصور في "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت
جارية في ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل الماء
إليها إلا من خليج السردوس المتقدم ذكره أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودى اسمه أبو المنجا فرغب أهل البلاد إليه في فتح ترعة يصل الماء منها إليهم في ابتدائه فرفع الأمر إلى الأفضل، فركب في النيل في ابتدائه في مركب، ورمى بحجر من البوص في النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى قم ذلك البحر فحفر من هناك ، وأبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة، وأقام الحفر فيه سنتين وعُرم فيه مال كثير . وكان في كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف أرضهاع البلاد التي تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبى المنجا لتكمله فيه . فلما عرض على الأفضل ما صرف عليه أستعظمه وقال غرمتا عليه هذا المال العظيم والأثم لأبى المنجا ، فعماه البحر الأفضل فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطر أبى المنجا المذكور بعد ذلك ونفى إلى الإسكندرية . ولما ولي المأمون بن البطائحي الوزارة تحدث معه الأمراء في أن يتخذ لفتحه يوما كفتح خليج القاهرة، فأبقي عند سده منظره متسعة يترل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معدية يمدى فيها بين قلوب ويسوس، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المازين، فعمر عليها الظاهر ببيرس رحمه الله قنطرة عظيمة بحجر صلد، من غرائب البناء، تزل عليها الناس والتواب، فحصل للناس بها الارتفاق العظيم، وهي باقية على جدتها إلى زماننا .

وكان سده يقطع في عيد الصليب في سبع عشر توت ، ثم استقر الحال على أن يقطع يوم الثوروز في أول يوم من توت حرصا على رى البلاد .

وأما بقية خلج الديار المصرية المستحدثة ورعها بالوجهين : القليل والبحرى، فأكثر من أن تحصر، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصود الخامس

(في ذكر بحيرات الديار المصرية ، وهي أربع بحيرات)

الأولى منها - بحيرة الفيوم ، ويبرئ عنها بالبركة ، وهي بحيرة حلوة بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه ، على نحو نصف يوم ، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المنهى المتقدم ذكره ، وليس لما مضى تصرف إليه لإحاطة الجبل بها ، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال في "تقويم البلدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم ، وبها أسماك كثيرة تحصل من صيدها جملة كثيرة من المال ، وبها من أجام القصب والطرفاء والبردى ما يتحصل منه المال الكثير .

الثانية - بحيرة بوقير (بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح يخرج من البحر الرومي بين الإسكندرية ورشيد ، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدم ذكره ، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته ، وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير ، وفيها من أنواع الطير كل غريب ، وبجوانبها الملاحات الكثيرة التي يحمل منها الملح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله وهم فجعل هذه البحيرة هي بحيرة نسقروه الآتي ذكرها ؛ على أن هذه البحيرة قد أقطع مددها من البحر الملح في زماننا بواسطة غلبة الرمل على أشواطها الموصلة إليها الماء من بحر الروم بقتت وصارت سبخة طويلة عريضة ، ومات ما كان يصاد منها من السمك البوري ، وما يتحصل منها من الملح المنعقد بسواحلها ، وطاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثالثة - بحيرة نَسْتَرُوْه (يفتح التون وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوق وضم الراء المهملة وسكون الواو وهاء في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح أيضا بالقرب من البرلس في آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا ترى جوانبها لعظمها، بعد مركزها عن البر ، وبالقرب منها قرية تسمى نَسْتَرُوْه ، وهي التي تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمى سنجاز لا زرع فيها ولا نفع ، وليس بهما غير صيد السمك ، وهي الغاية القصوى فيما يتحصل من المال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها في كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية ، وليس يساويها بحيرة من البحيرات في ذلك .
قلت : وأخبرني بعض مباشري أنها في زماننا قد تميزت بحصولها عن ذلك نحو مثله للاجتهاد في الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعة - بحيرة نَيْس قال السمعاني (بكسر التاء المثناة فوق والتون المشددة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسين مهملة في الآخر) وهي بحيرة متصلة بالبحر الرومي أيضا بآخر عمل القنقلة والمرتاجية الآتى ذكره، وفيها مصب بحر أشموم المنفرد من الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يذب ماؤها في أيام زيادة النيل، وبوسطها نَيْس الآتى ذكرها في الكلام على الكو القديمة .

قال صاحب "الروض المطار" : طعمي عليها البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة فترقها وصارت بحيرة ، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دياط" وهما في الحقيقة كالبخرة الواحدة .

المقصود السادس

(في ذكر جبالها)

اعلم أن وادى مصر يكتنفه جبالان شرقا وغربا ، يتبدآن من الجبال المتقدمة
الذكر فوق أسوان آخذين في جهة الشمال على تقارب بينهما بحيث يرى كل منهما
من الآخر والنيل مازين جنبتيهما .

فأما الشرق منها فيعز بين النيل وبحر القلزم المتقدم الذكر حتى يجاوز القسطنط
فيتعطف ويأخذ شرقا حتى يأتى على آخر بحر القلزم من الشمال ، يرضع في موضع
ويخفص في آخره ، وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة
قوص (معدن الزمرّد) المتقدم ذكره في خواص الديار المصرية ، في مفارة طويلة
في قطعة جبل عالية ، تسمى قرشده ليس هنالك أعلى منها ، وعلى القرب من ذلك (مقطع
الرخام) الملون من الأبيض والسمّاق وسائر الألوان المستحسنة التي لا تساوى حسنا .

ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل المراغات من عمل إنهم . (جبل
الساحرة) وأظنه جبل زماخير الساحرة المتقدمة الذكر في عجائب الديار المصرية .
ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة منقلوط (جبل أبي فيدة) بقاء
وياء مشاة تحت .

ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مية بنى خصيب من الأسمونين .
(جبل الطيامون) ، ويعرف الآن بجبل الطير ، وقد تهتم ذكره في جملة عجائب
الديار المصرية .

ويسمى باسمات القسطنط والقرافة منه (المقطم) وربما أطلق المقطم على جميع
المقطم ، وقد اختلف في سبب تسميته بذلك ، فقيل سمى باسم مقطم الكاهن
كان مقبيا فيه لعمل الكيمياء .

وقال أبو عبد الله الحنفي : سمى بالمُقَطَّم بن مصر بن بيسر، وكان عبدا صالحا أفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذكر الكِنْدِيُّ في كتاب "فضائل مصر" ما وافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار في سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوِّسُ ، فقال له عمرو : ما بالُ جبلِكُم هذا أقرعَ ليس عليه نبات بجبال الشام ؟ فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا - فقال المقوقس :.وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبا وفاكهة ، وكان يتزله المُقَطَّم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام ، أوحى الله تعالى إلى الجبال : إني مكلمٌ نيا من أنبيائي على جبل منك فسمتِ الجبال كلها وتشاхت إلا جبلَ بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر ، فأوحى الله تعالى إليه : لم فعلت ذلك ؟ وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يارب ! فأمر الله تعالى الجبال أن يحيوه كل جبل مما عليه من النبات ، فجاء له المُقَطَّم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى ، فأوحى الله تعالى إليه إني معوضك على فلك بشجر الجنة وأغرس الجنة .

وأذكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد اسمه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القلع ، لكونه مقطوع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهياكل كثيرة ، وعجائب غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأواني ، والآلات النفيسة ، والتأثيل العجيبة ، وتراب الصنعة ما يخرج عن حد الإحصاء . قال في "الروض المعطار" وإذا دبرت تربته حصل منها ذهب صالح . وعلى المُقَطَّم من جهة الشمال (البحايم) ، وهى الجبال المنفردة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجبأتها :

قال القضاة : وقيل لها الياحيم لاختلاف ألوانها، والياحيموم في كلام العرب الأسود المظلم، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاؤه .

وفي شرق المظلم على بحر القلزم (طور سيناء) الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه، وهو جبل مرتفع للغاية، داخل في البحر .

قال الأزهري : وسى الطور بطور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : ومن خاصته أنه كيفما كُبر، ظهر فيه صورة شجر العليق، وقد بُني هناك ديراً على الجبل، وغرس بواديه بساتين وأشجار .



وأما القرى منهما ، فإنه يتدنى من الجبال أيضاً ويمتد في الشمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والأحاط ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والقيوم حتى ينتهي إلى مقابل القسطنطين . وهناك موقع الحرمين العظيمين المقدم ذكرهما على القرب من بؤصير، ثم ينطفئ ويأخذ غرباً بنبال فيما بين بلاد ريف الوجه البحري والبرية حتى يحاوز بركة النطرون، ويمضي إلى قريب من الإسكندرية .

ويسمى فيما سامت الواحات (جبل جالوت) نسبة إلى جالوت البربري .

ويتميز به من جنوبي الواحات (جبل اللازورد) قيل إن به معدن لازورد، وأنه أمتنع استخراجه لانهطاع الهارة هناك .

المقصود السابع

(في ذكر زروعها، ورياحينها، وفواكهها، وأصناف المطعوم بها)

أما زروعها فيزرع فيها من أنواع الحبوب المقتاتة وغيرها كالبر والشعير والذرة والأرز، والباقل، والحمص، والعدس، واليسلا، والحبان، واللوبياء، والسمسم، والقرطم، والخنشاش، والخروع، والسجج، وبزر الكنان، والبرسيم، وغير ذلك .

وبها قصب السكر في غاية الكثرة، والبطيخ، والقثاء على اختلاف أنواعها، والمُلُوخيا، والقفاص، واللفت، والباذنجان، والدباء، والهليون، والقنبيط، وأنواع البقول المختلفة، كالثوم، والبصل، والكراث، والفجل وغيرها؛ وطامة زرع حبوبها على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بآبه من شهور الصيف إلى أثناء طوبه منها بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقي والتواليب؛ وأكثر ما يكون ذلك في بلاد الصعيد خصوصا في سنين الجلب؛ ويُرَّزَع في الفيوم في غير زمن النيل على نهر المنى المنقش ذكره في جملة الأنهار . ولا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل قدده بصعيدها .

وأما رايحيها، ففيها الأس، والورد، والبفسج، والترجس، والياسمين، والسنبلين، والبن، واللينوفر، وأزهار الحمضات، والريحان الفارسي على اختلاف أنواعه، والمتنور فيها بقلة، وإنما أكثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع التي يشق استيعابها .

وأما فواكهها، ففيها الرطب، والعنب، والتين، والرمان، والخوخ، والمشمش، والقراصيا، والبرقوق، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل بقلة، واللوز الأخضر، والتين، والتوت، والقراصا، والموز . ولا يوجد فيها الجوز، والفستق، والبندق، والإجاص إلا مجلوبا بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شيء من ذلك، لم يفلح، وإنه يتون فيها بقلة، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنما يؤكل ملأ .

وفيه من الحمضات الأخرج، والحماض، والكباد، والتاريخ، والليمون، على اختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم ففيها ما يستطاب من الألبان، والأجبان، والسِّل، الذى لا يساوى حُسنا، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال، والسكر الكثير من المكرّر والتبع، والوسط، والنبات. ومنها يطلب إلى أكثر البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وقد بُنى به ما كان يذكر من سكر الأهواز.

وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السكر والأشربة (؟) الفائقة مالا يوجد في غيرها من الأقاليم.

وبها من لحم الضأن، والبقر، والمغن، ما لا يبادل به غيره في قُطر من الأقطار لطافة ولذة.

قلت: ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها في جميع السنة فيمَل، بل يأتى كل نوع منها في وقت دون وقت، فتشتوف البقوس إلى طلبه، ويكون لقنومه بهجة. ولا يسترض ذلك بلوام أكل الجنة، فإن الجنة أكلها لا يمل بخلاف ما كل الدنيا، ولأهل الرافدية بذلك فرحة، وتتعالى فيه في ابتدائه مع أنه يجتمع في الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه في زفته إلى غيره.

قال المهنذب بن ممتي في "قوانين الدواوين": بحث غلاما لي ليحضر من فكهى القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين، فأحضر لي منها الورد، والترجس، والبفسج، والياسمين، والمتور، والمسين، والريحان، والطلح، والبلح، والجبار، والحيار، والبطيخ الأخضر، والباقل، والتفاح، والفقوس، والأترنج، والتارتج، والأشياء، والليمون، والتمرهندي الأخضر، والعنب، والحفريم.

وقال بعض الجوالين في الآفاق: طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل ما بهصر من ماء طوبه، ولبن أمشير، وخرّوب برمهات، وورد برمودة، وبق بشنس، وتين بونة، وعسل أيب، وعنب مسرى، ووطي توت، ورمّان باب، وموز هتور، وتمك كيهك.

المقصود الثامن

(في ذكر مواشيتها، ووحوشها، وطيورها)

أما مَوَاشِيهَا، ففيها الإبل المستجادة، والبقر العظيات القدود، والأغنام المستطابة المحوم، والخيول المَسُومَةُ، والبنال النفيسة، والمُجَرَّ الفارغة مما ليس له نظير في إقليم من الأقاليم، ولا مصر من الأمصار .
وأما وُحُوشُهَا، ففي بَرَارِيهَا الْفَزْلَانُ، وَالنَّعَامُ، وَالْأَرَابُ، وَالنَّعَابُ، وَالضَّبَاعُ، وَالذَّنَابُ، وغير ذلك، ويحلب إلى سلطانها القيلة، والزرافات، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية، والسَّبَاعُ من بلاد الشام من مملكته لتكون في إصطبلاته زينة لمملكته .

وأما طيورها ففيها من الطيور النواجذ في البيوت السَّبَاجُ، وَالْإِوَزُ، وَالْحَمَامُ، ومن الطيور البرية الصَّغُرُ، وَالْعُقَابُ، وَالنَّسْرُ، وَالْكُرْكِيُّ، وَاللَّغْغُ، وَالْإِوَزُ التُّرْكِيُّ، وَالْمَرْزَمُ، وَالْبَجَجُ، وَالْبَلَشُونُ، وَالْجُبْرُجُ، وَالْحَجَلُ، وَالْكِرْوَانُ، وَالْمَبَانِيُّ، وَالْبَلْبُلُ، وسائر أنواع العصافير، والأنواع المختلفة من طيور الماء . ويحلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على اختلاف أجناسها من أقاصى البُلْدَانِ، ويقع التنافى في أممائها للغاية القصوى على ما يأتي ذكره في الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصود التاسع

(في ذكر حدودها)

قد اضطربت عبارات الْمُصَنِّفِينَ في المسالك والممالك في تحديدها، والذي عليه الجمهور أن حدتها الشَّامِيُّ، وهو المعبّر عنه عند المصريين والبحريّين بتدنى ما بين الزعقة وريح عند حدّها من الشام والبحر شماله، ويمتدّ غرباً على ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التي يعلق فيها العوامُ الحرقَ وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُتُب المجنبة عن البحر الرومى، إلى رَجٍّ ثم إلى العريش آخذاً على الحفار، إلى القرما، إلى الطينة، إلى دِمياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية، وهى آخر العبارة بهذا الحد. ثم يأخذ على اللينونة، على العمدين، إلى برقة، إلى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية على ما تقدم ذكره فى الكلام على سواحل البحر الرومى .

وحدها الغربى يتبدئ من ساحل البحر الرومى حيث العقبة، ويمتد جنوباً، وأرض إفريقية غربيه، على ظاهر القيوم والواحات حتى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أسوان .

وحدها الجنوبى وهو المبرعته عند المصريين بالقبلى، يتبدئ من آخر هذا الحد بصحراء الحبشة ويمتد شرقاً، وبلاد الروم من بلاد البرية جنوبه حتى يأتى إلى أسوان، ثم يمتد من أسوان شرقاً حتى ينتهى إلى بحر القلزم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها .

وحدها الشرقى يتبدئ من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً وبحر القلزم شرقه إلى عذاب إلى القصير إلى القلزم إلى السويس، ثم يأخذ شرقاً عن بركة الغرثل التى أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القلزم إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام حتى يخط على ما بين الزعقة ورَجٍّ ساحل البحر الرومى حيث وقعت البداية .

وبلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البلدان" والمقر الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البلدان" جعل أبتداء الحد الشمالى نفس رَجٍّ، ونهاية الحد الغربى حدود بلاد النوبة، وفى "التعريف"

جعل ابتداء الحد الشمالى ما بين الزقعة وريح، ونهاية الحد الغربى صحراء بلاد الحبشة على ما تقدم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القضاعى بجعل ابتداء الحد الشمالى من العريش ، وليس فيه بُعد عن ریح بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى، وجعل الحد الجنوبى يقطع ببحر القلزم وينتهى إلى ساحل الجحاز بالحوراء : أحد منازل طريق الجحاز من مصر؛ والحد الشرقى يمتد على ساحل البحر الشرقى إلى مدين، إلى أيلة، إلى تبة بنى إسرائيل، إلى العريش . فأدخل ببحر القلزم من حد الحوراء إلى نهايته فى الشمال، وما على ساحله من بحر الجحاز مما يسامت العريش كأيلة ومدين ونحوها فى أرض مصر .

قلت : وفيه نظر، والظاهر ما تقدم لأن البر الشرقى من القلزم معدود من ساحل الجحاز من جملة جزيرة العرب، وهى ناحية على أنفرادها، وكان الذى حمل القضاعى على ذلك مسامحة هذا الساحل لحدها بساحل البحر الرومى على ما تقدم . وأعلم أن جميع المحتدين لها وإن اختلفت عباراتهم فى ابتداء الحد الشمالى الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من ریح أو بين الزقعة وريح ؟ متفقون على أن ابتداء الحد حيث الشجرتان ، وكأنهما شجرتان قديمتان حدد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف" : وما إخال الآن بقاء الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوام الحرق، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُثْبُ الحنبية عن البحر الرومى قريبا من الزقعة .

قال : فأما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالمردية، ويعرف قديما بالعُش^(١) فهى وإن عظمت محدثة من زمن من حدد الأقاليم، وليست فى موضع ما ذكره .

(١) فى الضوء، والتعريف "بالخرابة" .

ثم لها طول وعَرْضٌ ، فطولها ما بين جهتي الشمال والجنوب ، وعَرْضُها ما بين جهتي المشرق والمغرب . وقد قيل إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر . وذكر القضاة أن ما بين العريش إلى بركة أريعون ليلة .

المقصود العاشر

(في ابتداء عمارتها ، وتسميتها مصر ، وتفرع الأقاليم التي حولها عنها)

أما ابتداء عمارتها ، فقد ذكر المؤرخون أنها عُمِرَتْ مرتين :

المرَّة الأولى - قبل الطوفان ، وأقل من عَمَرها قبل الطوفان قراووس بن مصرم (١) ابن براجيل بن رزائيل بن غريب بن آدم عليه السلام ، نزلها في سبعين رجلا من بني غريب جبارة ، فعمَّرها . وهو الذي هتدس نيلها وحفره حتى أجزاه ، ووجه إلى البرية جماعة هندسوه وأصلحوه ، وبنى المندد وأثار الماعدن ، وعمل الطلسات .
المرَّة الثانية - بعد الطوفان ، وأقل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ، قدم إليها هو وأبوه بيسر في ثلاثين رجلا من قومه حين قسم نوح الأرض بين بنيهِ ، فزلوا بسفح المقطم ، وقَرَّروا فيه منازل كثيرة نزلوا بها ثم أبتنوا مدينة منف وسكنوها على ما يأتي ذكره في الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى .

قال ابن لُهيعة : وكانت نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسَكِّنَه الله تعالى الأرض الطيبة المباركة التي هي آمن البلاد وغوث العباد ، ونهرها أفضل الأنهار ، ويصل له فيها أفضل البركات ، ويُسَخَّرَ له الأرض ولولده ويُدَلَّلَها لهم ، ويُقَوِّمَ عليها . فسأله عنها فوصفها له ، وأخبره بها .

(١) لم يفتق الكتب على هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فذلك لم نقول عليها وأختصرنا على ما في نسخة المطبعة .

وأما تسميتها مصر ، فقيل : إن تقرا ووس بن مصرم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها باسم أبيه مصرم تبركا ، وأن مصر بن بيصر إنما سمي باسمه . وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وعلى الوجهين تكون علما منقولاً عن اسم رجل .

وقال الجاحظ في رسالة له في مدح مصر : إنما سميت مصر لمصر لمصر الناس إليها قلت : ويجوز أن تكون سميت مصر لكونها حداً فاصلاً بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر في أصل لغة العرب اسم للحد بين الأرضين كما قاله القضاة . ومنه قول أهل هجر : اشتريت الدار بمصورها ، أي بمحدودها .

قال القضاة : وكيف ما^(١) ... أما أن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما نزع الأقاليم التي حولها عنها . فمن أين ليعلم أنه لما استقر مصر بن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق ، وناح ، وياح وكثر أولادهم ، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرنا وأفضلنا ، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جئك نوح ، ونحن نضيق عليك أرضك ، ونحن نطلب إليك بالبركة التي جعلك فيها جئك نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها ، وتكون لنا ولأولادنا ، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلى ، لا تباعدوا مني ، فإن لي في بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى ، وتكون لي ولولدى وأولادهم ، فجاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا ، ومن برقة إلى أيلة عرضاً ، وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى إفريقية ، فكان وله الأفاقة ، وبذلك سميت إفريقية ، وذلك مسيرة شهر ، وحاز ناح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر إلى الجزيرة ، مسيرة

(١) كذا في الأصل بدون بياض وهو غير مستقيم وله كيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نبط الشام . وحازياح ماوراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نبط العراق .

وقد قال القضاعى بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربى فهو من فتوح أهل مصر وتوهم من برقة إلى الأندلس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفريقية ففتحوها، ثم توجهت طائفة من إفريقية إلى الأندلس ففتحوها على ما سيأتى ذكره في الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

(في ذكر قواعدها القديمة ، والمباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان ، والقواعد المستقرة ، وما فيها من الأبنية الحسنة)
وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول

(ما قبل الطوفان)

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى - مدينة أنسوس، وهى أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها هيراووس بن مصرى بن براجيل بن رزائيل بن غراب بن آدم عليه السلام : أول ملوك مصر قبل الطوفان، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرخين، وشق لها نهرا يتصل بها من النيل .

القاعدة الثانية - مدينة برسان، وهى مدينة بناها هيراووس المتقدم ذكره لأبنته مصرام وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثاني

(قواعدها فيما بعد الطوفان)

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى - مدينة منف، قال في "تقويم البلدان" : (بكر الميم وسكون النون وفاء في الآخر) والجاري على الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان، بناها مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال في "الروض المعطار" : وأصلها بالسريانية مانه ومعناها بالعربية ثلاثون وذلك أن مصر حين نزلها كان في ثلاثين رجلا من أهل بيته، فساها بعددهم .

قال ابن الأنباري في كتابه "الزاهر" : وهي على أنفى عشر ميلا من القُسطاط . قلت : ومنف هذه في جنوبي القُسطاط على القرب من البلدة المعروفة بالبدرشين من عمل الجيزة، وهي المعروفة بمصر القديمة، وقد تحريت وصارت كيانا، وبها آثار بنيان من الحجر الككان، يوجد تحت الردم على القرب من أحجار الأهرام في العظمة والمقدار وبوسطها آثار رِياة عظيمة، بها صفتان عظيمتان من حجر صوان أبيض، طول كل صنف منهما نحو عشرين ذراعا، وهما مطروحان على الأرض، وقد غطى الطين أسفلهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة : جوانبه الأربعة وأرضه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمد بن

فلاورون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر قله إلى القاهرة صحبها فوج فأنكسر
فامر بأن تحت منه أعتاب فتحت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليية
الجامع الطولوني، وشرقي هذه المدينة معالم سور مبنى بالحجر الكدّان النجيت فصوصا
صغارا بالطين والجير الذي قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال: إنه سور الأهرام
التي بناها يوسف عليه السلام لأتخاها الحنطة في صلبها.

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُّبُل الذي أخبر به يوسف
عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن، وأنه في المقدار فوق مقدار الحنطة
المعارفة بقليل.

وفي شمال هذه المدينة بلدة صغيرة تعرف بالعزيزية، يقال إنها كانت منزلة
العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزيّنا، وفي غربيها إلى
الشمال في سفح جبل مصر الغربي يحيط يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد
موسى عليه السلام، وعلى القرب من السور المقدم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام.
ويقال إن النيل كان تحت هذا السور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.



القاعدة الثانية — مدينة الإسكندرية نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدوني
ملك اليونان المقدم ذكره.

وقد ذكر القضاة: أنه كان بها عدة عجائب، من أعجيبها المنارة، وهي منارة
مبنية بالحجر والرماس ارتفاعها في الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل
أربعمائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعا، وقيل بالحجر لقلبة الجير فيه. وعلى رأسها
مرآة من أخلط يرى فيها من حضر إليها على بُعد؛ وتتهدى بها المراكب السائرة
إلى الإسكندرية إذ يراها متخفض لا جبال فيها، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه

(١) له وقيل بالجير أي هي مبنية بالحجر والرماس وقيل بالجير الخ تأمل.

من المراكب الواصلة ، آحتال عليها النصارى في أوائل الإسلام في خلافة الوليد
أبن عبد الملك الأموى فكسروها ، وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أواسط
المائة الثامنة فاستؤصلت وبقي أثرها .

(ومنها) الملقب الذى كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلاقع
في حجر أحد إلا ملك مصر ، وإن حضر فيه ألف ألف من الناس كان كل منهم
ناظرا في وجه صاحبه ، وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ، أو أتى بنوع من اللعب
رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلة .

وكان من غريب هذا الملقب أن عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه
في الجاهلية في يوم لعب الكرة فوقعت الكرة في حجره ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب
القوم منه وقالوا ما رأينا هذه الكرة كذبت قط إلا هذه المرة ، فاتفق أن ملكها
في الإسلام . (وعمود السوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عمود هذا
الملعب ، وهو عمود عظيم يرى الرجل القوى سهم عن قوس قوى فلا يبلغ رأسه .
(ومنها) عمودا الإغياء ، وهما عمودان مقيان وراء كل منهما جبل حصبأوه
كصبرا الجارمى يُقيل العبيد سبع حصيات حتى يستلقى على أحدهما ، ثم يرى
وراءه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ، ويمضى لطلبته فلا يحس بشئ من تعب .

(ومنها) القبة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نحاسا كأنه ذهب إبريز لا يُتيلس القدم
ولا تُخلقه النهور .

(ومنها) المسلتان ، وهما جبلان قائمان على سرتانات نحاس في أركانها كل
ركن على سرطان ، فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفضل .
قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وهاتان المسلتان إحداهما في الركن
الشرقى من البلد ، والثانية ببعض البلد ، وهما عمودان مُرَبَّعان من حجر أحمر ،

وعرض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا، طول كل واحدة منهما خمس قانات، وأعلها مستقي، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا .
وقال إن عليهما مكتوب بالسريانية: "أنا يعمر بن شداد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادى ومقدام بن يعمر بن أبى رغال الثودى إلى جبل بريم الأحمر، فأقطعوا منه حجراين وحملاهما على أعناقهما، فأنكسرت ضلع البتون، فوددت أن أهل مملكتى كانوا فداء له، فأتاهما القطن بن حازم المؤتفى في يوم السعادة".

وقد قيل فيها: لإنها إرم ذات العماد، ولم تزل عاصمة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

"أما بعد . فإني فصحت مدينة لأصيف ما فيها، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية، وأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودى طليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للولك". ويقال إنه وجد فيها أربعة آلاف بقال يبيعون البقل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم في المراكب، وكان من يبق ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جل ذلك وزال أكثره ، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السوارى ، وهو عمود عظيم من حجر صوان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير في الدنيا ، ويقال إنه كان قبلها مدينة في مكلتها تسمى رقره بناها مصر بن بيسر بن حام بن نوح المتقلم ذكره حين بنى مدينة منف ، وعلى منوالها نسج الإسكندر مدينته .



القاعدة الثالثة - قصر الشمع الذى هو داخل مدينة القسطنطين الآن، وهو المعبر عنه في كتب الفتوح بالحصن ، بناه كسرجوس الفارمى أحد تواب ملك القرس

(١) يظهر أنه مكرع المذكور في السطر قبله . (٢) في ياقوت قطن بن جاد .

عند استيلائهم على مصر بعد غلبة بُحْتَنَصَّر الآتى ذكره في الكلام على ملوكها .
قال الفضائى : ولم يكله وإنما كله الروم بعد ذلك ^(١) التى فتحت مصر
وهى مقرة الملوك بها . وقد قيل : إن المَقْوَص كان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر
من السنة ، ويمسنة منف أربعة أشهر ، ويقصر الشمع أربعة أشهر .
وأعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض
ملوكها في بعض الأزمان ، ومدن دون ذلك يأتى الكلام على جميعها بعد ذكر الكور
القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .



وأما المباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان ، فاعلم أن ملوك مصر القدمين كان
لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يتفانرون بذلك لإخباره على طول
الزمن بعظمة ملكهم وأقدارهم على ما لم يبلغه غيرهم ، ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام) .
وهى قبور أنجلوها في غاية الوثاقة حفظاً لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامة ،
وآبثوا منها عتة بالجبل الغربى من النيل ، بعضها مقابل القُسطاط ، وبعضها ببوصير
السدر وسقارة ودهشور من الأعمال الجيزية ، وبعضها بميدوم من الهنساوية ،
وأعظمها خطراً وأجلها قدراً الهرمان المقابلان للقُسطاط ، يقال إن طول عمود
كل هرم منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعاً ، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع ،
طول كل ضلع منها أربعائة وستون ذراعاً .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءً باليد حجر على حجر بهذا المقدار .
ويقال : إن لها أبواباً في آرج في الأرض طول كل درج مائة وخمسون ذراعاً ،
وباب الهرم الشرقى من الجهة البحرية ، وباب الهرم الغربى من الناحية الغربية ،

والصابئة تحجُّ هذين الهرمين ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام ، والآخر قبر أبته صابئ الذي إليه ينتسبون .

وقد اختلف في بانها فأكثر المؤرخين على أن بانها سوريد بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتي ذكره في الكلام على ملوكها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، جعلها قبورا لأجسادهم وكنوزا لأموالهم ، حين أخبره منجموه وكهنته بما دلم عليه الرصد النجوى من حدوث حادثة تعم الأرض ، ورجحه محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وقال : لو بُنيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس . وذكر ابن عفر عن أشياخه أن بانها جياد بن مياد بن شمر بن شتاد بن عاد ابن عوض بن إدم بن سام بن نوح عليه السلام .

قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن الذي بناها شتاد بن عاد . وذهب السعوى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .

وقال ابن شبرمة بنتها العاتقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجل المباني وأدومها ، وفيه القائل .

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا * مَا يَرَوْنَ عَنِ الزَّمَانِ الْقَائِرِ

لَوْ يَنْطَلِقَانِ ، نَحْبَرَانَا بِالَّذِي * صَحَّ الزَّمَانُ بِالْوَلِّ وَبِاتِحِرِ

وكيفما كان فآلها إلى الخراب ، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون : أحد خلفاء بني العباس حين دخل إلى مصر في سنة ست عشرة ومائتين قصد هدمها فلم يقدر ، فأعمل الحيلة في فتح طائفة في أحدهما يتوصل منها إلى من لقان ، يصعد في أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم ، بها ناووس من حجر ، ويقل في أسفلها إلى بر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وجد في أعلاه مالا فأعتبره

فلذا هو قدر المال الذي صرفه من غير زيادة ولا قص ، وقد أخذ الآن في قطع
مجازيتها الظاهرة لاكتناز البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخرى باكتغيرها
من المباني .

وقه المتنبي حيث يقول :

أَيُّ الذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ؟ * مَا قَوْمُهُ ؟ مَا يَوْمُهُ ؟ مَا الْمَصْرَعُ ؟
تَسْتَخَفُّ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا * دَهْرًا ، وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبَع !

قال إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب "السجائب" : وقد قيل إن هوجيب
أحد ملوك مصر قبل الطوفان أيضا بنى الهرم الكبير الذي بهشور ، والثاني بناه
قفطريم ، بن قفط ، بن قطيم ، بن مصر ، بن بيصر ، بن حام ، بن نوح عليه السلام
بعد الطوفان .

قال القضاة : أما الهرم الذي بدير أبي هريريس : وهو الهرم المدرج يعنى الذى
شمالى أهرام دهشور ، فإنه قبر قرياس ، وهو فارس أهل مصر ، كان يعد فيهم
بألف فارس ، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهرم الكبير من الأهرام التى غربى دير أبي هريريس ،
وعلى بابيه لوح من الحجر الكدّان طوله ذراع في ذراع مكتوب بالخط البرباوى .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حكمهم (البرابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم ،
زبروا فيها حكمهم ، ورقوا توارىخ ملوكهم ، وصوّروا فيها صور الأمم التى حولهم .
فتى قصدتهم أمة من الأمم ، أوقعوا بصورهم المصوّرة من النكال ما أرادوا ، فيصيب
تلك الأمة على البعد ما أوقعوه بتلك الصور ، إلى غير ذلك من الحكم التى أودعوها
والطليسمات التى وضعوها بمجدراتها .

ويقال : إن أول من بنى البرابي بمصر دلوكة العجوز، التي ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال في "مسالك الأبصار" : وقد أخبرني الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمشقي أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك، وأن الذي ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عليها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور، وهو ثلاثون ألف سنة : لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالارصاد ولا يحل رصد المجموع في أقل من هذه المدة .

قلت : ويحوز أن يكون الرصد حصل على الوجه المذكور، وزرورهم في الكتب فلما بنى الثاني هذه البرابي، نقل منها ما زرع في الكتب من ذلك الزمن المتقدم .

وأعلم أن أكثر البرابي بالوجه القليل من الديار المصرية، وبالوجه البحرى القليل منها، وقد استولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يسبق إلا آثارها، والذي وقفت عليه في التواريخ، ووقفت على آثار ظالمة ورسومه سبع براب .

(منها) برابا سمند، كانت بظاهر سمند من الأعمال الغربية بالوجه البحرى . قال الكندي : رأيتها وقد تحزن فيها بعض أعمالها قرطاً فرأيت الجمل إذا دنا من بابها بجملته وأراد أن يدخلها، سقط كل ديبب في القرط فلا يدخل منها شيء إلى البرابا .

قال القضاى : ثم خربت عند الحسين وثمانته .

(ومنها) برابا سمى بالمرثانية من الوجه البحرى على القرب من مدينة ممى الخراب وعامة أهل تلك الناحية يقولون برابا عاد، وهى باقية بجدرانها، وسقوفها من أعظم

المجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الأحمر والحص،
ودخلها أحواض عظيمة من الصوان غريبة الشأن .

(ومنها) بربا إنجم، وهي بربا بظاهر مدينة إنجم من الوجه القبلي، كانت من
أعظم البرابي وأحسنها صنعة وأكبرها حكمة، ولم تزل عامرة إلى أواسط المائة الثامنة،
فأخذ في هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إنجم، ولم يبق إلا آثارها، وبعض
جدرانها قائمة إلى الآن .

(ومنها) بربا دندرة من الأعمال القوسية .

قال القاضي : وهي بربا عجيب فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل
يوم في كوة منها، ثم تكرر راجعة إلى الموضع الذي بدأت منه، وهي الآن خراب لم
يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأقصر: وكانت بربا عظيمة فهُدمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوان أملس، قائم على باب ضريح الشيخ
أبي الجحاج الأقصري على حاله إلى الآن، ومر عليه زمن الشيخ وهو على ذلك،
ولعله إنما أراد ببقائه التنبيه على ضعف عقول عبدة الأصنام لكونهم يعبدون
جبرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أرميت، وهي بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عمد
صوان قائمة من غير شيء محمول عليها .

(ومنها) بربا إسنا، وهي متوسطة القدر بين الكبير والصغر، وقد بقى منها
قطعة جيدة جُمِلت شونة للغلل، وأهل إسنا يذكرون أن الفار لا يدخلها، وإن
دخلها مات .

ومن الآثار العجبية بمصر أيضا مسلتان يمين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صوان أحمر عتدنا الراسين. ذكر القضاعى : أن الشمس تطلع على الجنوبية منهما فى أقصر يوم فى السنة، وعلى الشمالية فى أطول يوم فى السنة، وترتد فيما بينهما فى بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صومعتان من نحاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما، فثبتت حولها العوئج، وما فى معناه من الحشيش .

ومن العجائب حائط المعجوز، وهو حائط من لبن، بنتها دلوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العريش إلى أسوان، دائرة على أراضى مصر من شرقها وغربها فى لحف جبلها، وجعلت بين كل ثلاثة أميال محرسا، وشقت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقى والجانب الغربى .

المقصد الثانى عشر

(فى ذكر قواصلها المستقرة)

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت واختلطت حتى صارت كالقاعدة الواحدة .

القاعدة الأولى

(مدينة القسطنط)

بهاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر. ويقال فيه قُسْطَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وقُسَاط. قال الجوهري : وكسر الفاء لغة فيه، وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وأسمها القديم باب البُيُون^(١). قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته : بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر .

(١) وفى باقرت باليونان الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى اليون

قال التضاعى : وهو اسمها بلغة الروم والسودان ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق باب أليون ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال فى "كتاب الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة ونحس وخمسون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة ونحس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .
والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول نحس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

وآختلف فى سبب تسميتها بالقُسطاط ، فقال ابن قتيبة : إن كل مدينة تسمى قُسطاطاً ، ولذلك سميت مصر القُسطاط .

وقال الزُّحَيْرِيُّ : القُسطاط اسم لضرب من الأبنية ، فى القنطرة دون السرادق والذى عليه الجمهور أنه يسمى بذلك لمكان قُسطاط عمرو بن العاص رضى الله عنه يعنى خيمته ، وذلك أن عمراً لما فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وأستولوا عليه ضرب قُسطاطه على القرب منه فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية لفتحها ، أمر بزع قُسطاطه للرحيل ، فإذا بجحام قد أفرخ فيه فقال : لقد تحرم منّا بحرم ، وأمر بإقرار القُسطاط مكانه ، وأوصى على الجحام ، وسار إلى الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلى قُسطاطه ونزل به ونزل الناس حوله ، وأبقى داره الصخرى التى هى على القرب من الجامع البتيق مكان قُسطاطه ، وأخذ الناس فى الاختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والاختطاط ، فولى عمرو

على الحِطَط معاوية بن حُذَجِّ التُّجِجِيِّ، وشريك بن سُمَيِّ النُّطَيْقِيِّ، وعمرو بن قَحْرَم
الْحَوَلَانِيِّ، وَحَيَوِيل بن نَاشِرَةِ المَعَاوِي، ففصلوا بين القبائل وأزَلُوا الناس منازلهم،
فأَخْطَطُوا الحِطَط وَبَنَوْا الدُّورَ والمَسَاجِدَ، وعُرفت كل خُطَّة بالقبيلة أو الجماعة التي
أَخْطَطَهَا، أو بِصاحبها الذي أَخْطَطَهَا .

فأما الحِطَط والأَدْر التي عرفت بالقبائل والجماعات .

(فنها) خُطَّةُ أَهْلِ الرَايَةِ، وهم جماعة من قُرَيْشٍ، والأَنْصَارِ، وَخُزَاعَةَ، وَأَسْلَمَ،
وَعِظَارٍ، وَمُرَيْتَةَ، وَأَشْجَعَ، وَجُهَيْنَةَ، وَقَيْفٍ، وَدَوْسٍ، وَعَبَسٍ بنِ يَنْبُسٍ، وَجُرَشٍ
من بَنِي كِنَانَةَ، وَلَيْثِ بنِ بَكْرٍ، لم يكن لكل منهم من العُسد ما ينفرد به بدعوة من
الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال يكون وقوفكم تحتها،
فكانت لهم كالنَّسَبِ الجَماعِ، وكان ديوانهم عليها فَعُرِفُوا بِأَهْلِ الرَايَةِ، وَأَفْرَدُوا بِخُطَّةٍ
وَحدهم، وَخُطَّتْهم من أعظم الحِطَطِ وأوسعها .
(ومنها) خُطَّةُ مَهْرَةَ، وهم بنو مَهْرَةَ بن حَيْدَانَ بن عمرو بن الحَلَفِ بن قُضَاعَةَ
أَبْنِ مَالِكِ بن حَمِيرٍ، من قِبَالِ التَّيْمَنِ .

(ومنها) خُطَّةُ مُجِيبٍ، وهم بنو عَدِيٍّ وسعد ابني الْأَشْرَسِ بن شَيْبِ بْنِ السُّكَنِ بن
الْأَشْرَسِ بن كِنْدَةَ؛ وَتُجِيبُ أَسْمُ أُمِّهِمَا عرفت القبيلة بها .
(ومنها) خُطَّةُ نَلَمَ، وهي ثلاث : الأولى بنو نَلَمِ بن عَدِيٍّ بن مُرَّةَ بن أُنْدَ، وَمَنْ
خَالَطَهُمْ من جُدَامٍ . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحَرِثِ بن وائل بن رَاشِدَةَ
أَبْنِ نَلَمٍ . والثالثة، بنو رَاشِدَةَ بن أَذْبَ بن جَزِيلَةَ بن نَلَمٍ .

(ومنها) خُطَّةُ اللَّفِيفِ، وهم جماعة من القبائل تَسَارَعُوا إلى مُرَاكَبِ الرُّومِ حين
بَلَغَ عَمْرًا قَدَمُهُمُ الإسْكَندَرِيَّةَ عند فَتْحِهَا، فقال لهم عمرو، وقد أَسْتَكْتَرْتُمْ : إنَّكُمْ

(١) كذا في ابن دقاق أيضا ووقع في القرطبي "بنو دية" وهو تصحيف .

(٢) في خطب القرطبي وابن دقاق "فقال لهم عمرو بن جملة" .

لكما قال الله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَصِيفًا ﴾ فُسِمُوا اللَّصِيفَ من يومئذ .
(ومنها) خِطَطُ أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الإسكندرية بعد
قُتُول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم ، فتحاكوا إلى معاوية بن
حُذَيْج الذي جعله عمرو على الخِطَط ، فقال لهم : إني أرى لكم أن تظهروا على هذه
القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَطُ غَافِقٍ ، وهم بنو غافق بن الحُرث بن عَكَّ بن مُدَثَّان بن عبد الله
ابن الأزد .

(ومنها) خِطَطُ الصَّدِيف : ففتح الصاد وكسر الدال المهملتين . وهم بنو مالك بن
مَهْلٍ بن عمرو بن قيس بن جَمِير من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرْقَع بن كِنْدَةَ ،
سمى الصَّدِيف لأنه صَدَفَ بوجهه عن قومه حين أتاها سَيْلُ العَرِيم .

(ومنها) خِطَطُ خَوْلَانَ ، وهم بنو خَوْلَانَ بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .
(ومنها) خِطَطُ الفارسيين ، وهم بقايا جند باذان ، عامل كسرى ملك الفُرس على اليَمَن .
(ومنها) خِطَطُ مَذْرِجٍ ، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أَدَدَ بن زيد بن كَهْلَانَ بن عبد الله .
(ومنها) خِطَطُ يَحْصَبَ ، وهم بنو يَحْصَبَ بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث
ابن جَمِير .

(ومنها) خِطَطُ رُبَيْعٍ ، وهم بنو رُبَيْعٍ بن زيد بن مهمل بن يَمْعَر بن مُرَّة بن أَدَدَ .

(ومنها) خِطَطُ بَنِي الشُّكْلَاحِ ، وهو الشُّكْلَاحُ بن شُرْحَيْل بن سَعْدَ بن جَمِير .

(ومنها) خِطَطُ المَعَاظِرِ ، وهم بنو المَعَاظِرِ بن يَمْعَر بن مُرَّة بن أَدَدَ .

(ومنها) خِطَطُ سَيْلٍ ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَا .

(ومنها) خِطَطُ بَنِي وَاثِلٍ ، وهو واثل بن زيد مائة بن أَقْصَى بن إياس بن حَرَام بن

جُدَام بن عَدَى .

(ومنها) خِطَّة القَبْض ؛ وهم بنو القَبْض بن مَرْتَدٍ .

(ومنها) خِطَطُ الجَمْرَاوَات ، وهى ثلاث ؛ سميت بذلك لتزول الروم بها ، وهم مُخَرُّمُ الأَلْوَانِ :

الأولى - الجمرء الدُّنْيَا ؛ وبها خطَّة بِلَى ، وهم بنو بِلَى بن عمرو بن الحُكَّاف بن قُضَاعَةَ إلا من كان منهم فى أهل الرِّايَةِ ؛ وخِطَّة ثَرَاد من الأَزْدِ ، وخِطَّة فَهْمٌ ، وهم بنو فَهْم بن عمرو بن قيس بن عِيْلَانَ ، وخِطَّة بنى بجر بن سَوَادَةَ من الأَزْدِ .

الثانية - الجمرء الوُسْطَى ، وبها خطَّة بنى نَبِه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطَّة هُذَيْل ، وهم بنو هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ بن اليَاس بن مُضَرٍّ ؛ وخِطَّة بنى سَلَامَانَ من الأَزْدِ .

الثالثة - الجمرء القُصْوَى ، وهى خطَّة بنى الأَزْرَق من الروم ، وحضر الفتح منهم أربعائة رجل ؛ وخِطَّة بنى يَشْكُر بن جَزِيلَةَ من نَلْم ، واليهيم ينسب جبل يَشْكُر الذى بُنِيَ عليه جامع أحمد بن طولون الآتَى ذكره مع جوامع القُسْطَاطِين شاء الله تعالى .

(ومنها) خِطَطُ حَضْرَمَوْت ، وهم بنو حَضْرَمَوْت بن عمرو بن قَيْس بن معاوية بن حَمِيرٍ ؛ إلى غير ذلك من الخطط التى دُرِسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الحِطَاطِ .



وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فى خِلالِ هَذِهِ الحِطَاطِ دُورُ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَضَرِ الفَتْحِ .

(منها) دار عمرو بن العاص ، ودار الزُّبَيْر بن العَوَّام ، ودار قَيْس بن سَعْد بن عُبَادَةَ الأنصاري ، ودار مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصاري ، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِي ، ودار وَهَب بن عُيمِر بن وَهَب بن خَلْف الجُمَحِي ، ودار نافع بن عبد القيس بن قَلِيط الفِهْرِي ، ودار مَسْعُود بن أَبِي وَقَّاص ، ودار عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِي ، ودار القاسم

وعمر بن أبي قيس بن عمرو، ودار عبد الله بن مسعد بن أبي مَرْج العامري، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حَرَامِ الْبَلَوِي، ودار المستور بن شداد الفهري، ودار حُجَيِّ بن حَرَامِ اللَّيْثِي، (وفي صحبته خلاف)، ودار الحرث بن مالك اللَّيْثِي المعروف بابن البرصاء، ودار يَسْر بن أَرْطَاة العامري، ودار أبي ثعلبة الخشني، ودار إِيَّاس بن الْبُكَيْر اللَّيْثِي، ودار مَعْمَر بن عبد الله بن فَضْلة الْقُرَيْشِي الْعَدَوِي، ودار أبي الدرداء الأنصاري، ودار يعقوب القِطَاطِي - رسول الْمُقَوِّس إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم مع مارية: أم ولده إبراهيم وأختها شيرين، ودار مَهَاجِر مولى أم سَلَمَةَ زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلم، ودار عُبَيْة بن زيد الأنصاري، ودار محمد ابن مَسَلَمَةَ الأنصاري، ودار أبي الأسود مَسْرُوح بن سندر الحصني، ودار عبد الله ابن عُمَرَ بن الخطاب، ودار خَارِجَة بن حُذَافَة بن غانم الْعَدَوِي، ودار عُقْبَة بن الحرث، ودار عبد الله بن حُذَافَة السهمي، ودار حِمْيَة بن بَحْرَة الزَّيْدِي، ودار الْمُطَّلِب بن أبي وَدَاعَةَ السَّهْمِي، ودار هُبَيْب بن مَقِيل الْفِغَارِي، وبه يعرف وادي هُبَيْب بالقرب من الإسكندرية، ودار عبد الله بن السائب المخزومي، ودار جَبْرِ القِطَاطِي - رسول الْمُقَوِّس إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، ودار يزيد بن زياد الأسلمي، ودار عبد الله بن رِيَّان الأسلمي، (وفي صحبته خلاف)، ودار أبي عميرة رشيد بن مالك الْمَزْنِي، ودار سِبَاع بن عُرْفَةَ الْفِغَارِي، ودار فضلة بن الحرث الْفِغَارِي، ودار الحرث بن أسد الخزاعي (وفي صحبته خلاف)، ودار عبد الله بن هشام بن زُهْرَة من ولد تميم بن مُرَّة، ودار خَارِجَة بن حُذَافَة بن غانم العدوي، وهو أول من أبتى غُرْفَة بِالْقُسْطَاطِ، فكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أدخل غرفة خارجة وأنصب فيها مريرا، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن أطلع من كَوَاهَا فاهدمها. ففعل عمرو فلم

يبلغ الكوى فأتوها، ودار محمد بن حاطب الجُمحى، ودار رِفاعَة الدَّوسى، ودار فَضالة
أَبْن عبيد الأنصارى، ودار المطلب بن أبى وداعة السهمى . إلى غير ذلك من الدور
التي أغفلت ذكرها أصحاب الحِطَط .

قلت : وكان أمراء مصر القُصاصون مقام ملوكها الآن يتولون بالقُسْطَاط، ولم يكن
لهم في ابتداء الأمر مقرّة معيّنة، ولا دار للإمارة مخصوصة . فقتل عمرو بن العاص
أَوَّلُ أمراتها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كلُّ أمير بعده يزل بالدار التي
يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأُمويّة، وكان عبد العزيز بن مَرْوَانَ ، وهو أمير
مصر في خلافة أخيه عبد الملك بن مَرْوَانَ قد بنى دارا عظيمة بالقُسْطَاط سنة سبع
وستين من الهجرة وبماها دار الذهب، وجعل لها قُبّة مُنْهَبَة إذا طلعت عليها
الشمس لا يستطيع الناظر التأمّل فيها خوفا على بصره، وكانت تعرف بالمدينة لِسْعَها
وعِظَمِها، وكان عبد العزيز يزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مَرْوَان بن محمد
آخر خلفاء بني أُمية إلى مصر، نزل هذه الدار فلما رَهِقَهُ القوم، أمر بإحراقها، فلامه
في ذلك بعض بني عبد العزيز بن مَرْوَانَ فقال : إن أبى ، أتيتها لِنَيْتٍ من ذهب
ولِنَيْتٍ من فِضّة، وإلا فما تصاب به في نفسك أعظم، ولا يتنجع بها عدوك من بعدك .
فلما غلب بنو العباس على بني أُمية وهرب مَرْوَان بن محمد آخر خُذَاء بنى
أُمية إلى الديار المصرية، وتبعه على بن صالح بن علي الهاشمي إلى أن أدركه بمصر
وقتلَه وأستقر أميرا على مصر في خلافة السَّقَاجِ أَوَّلِ خلفاء بني العباس، آبتنى دارا
للإمارة ونزلها، وصارت منزلة للأمراء بعده إلى أن ولي أحمد بن طولون الديار
المصرية فقتل بها في أوّل أمره، ثم اختطّ بعد ذلك قَصْرَه المعروف بالمَيْدَانِ فيما بين
قلعة الجبل الآن والمَشْهَد الثَّغِيْبى وما يلي ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين ،

وكان له عدة أبواب : بعضها عند المشهد النبوي ، وبعضها عند جامعہ الآس
 ذكره ، وأختط الناس حوله ، وأقطع كل أحد قطعة أبتنى بها ، فكان يقال : قطعة
 هارون بن حمارويه ، وقطعة السودان ، وقطعة الفراعشين ، فعرف ذلك المكان
 بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتى اتصلت بالفسطاط ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل
 أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بنوه بعده ، وأهملت دار الإمارة التي
 أبتناها علي بن صالح بالفسطاط . واستقر الأمر على ذلك بعده أيام ابنه حمارويه
 وولديه جيش وهارون ، وزادت العمارة بالقطائع في أيامهما ، وكثرت الناس فيها
 حتى قتل هارون بن حمارويه بعد قتل أبيه وأخيه ، وصار محمد بن سليمان الكاتب
 بالعساكر من العراق من قِبَل المُستَكْنَى بالله ، ووصل إلى مصر في سنة اثنتين
 وتسعين ومائتين ، وقد وثى الطولونية عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون ، قسّم البلد
 منه ونحّب القطائع وهدم القصر وقلع أساسه ، ونحرب موضعه حتى لم يبق له أثر .
 وكان بدر الخفيفي غلام أحمد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفسطاط عند
 المصلّى القديمة ، وقيل اشتراها له أحمد بن طولون ، ثم تحط عليه أحمد فتركه ،
 وسكنها بعده طاهر بن حمارويه ، ثم سكنها بعده الجمحي غلام أحمد بن طولون .
 فلما هدم محمد بن سليمان الكاتب قصر بني طولون بالقطائع ، سكن هذه الدار ،
 ثم سكنها عيسى التوشري أمير مصر بعده ، واستقرت منزلة للأمرء إلى أن ولي
 الإخشيد مصر فزاد فيها وعظمها ، وعمل لها ميّانا وجعل له بابا من حديد ، وذلك
 في سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلة للأمرء إلى أن غلبت الخلفاء الفاطميون
 الإخشيدية على مصر وبني القائد جوهر القاهرة والقصر ، فنقل باب هذه الدار
 إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ماسياتي ذكره في الكلام على خطط القاهرة
 إن شاء الله تعالى .

وصار القُسطاطُ في كل وقت تزايد عمارته حتى صار في غاية العجالة ونهاية الحسن .
به الأثر الأنيقة ، والمساجد القائعة ، والحمامات الباهية ، والقياسُ الزاهية ،
والمستترحات الرائقة ؛ ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع
الجهات ؛ وغصَّ بُسْكَايه ، وضاقَ فضاءه الرحيب عن قُطَّايه . حتى حكى صاحب
”إحاطات المتنفل“ عن بعض سُكَّان القُسطاط أنه دخل حمَّاما من بناء الرُّوم في أيام
نُحَّارَوَيْه بن طولون في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فلم يجد فيها صائعا يُخدمه ، وكان
فيها سبعون صائعا قلَّ منهم من معه ثلاثة نفر يفسلهم ، وأنه دخل بعدها حمَّاما
ثم حمَّاما فلم يجد من يخدمه إلا في الحمام الرابعة ، وكان الذي خدمه معه ثان .
وحكى في موضع آخر عن يثقي به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الزُكَّة بالقُسطاط^(١)
إلى جامع ابن طولون قصبية سوق متصلة ، فمدَّ ما بها من مقاعد الجِصص المصلوب
فكانت ثلاثمائة وتسعين مقعدا غير الحوائط وما بها .
وحكى أيضا عن أخيه أنه مدَّ الأسطال النحاس المؤبدة في البكر لاستقاء الماء
في الطاقات المُطَلَّة على النيل ، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة
مقعد يكرى عند البيارستان الطولوني بالقُسطاط في كل يوم اثني عشر درهما .
وذكر ابن حوقل أنه كان بالقُسطاط في زمانه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز
بالموقف يُسَبَّ لمن فيها من السكان في كل يوم أربعائة راوية ماء ، وفيها خمسة
مساجد ، وحمَّامان ، وقُرَّتان .

قلت : ولم يزل القُسطاط زاهي البنيان ، باهي السُكَّان ، إلى أن كانت دولة الفاطميين
بالديار المصرية ، وغمرت القاهرة على ماسياني ذكره ، فتهجر حاله وتناقص ، وأخذ
الناس في الابتغال عنه إلى القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر سُكَّانه ، ونتابع الخراب

(١) الذي في الخط الطبريزي حين روى هذه الحكاية عن ”إحاطات المتنفل“ أيضا ، ”مسجد عبادة“
قله يسمى بذلك أيضا .

في بنيانه، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية في أيام الماضد: آخر خلفاء الفاطميين، ووزيره يومئذ شاور السعديّ نخاف على القُسطاط أن يملكه الفرنج ويحصنوا به، فأضرم في مساكنه النار فأحرقها فترايد الخراب فيه وكثر الخلو.

ولم يزل الأمر على ذلك في تهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس: أحد ملوك التُرك بالديار المصرية، فصرف الناس همهم إلى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنقضه بساحل النيل بالقُسطاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه واستمر إلى الآن، حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل، وما جاوره إلى ما يلي الجامع العتيق وما داني ذلك، ودرثت أكثر الحُطط القديمة وعفا رسمها، وأحتمل ما بقي منها وتغيرت معاملها. وإذا نظرت إلى خطط الكندي والقضاعي والشريف النّسابة، عرفت ما كان القُسطاط عليه من الفخامة وما صار إليه الآن، وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدمة، حفظاً لأسمائها وتبها على ما كانت عليه. إلا أن في ساحله المِطْلَ على النيل الآن وما جاور ذلك المباني الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العالية، التي تبهج الناظر، وتسر الناظر.

وكان أكثر بنيانه بالأجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك، وقد صار ما حרב منه ودرث كما نال كالجبال العظيمة، وهجر غالباً وترك، ويمكن في بعضها رعاع الناس ممن لا يعبأ به في جوانب منها لا تمتد في العامر.

ومن كيمانه المشهورة التي ذكرها القضاعي كُوم الجارح، وكوم دينار، وكوم السمكة وكوم الزينة، وكوم الترمس، وزاد صاحب "لقاطات المنغل" كوم بنى وائل، وكوم ابن غراب، وكوم الشفاف، وكوم المشانيق.

ويقابل القُسطاط من الجهة البحرية جزيرة الصّناعة المعروفة الآن بالرّوضة ،
كانت صناعة العائر أولاً بها فلبست إليها .

١ قال الكندي : وكان بناؤها في سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها اسم الروضة
لحسنها ونفّارتها وإطافة الماء بها ، وما بها من البساتين والقصور ، وهي جزيرة قديمة
كانت موجودة في زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ؛ وبين القُسطاط
وبينها جسر ممتد من المراكب على وجه النيل كما في جسر بغداد على الدجلة ولم يزل
قائماً إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسراً من خشب تنو عليه المازة
وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبت ريح عاصفة في الليل فقطعت الجسر
القديم ، وصدمت بسفنه الجسر المحدث فنهبها جميعاً ، ثم أعيد الجسر المحدث
وبطل القديم .

وقد ذكر القاضي : أنه كان موجوداً إلى زمنه ، وكان في الدولة الفاطمية ، ثم جدد
الحصن المذكور أحد بن طولون أمير مصر في خلافة المعتمد في سنة ثلاث ومائتين ؛
ثم استهدم بعد ذلك بتأثير النيل في أبراجه ومرور الزمان عليه ؛ ثم بنى الصالح نجم
الدين أيوب قلعة مكانه في سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وبقيت حتى هدمها المعز
أيك التركاقي أول ملوك الترك ، وعمر من قضا مدرسته المعزية برجة الخروب ،
وأخذ الناس مكانها أملاكاً ، وهي على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق بها إلا بعض أبراج
أخذها الناس أملاكاً وعمرها عليها بيوتاً . فلما ملك الظاهر بيبرس ، هم بإعادتها
فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أرفة النيل^(١) التي بين جزيرة الصناعة وبين القُسطاط هي أقوى
الفرقتين والتي بين الجزيرة والجيزة هي الضعيفة ، ثم انعكس الأمر إلى أن صار ما بين
الجزيرة والقُسطاط يجف ولا يعلوه الماء إلا في زيادة النيل ، ويسلو بين آخر

(١) في الأصل أرفة وهو تصحيف والأرفة بالراء المهملة الحذ والمئة والمراد بها هنا الفرقة .

القُسْطَاط وهذه الجزيرة على قُوَّة خَلِيج القَاهِرَة حيث السدّ الذي يفتح عند ولاء النيل مكان كالجَزيرة، يعرف بِمُنْشَأَة المَهْرَانِي كان كوما يحرق فيه الأَجْر يعرف بالكوم الأحمر، عده القضايعى فى جملة كيان القُسْطَاط .

قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأول من ابتدأ فيه العبارة بلبان المهراني فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

وبلى القُسْطَاط من غريبه بركة تعرف ببركة الحيش ، وهى أرض مزدرة . قال القضايعى : كانت تعرف ببركة المَعَايِر وَحَيْر ، وكان فى شرقها جَنَات تعرف بالحيش فنسبت إليها .

وذكر ابن يونس فى تاريخه أن تلك الجنات تعرف بِقَتَادَة بن قيس بن حبشى الصديق ، وهو من شهد فتح مصر .

قلت : وهى الآن موقوفة على الأشراف من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقفها عليهم الصالح طلائع بن رزيك وزير الفاطر والعاقد من الخلفاء الفاطميين ؛ ويليه من قبله حيث القرافة المكان المعروف بالخنديق ، كان قد أحضره عبد الرحمن بن عَيْنَة خندقا فى سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مروان بن الحكم إلى مصر ، فصرف بذلك .



وأما جوامعها فستة :

الأول

(الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو)

وذلك أن عمرو لما بنى داره الصغرى مكان قُسْطَاطه على ما تقدم ذكره ، اختط الجامع المذكور فى خِطَّة أهل الراية المتقدمة الذكر .

قال القضاعى : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قيسبة بن كَثُومِ الْحِجْبِيِّ أحد بنى سُومٍ ، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشَّعَمِ ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قيسبة فيه ليجعله مسجداً فسلمه إليه ، وقال : تصدقتُ به على المسلمين ، وأخطأ له خِطَّةٌ مع قومه فى بنى سُومٍ فى مُجِيبٍ ؛ فُبْنِى فى سنة إحدى وعشرين ، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا ؛ ويقال : إنه وَقَفَ على قبلته ثمانون رجلا من الصلبة رضوان الله عليهم : منهم الزَّيْزِينُ الْعَوَامُ ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ ، وَأَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ وغيرهم ؛ ولم يكن له يومئذ عرابٌ يُخَوِّفُ بل عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان يقابلان دار عمرو ابن العاص ، وبابان فى بحريته ، وبابان فى غربيته ، وطوله من قبيلة إلى بحريته مثل طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، اتخذ عمرو بن العاص له مِثْبَرًا يُخْطَبُ عليه ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما يتكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقيق ؟ فكسره . ويقال إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا ملك النوبة أهدى لعبد الله بن أبي سريح العامري^(١) فى إمارته على مصر مِثْبَرًا بفعله فى الجامع ؛ ثم زاد فيه مسلمة بن عُمَيْلٍ الْأَنْصَارِيُّ فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان زيادة من بحريته ، وزخرفته ؛ وهو أول من صُلِّيَ على الموتى داخل الجامع ، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأول من رتب فيه قراءة المصحف

(١) فى ابن دقاق المخطوط "ابن مرقى".

عبد العزيز بن مروان في إمارته في سنة ست وسبعين، ورفع عبد الله بن عبد الملك سقفه في سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطاطاً، ثم جعل فيه المحراب المحجوف قبة ابن شريك البسيّ أتباعاً لعمر بن عبد العزيز في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصر الحمي وهو أمير مصر باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر . وأول من نصب اللوح الأخضر فيه عبد الله ابن طاهر، وهو أمير مصر في سنة اثنتي عشرة ومائتين؛ ثم أحرق الرواق الذي فيه اللوح الأخضر في ولاية ثمارويه بن أحمد بن طولون، فعمره ثمارويه في سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدد اللوح "الظاهر بيبرس" في سنة ست وستين وستمائة ثم جدد اللوح الأخضر بهان الدين الحلي التاجر في سلطنة "الظاهر بقوق" في أواخرها وقد وصف صاحب "إقناط المتفعل" الجامع على ما كان في زمانه في حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن دُرْعَه ثمانية وعشرون ألفاً بذراع العمل، مقدمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعاً، ومؤخره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعاً، ومعه خمسة آلاف ذراع، جانبه الشرقي ألفاً ذراعاً وخمسمائة ذراعاً وخمسون ذراعاً، وجانبه الغربي كذلك؛ وأبوابه ثلاثة عشر باباً لكل باب منها اسم يخصه، في جانبه القبلي باب واحد؛ وبه أربعة وعشرون رواقاً، سبعة في مقدمه، وسبعة في مؤخره، وخمسة في شرقيّه، وخمسة في غربيّه، وفيه ثلثمائة عمود وثمانية وستون عموداً، بعضها مفرد وبعضها مضاف مع غيره؛ وبصدره ثلاثة عارِيب : المحراب الكبير المجاور للنبأ، والمحراب الأوسط، ومحراب الخمس؛ وفيه خمس صوامع : إحداها في ركنه القبلي مما يلي الغربي، وهي الغرفة؛ والثانية في ركنه القبلي مما يلي الشرقي، وهي المنارة الكبرى؛ والثالثة في ركنه البحري

مما يلي الشرق" ، وتعرف بالجديدة ؛ والرابعة فيما بين هذه المئارة والمئارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة ؛ والخامسة في الركن البحري مما يلي الغربى مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد استهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التي داخله ، فأمر السلطان الملك الظاهر ببنائها ، فسلقت جذره على الخشب ، فأخترته المنية قبل الشروع في البناء ، وأخذ القاضي برهان الدين المحلى تاجر الخصاص في عمارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدد اللوح الذي كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنفُسَ عمارة وأحسنها .

قلت : وما يجب التنبيه عليه أنه قد تخدم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحيث قد يلحق بمحارب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية في أنه لا يجتهد في التيامن والتياسر في محاربهما كما نبه عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شرح منهاج النووي في الفقه ، لكن قد ذكر القضاة في خطه عن الليث بن سعد وابن لميعة أنهما كانا يتيامنان في صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرقا جدًّا ، وأن قبة بن شريك حين هدمه وبناه ، تيامن به قليلا .

وقد حكى الشيخ تقي الدين السبكي في شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن أكثرًا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرني عن الشيخ تقي الدين أبي الطاهر رأس علماء الميقات في زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا في استخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثاني

(الجامع الطولوني)

بناه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَسْكُر.

قال القاضي : وينسب إلى يَسْكُر بن جزيلة من نحم، كان خطة لهم .

قال ابن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن ابن

طولون أتفق على هذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفاً من كثر وجده .

ويقال : إنه لما فرغ من بنائه أمر بتسميع ما يقوله الناس فيه من العيوب،

فسمع رجل يقول : محرابه صغير، وآخر يقول : ليس فيه عمود، وآخر يقول :

ليس فيه مِضْءة، فقال : أما المحراب، فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد

خطه لي، فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذي خطه لي . وأما العمدة،

فإني بنتته من مال حلال، وهو الكثر الذي وجدته فإكنت لأشوبه بغيره،

والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فزهرته عن ذلك . وأما المِضْءة، فأردت

تطهيره من النجاسات، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبث بشيء قط، وأنه أخذ يوماً درج ورق أبيض وأنحريه

ومده كالحلزون، ثم استيقظ لنفسه وظن أنه فطن له، فأمر بمارة المنارة على تلك

الهيئة، وعلى نظير العشاري الذي على رأسها حبل العشاري الذي على رأس قبة الإمام

الشافعي رضي الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى في منامه كأن نارا نزلت من

السما فأحرقَت الجامع دون ما حوله فصر رُؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ بقوله،

إِنَّ الْأَنْفَمَ الْخَالِيَةَ كَانُوا إِذَا قَرَّبُوا قَرَبَانَا فَتَقَبَّلُوا، نزلت نار من السماء فأكلته، كما في قصة

هَابِيلَ وَقَابِيلَ، ورأى مرة أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى تجلى على ما حول الجامع

فعبّره له طاب ربّه بأنه يخرب ماحول الجامع ويبقى هو، بدليل قوله تعالى: ﴿قَلْبًا مَّحْجِلًا رَبُّهُ لِلْعِلَالِ جَعَلَهُ دَكَّامًا﴾ وكان الأمر كذلك، فهدمت منازل بني طولون في نكبتهم ولم يبق منها إلا الجامع.

الثالث

(جامع راشدة)

بناه الحاكم بأمر الله الفاطمي جنوبي القسّطاط، على القرب من الرصد، وأدخله في وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المقّيس. قال في "إحباط المتفعل": ليس هو بجامع راشدة حقيقة، وإنما جامع راشدة كان بالقرب منه، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتيح الإسلامي، فلما بنى الحاكم هذا سمي باسمه. قال: وقد أدركت بعضه ومجراؤه، وكان فيه شجر كثير من شجر المقل.

الرابع

(جامع الرصد)

بناه الأمير عز الدين أيّك الأفرم أمير جاتدار الصالحى النجمى فى شهر سنة ثلاث وستين وستمائة، بنى منظروته المعروفة به هناك، وعمّر دباطا بجانبه قور فيه صعدا تتعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا.

الخامس

(جامع الشمعية بظاهر مصر أيضا)

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وصكته الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعى الصوفى فعرف به الآن.

السادس

(الجامع الجديد)

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْدَةِ الخلفاء، وبدأ بهارته في التاسع من المحرم في سنة إحدى عشرة وسبعائة، وأتته عمارته في ثامن صفر سنة اثنتى عشرة وسبعائة، وخطب به قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعى، وصلى فيه الجمعة في التاسع من الشهر المذكور، ورتب فيه صوفية يحفرونه بعد العصر كما في الخواص، وهو من أحسن الجوامع وأزهرها بقعة خصوصاً في أيام زيادة النيل.



وأما مساجد الخمس، فكانت على العدد الذى لا يحصى لكثرتها، وخطط القضاعى شاهدة بذلك .

وقد رأيت في بعض التواريخ أن الفناء وقع في أيام كافور الاخشيدي حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : آبنوا بها المساجد وأنخذوا لها الأوقاف ، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها ، ولكنها الآن قد نخرت بخراب القسّطاط ودثرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .



وأما المدارس ، فكان المتقدمون يحلسون للعلم بالجامع العتيق ؛ وأول من أحدث المدارس بالقسّطاط بنو أيوب ، فعمر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

إحداهما - مدرسة الملكية ، المعروفة بالتمجعية في المحرم سنة ست وستين ونعمائة ، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للدرسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الفزل .

والثانية - المدرسة المعروفة بابن زين التجار ، وكانت مجتاً يسجن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية ، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها

ثم عمّر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل
العز بالقرب من باب القنطرة قبليّ القسّاط مدرسة ووقف عليها أوقافاً من جعلها
بحريّة الصّناعة المعروفة بالرّوضة .

ثم بنى السلطان الملك المعز أيك التّركيّ أول ملوك التّرك مدرسته المعزية برجة
الخروب في شهور سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

وعمر الصّاحب شرف الدين بن الفارسيّ مدرسته الفارسيّة قبل وزارته في شهور
سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

وعمر الصّاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصّاحبية بزقاق القناديل
بعد ذلك .



وأما الخواصّ والرّبط فلم تعهد بالقسّاط ، غير أن الصّاحب بهاء الدين بن حنا
عمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبليّ القسّاط وأشترى الآثار الشريفة
وهي ميل من نحاس ، ومِلْقَط من حديد ، وقطعة من النّزّة ، وقطعة من النّصعة
بجملّة مال وأثبتها بالاستغاضة وجعلها بهذا الرّباط للزيارة .



وأما البيارستان فأقول من أنشأ بالقسّاط أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين
وماثنتين وأهق عليه ستين ألف دينار .

قال القاضي : ولم يكن قبله بيارستان بمصر ، وشرط أن لا يعالج فيه جنديّ
ولا مملوك .

القاعدة الثانية

(القاهرة)

(بالف ولام لازمين في أولها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء في الآخر) ويقال فيها القاهرة المَعْرِية نسبة إلى المَعْرِ الفاطمي الذي بنيت له . وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق ، ولا يسمع بمنها في مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبي تمام معد ، بن المنصور أبي الطاهر إسماعيل ، بن القائم أبي القاسم محمد ، بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله الفاطمي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، واستيلائه عليها ، وموقعها شمالى القُسطاط المتقدم ذكره على القرب منه .

قال في "الروض المعطار" : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال في ابتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور القُسطاط وسور القاهرة . أما الآن فقد انتشرت الأبنية واتصلت الهارة حتى كادت المدينتان لتتصلان أو اتصلتا .

قال القاضي عبي الدين بن عبد الله الظاهر في خِطَط القاهرة : والذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رقية عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ابن سعيد : وكان مكانها قبل الهارة بستانا لبني طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولها وعرضها في معنى طول القُسطاط وعرضه أو أكثر عرضا بقليل ، وكان ابتداء عمارتها أن أمر إفريقية وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المعز المذكور ، وقوى طمعه في مصر بعد موت كافور الإخشيدي

وهي يومئذ والشام والجزاير بيد أحمد بن علي بن الاخشيد أستاذ كافور وهو صبي لم يبلغ الحلم، والمتكلم في المملكة أهل دولته، والحسين بن عبادقه، في الشام كالنائب أو الشريك له يدعى له بعلمه على المنابر.

وكانت مصر قد ضُفَّ عسكرها لما دهمها من القلاء والوباء، فجهز المعزُ قائده جوهرًا المتقدم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رقادة من بلاد إفريقية في أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المعزُ لتشجيعه، فقال للشافع الذين معه: "واقه لو خرج جوهر هذا وحده، لفتح مصر، وليدخلها بالأردية من غير حرب، وليزِلن في خرابات ابن طولون، ويبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" وكان للمعز غلام بركة اسمه أفلح، فكتب إليه المعز أن يترجل لجوهر إذا عبر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعفى من ذلك، فأبى المعز إلا ذلك، فترجل من مكانه وقبل يديه؛ وسار جوهر حتى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل في منأخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلًا، وأخط القصر وأخذ في بنائه وعمارة القاهرة، وأخط الناس حوله.

فاما القصر، فإنه أخطه في الليلة التي أناخ فيها قبل أن يُصبح، فلما أصبح رأى فيه أزوارات غير معتدلة فلم يسجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وتمادى في بنيانه حتى أكمله.

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأيدمرى طولاً؛ ومن السبع نحوخ إلى رحبة باب العيد عَرْضاً؛ والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضى إلى السبع نحوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى الرحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن الخلق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتى إلى باب المدرسة

الصاحلية من حيث ابتدأت، فإكان على يسارك في جميع دورتك فهو موضع القصر .
وكان له تسعة أبواب بعضها أصلي وبعضها مستحدث .

أحدها - باب الذهب، ويقال إنه كان مكان المدرسة الظاهرية الآن .

الثاني - باب البحر، ويقال إن مكانه باب قصر يشبك . قال ابن عبد الظاهر:
وهو من بناء الحاكم .

الثالث - باب الزهومة، ومكانه قاعة شيخ الخنابلة بالمدرسة الصاحلية، وكانت
الصاغة مطبخا للقصر وكانوا يدخلون بالطعام إلى القصر من ذلك الباب فسمى باب
الزهومة لذلك، والزهومة الدَّفَر .

الرابع - باب التربة، ويقال إن مكانه بين باب الزهومة المتقدم الذكر
ومشهد الحسين .

الخامس - باب الدِّيلم، وهو باب مشهد الحسين .

السادس - باب قصر الشوك، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على
القرب من رجة الأيدمرى .

السابع - باب العيد، وهو باب البيارستان العتيق، سمي بذلك لأن الخليفة
كان يخرج منه لصلاة العيد، وإليه تنسب رجة باب العيد .

الثامن - باب الزمرد، وهو إلى جانب باب العيد المتقدم ذكره .

التاسع - باب الریح، وقد ذكر ابن الطَّوَيَّر أنه كان في ركن القصر الذي
يقابل مورد دار سعيد السعداء التي هي الخاتاه الآن .

ثم أستجد المأمون بن البطائحي وزير الأمر تحت القوس الذي بين باب الذهب
وباب البحر ثلاث مناظر، وسمى إحداها الزاهرة، والثانية الفاخرة، والثالثة الناضرة .

وكان "الآمر" يجلس فيها العرض الساكر في عيد التّدير، والوزير واقفٌ في قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفين الآن سلسلةٌ ممتدةٌ إلى ما يقابلها تعلق في كل يوم من وقت الظهر حتّى لا يجوز تحت القصر راكب؛ ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل في حدود القصر مشهد الحسين .

وسبب بناءه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بسَقْلَان، نَحْشَى الصالح طلائعُ بن رزيك عليها من الفرج في جامع خارج باب زُوَيْلَة، وقصد نقل الرأس إليه فتلبه الفائز على ذلك، وأمر بابتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

ومن غريب ما اتفق من بركة هذه الرأس الشريفة ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على هذا القصر بعد موت العاضد: آخر خلفاء الفاطميين بمصر قبض على خادم من خُدّام القصر وحلق رأسه وشدّ عليها طامبا داخله خفافس فلم يتأثر بها ، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السرفيه ، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلى المشهد حلها على رأسه ، فحُلّ عنه السلطان وأحسن إليه .

وكان يجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافى من جهة السبع حُجُوج فيه عجائر الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن الميز أول خلفائهم بمصر وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء يتزلون بدار الوزارة التي أبقناها أمير الجيوش بدر الجمالي داخل باب النصر مكان الخلفاء الركنية بيروس

(١) أنت الرأس مجارة لغة العامة واللغة العربية تذكره .

الآن . فلما وليَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه ، نزل ببلار الوزارة المذكورة ، وبقى بها حتى مات العاضد فنحّول إلى القصر وسكنه ، ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر . فلما بلك الكامل محمد بن العادل أبي بكر انتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتي ذكره في الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدمة الذكر منزلاً للرسل الواردين من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخاقاه المعروفة به ، وخلا القصر من حيثكذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخر .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : قال لي يوّاب لباب الزهومة أسمه مرهف في سنة ثلاثين وستائة : كان لي على هذا الباب المنة الطويلة ما رأيته دخل فيه حطب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويّم ترابه ، ثم أخذ الناس بعد ذلك في تملكه وأستحكاره ، وعمرت فيه المدارس والأدور . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية ، ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيه بشتك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب في وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله بن المُرّ الفاطمي على ما سيأتي ذكره .

وكذلك القبة التي على رأس السالك من هذا البيارستان إلى رجة باب العيد ، وبعض جُدُر لا يتّدد بها قد دخلت في جملة الأملاك .



وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) ، فإن القائم جوهرا حين أخطوا جعل لها أربعة أبواب : باين متقارين ، وباين متباعدين . فالتقاربان (بابا زويلة) نسبة إلى زويلة

قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع في عبارة المؤرخين وغيرهم باباً زويلة؛ وأحد هذين البابين القوس الموجود الآن المجاور للمسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام؛ والثاني كان موضع الحوانيت التي يباع فيها الجبن على يسرة القوس المتقدم ذكره يدخل منه إلى المحمودية . وكان سبب إطلاله وسده أن الممر الذي بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب، دخل من القوس الموجود الآن هناك فأزدهم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر، وأشتهر بين الناس أن من دخل منه لم تهض له حاجة ، فرفض وسد ، وجعل زقاق جنوبية يتوصل منه إلى المحمودية، وزقاق شمالية يتوصل منه إلى الأسماطيين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين، وقوس آخر كان على حباله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم ثم أبقى أمير الجيوش بدر الجبالي المتقدم ذكره في سنة ثمانين وأربع مائة سوراً من لبن دائراً على القاهرة، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الفم داخل الباب المحروق، ثم أبقى الأفضل بن أمير الجيوش باب زويلة ، وباب النصر، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القضاة محي الدين بن عبد الظاهر في خطه ، إلا أنه ذكر في مواضع أخر منها أن باب زويلة بناء العزيز بالله وأكمله بدر الجبالي ، وهو من أعظم الأبواب وأشخصها، وليس له باشورة على الأبواب، وفيه يقول علي بن محمد النيلي :

يَصْاحُ لَوْ أَبْصَرْتَ بَابَ زَوَيْلَةٍ ، * لَعَلِمْتَ قَدَرَ حَمَلِهِ بَيْتَانَا
بَابٌ تَأَزَّرَ بِالْمَجْرَةِ وَأَرْتَدَّى الشُّعْرَى وَلَآتَ بِرَأْسِهِ كَيَوَانَا
لَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَاهُ لَمْ يُرِدْ * صِرْحًا وَلَا أَوْضَى بِهِ هَامَانَا

قال ابن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المَعَزِّ، وكان قد ورد من عنده في جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .
قال : (وباب القنطرة) منسوب إلى القنطرة التي أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القرامطة ليجوز عليها إلى المَقْص. والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجية عند الطيورين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذى على القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا، ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية آتتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى الرومى على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ، فبنى^(١) سورا دائرا عليها وعلى قلعة الجبل والقُسطَاط، ولم يزل البناء به حتى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن، وجعل فيها عدة أبواب :

منها باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق، وأبنتى برجين عظيمين أحدهما بالمَقْص على القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المَقْصى وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين والسبعمائة، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدد بناءه، والثانى بباب القنطرة جنوبي القُسطَاط .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بالمِشْجى، من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر يعنى رأس منشأة المهرانى المتقدم ذكرها فى الكلام

(١) لم يذكره الجبلية فى خطط القرى .

على خِطَطِ القُسْطَاطِ عند قُوَّةِ خَليجِ القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وأقتصر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه على ذَرْعِ السور من غير تفصيل ولم يتعرض للذراعين الزائدين .

قلت : وهذا السور قد دَثِرَ أكثره ، وتغيرت معالم غالبه : للصوق عمائر الأملاك به حتى إنه لا يتميز في غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة الأول من الأماكن أرضه سبخة وماؤه زُعَاق .

قال ابن عبد الظاهر : ولذلك عَتَبَ المِعْزُ عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمُرْها مكان المَقَسِّ على القرب من باب البحر أو جنوب القُسْطَاطِ على القرب من الرصد لتكون قرية من النيل ، عَذْبَةٌ مياه الآبار .

وأعلم أن خِطَطِ القاهرة قد اتسعت وزادت العماره حولها ، وصار ما هو خارج سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين ، ومنها ما هو منسوب إلى من تَهْتَمُّهم من الملوك ، إما لدروس أسمه الأول وغلبة أسمه الثاني عليه ، وإما لاستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لأقطاع شهرته بطول الأيام ومرور البالي . وإنما يقع التعمُّرُ هنا للأماكن الظاهرة الشهيرة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها ، وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القَدَمِ والحَدُوثِ .

أما خططها المشهورة داخل السور .

(فنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشي بهاء الدين قراقوش باني سور القاهرة المتقدم ذكره ، وكانت في دولة الفاطميين تعرف بين الحارثيين ؛ ثم أخطها قوم في الدولة الفاطمية يعرفون بالرَّيحانية والعززية فعرف بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور ، أشتهرت به ونُسِي ماقبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَان" وتعرف بـ بَرْجَوَان الخادم ، كان خادماً القُصُور في أيام العزيز بالله ابن المُعْزَّي ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ، ووصاه على أبنه الحاكم فعظم شأنه ، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف في تركته ألف سراويل بألف تككة حرير .

وبهذه الحارة كانت دار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي .

(ومنها) "خط الكافوري" كان بستانا لكافور الاخشيدي ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، ويقع إلى سنة إحدى وخمسين وستائة ، فاخبطه طائفة البحرية والعززية لإصطبلات ، وأزيلت أشجاره وقيمت نسبتته إلى 'كافور على' ما كانت عليه .

(ومنها) "خط الخرنشف"^(١) كان ميدانا لمخلفاء الفاطميين ، وكان لهم سرداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمتدون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به القُزْبُ بعد الستائة لإصطبلات بالخرنشف ومسكنوها فسمى بذلك .

(ومنها) "قرب شمس الدولة" على القرب من باب الزهومة ، وكان في الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة الممرورية بناها ممرور الخادم ، وكان أحد خُدَّام القصر في الدولة الفاطمية . وبقي إلى الدولة الأيوبية ، وأختص بالسلطان صلاح الدين وتقدم عنده ،

(١) في القمريزي "الخرنشف" وفسره بأنه المتجسد من وفود الحمامات بعد إخراجها وهي تسمية عريقة .

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ،
وعمرها دريا فصرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زويلة" وتنسب إلى زويلة قبيلة من البربر الواصلين بحجة القائد
جوهري على ما تقدم ذكره في الكلام على باب زويلة ، وهي حارة عظيمة متشعبة .
(ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودرية من الدولة الفاطمية نسبة
إلى جودر خادم عبيد الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين ، آخطوها وسكنوها حين
بنى جوهري القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمي أنهم
يَهْرُؤُون بالمسلمين ويَقْعُون في حق الإسلام ، فسَد عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا ،
وسكنوا بعد ذلك حارة زويلة المتقدمة الذكر .

(ومنها) "الوزيرية" وتعرف بالوزير أبي الفرج يعقوب بن كلثوم وزير المعز بالله
الفاطمي ، وكان يهودى الأصل يُخَلِّم في الدولة الاخشيدية ، ثم هرب إلى المعز
الفاطمي بالمغرب لمال لزمه ، فلقى عسكرا مع جوهري فرجع معه ، وعظمت
مكانته عند المعز حتى استوزره ، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفى الدين
ابن شكر : وزير العادل أبي بكر بن أيوب المعروفة بالصاحبة بسوق الصاحب ،
وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

(ومنها) "المحمودية" قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة
إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة في أيام المعز بالله الفاطمي إلى مصر .
(ومنها) "حارة الروم" داخل باب زويلة ، آخطها الروم الواصلون بحجة جوهري
القائد حين بنائه القاهرة فُهِرَتْ بهم ونسبت إليهم إلى الآن .
(ومنها) "الباطلية" قال ابن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المعز بالله القاهرة وقد
قسم المطاء في الناس فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : نحن على باطل ؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدَّيْلَم" وتعرف بالدَّيْلَم الواصلين صحبة افتكين المعزى غلام المعز ابن بويه الديلمي، وكان قد تنلب على الشام أيام المعز الفاطميّ وقاتل القائد جوهرًا وأسّنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأمره في الرملة وقبم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الحِطّة . وبها كانت دار الصالح طلائع ابن رزيك باني الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة، وخوخته بها معروفة إلى الآن بخوذة الصالح .

(ومنها) "حارة كُكَّامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطلية، تعرف بقبيلة كُكَّامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب .

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلًا للقصر، وبهنا انحط كانت دار الفطرة التي يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحي وزير الأمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسياىي الكلام على الفطرة مستوفى في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين : كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رزيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليه .

(ومنها) "البرقية" قال ابن عبدالظاهر : آخذتها قوم من أهل برقة قَدِمُوا صحبة جوهر فعرفت بهم . ورأيت بخط بعض الفضلاء بمأشئة خَطَطَ ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رزيك لما قتل عباسا وزير الظاهر وتقلد الوزارة عن الأمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عونا له وأسكنهم هذه الحِطّة فسببت إليهم . (ومنها) "قصر الشوك" على القرب من رَحْبَةِ الأيْدْمَرى، قال ابن عبدالظاهر : كان قبل عمارة القاهرة مقبرة لبني عُذرة تعرف بقصر الشوك .

(ومنها)^{١١١} وكانت خزنة السلاح في الدولة الفاطمية ، ثم جعلت سجنًا في الأيام المستنصرية ، ثم أحتكرت بعد ذلك وجعلت أذًراً .

(ومنها) ”رَجَبَة باب العيد“ تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر المسعى بباب العيد المقدم ذكره .

(ومنها) ”دَرْب مُلُوحِيَّة“ ينسب لملُوحِيَّة صاحب رِكاب الحاكم ، وبه مدرسة القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وبه كانت داره .

(ومنها) ”العُطُوف“ وأصل اسمها العُطُوفِيَّة : نسبة إلى عطوف خادم الحاكم .

(ومنها) ”الجَوَانِيَّة“ قال ابن عبد الظاهر : وهي صفة لمخدوف ، وأصلها حارة الروم الجَوَانِيَّة ، وذلك أن الروم الواصلين بحجة جوهر أخطوا حارة الروم المتقدمة الذكر وهذه الحارة ، وكان الناس يقولون : حارة الروم البرَّانيَّة وحارة الروم الجَوَانِيَّة فنقل ذلك عليهم ، فأطلقوا على هذه الجَوَانِيَّة وَقَصَّروا اسم حارة الروم على ذلك . قال : والوزاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة بالجَوَانِيَّة ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوَانِيَّين الذين منهم الشريف الجَوَانِي النَّسَابَة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :

(فمنها) ”الحُسَيْدِيَّة“ كانت في الأيام الفاطمية ثمان حارات خارج باب الفتوح أولها الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدم ذكرها ، وهي حارة حامد ، والمنشأة الكبيرى ، والحارة الكبيرة ، والمنشأة الصغيرة ، وحارة عيد الشراء ، والحارة الوسطى ، وسوق الكبير بمصر ، والوزيرية ، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والسُجَّان وعيد الشراء .

قال ابن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس ، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين قَدِمُوا في أيام الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر ، فتركوا هذه الأمكنة وأستوطنوها فسميت بهم ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنوا بها الأبنية العظيمة والآدُر الضخمة .

قال ابن عبد الظاهر : هي أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه في زمانه ، ولكنها قد خربت في زماننا هذا ، وانتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القاعة بصلية الجامع الطولوني ونحوها . وبنى بهاء الدين قراقوش خاناً للسبيل تنزلة المآزة وأبناء السبيل فعرف خطه به . (ومنها) "الحنق" خارج الحسينية بالحنق ، كان عنده خندق أحفره العزيز بالله الفاطمي وكان الميز قد أسكن المغاربة هناك في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة حين تبسطوا في القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر منادياً ينادى لهم كل ليلة : من بات منهم في المدينة أستحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطباله" منسوبة لإمرأة مغنية أسمها نَسَب ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية للسننصر الفاطمي وأسمه مَعَد .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد في نوبة الباسيري قريب السنة غتته نَسَب هذه :

يَا بَنِي الْبَاسِ صُوتُوا * قَدْ وَلى الْأَمْرَ مَعَدُّ

مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارَا * وَالْعَوَارِي تُسَرَّدُ

فوهبها هذه الأرض في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فحكوت وبنيت أدرا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبعثتها ، وفيها يقول ابن سعيد المغربي :
جائسا بين القُرط الذي تراه الدواب والقُرط الذي يكون في الأذن .

مضى الله أرضاً كلما زُرْتُ رَوْضَهَا ، كَسَاها وحَلَّاهَا بزِينته الثُّرُطُ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا والمِيَاءُ عَفُودُهَا ، وفي كُلِّ قُطْرٍ من جوانبها قُرُطُ
(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ابن عبد الظاهر : ذكر لي عَلمُ الدين بن مَتَّى
أنه في كتب الأملاك القديمة يسمى بالمرثاجية .

(ومنها) "المقس" قال القضاة في "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأَمِ دِينٍ ،
وكان العاشر الذي يأخذ المَكْسَ يقعد بها لاستخراج المال ، فقبل للمكس بالكاف
ثم أبدلت الكاف في الألسنة قافا .

قال ابن عبد الظاهر : ومن الناس من يقول فيه المَقْسِم لأن قسمة الغنائم
في الفتوح كانت فيه . قال : ولم أَر ذلك مسطورا ، وكانت الدكة من نواحيه
بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسر أتى إليه في البر الغربي من الخليج
في مركبه ويدخله بمفرده فيسقي منه فرسه ، ثم يخرج إلى قصره على ما سياتي ذكره
في الكلام على ترتيب الملكة في الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .

قال ابن عبد الظاهر : والدكة الآن أَدْرُ وحارات شهرتها تقني عن وصفها
فسبحان من لا يتغير .

قلت : وقد تحرب أكثر تلك الأدْر والحارات حتى لم يبق منها إلا الرسوم ،
وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "ميدان القمح" كان قديما بستانا سلطانيا يسمى بالمَقْسِي يدخل الماء
إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكر الذي بناه كلثوم الاخشيدى ، ثم أمر الظاهر
الفاطمي بنقل أنشابه وجفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة ، وأبقى الخليج المذكور
مسلطا على البركة ليستنقع الماء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية ، وهُجرت
رُسومها القديمة في الصرح في اللؤلؤة وغيرها ، بنت السودان المعروفون بالطائفة

الْقَرْحِجَةِ السَّاكُونَ بِالْمَقَسِّ عِنْدَ ضَيْقِهِ عَلَيْهِمْ قُبَالَةَ التَّلْؤُؤَةِ حَارَةً سَمِيَتْ حَارَةً
الْأَبْصُوصِ بِسَبَبِ تَعْتِيهِمْ فِيهَا مَعَ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ تَنَقَّلَتْ بِهَا الْحَالُ حَتَّى صَارَ عَلَى مَا هُوَ
عَلَيْهِ الْآنَ .

(ومنها) ”بِرَأْسِ التَّبَانِ“ غَرْبِيَّ خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ ، وَيَنْسَبُ إِلَى ابْنِ التَّبَانِ رَئِيسَ حِرَاقَةِ
الْخِلَافَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ الْفَاطِمِيَّ قَدْ أَمَرَ بِالْعَارَةِ قُبَالَةَ الْخَرْقِ غَرْبِيَّ الْخَلِيجِ ،
فَأَقُولُ مِنْ عَمْرِهِ بِأَبْنِ التَّبَانِ الْمَذْكُورِ ، أَنَّهُ بَعْدَ مَسْجِدِ وَبَسْتَانَا وَدَارَا فَعُرِفَتْ الْخِلَاطَةُ
بِهِ إِلَى الْآنَ .

(ومنها) ”خَطُّ اللَّوْقِ“ وَهُوَ خَطٌّ قَدِيمٌ مَتَسِعٌ يَتَنَبَّهُ إِلَى الْمِيدَانِ الْمَعْدِ لِرُكُوبِ السُّلْطَانِ
عِنْدَ وِفَاةِ النَّيْلِ ، قَدْ عُمِّرَ بِالْأُبْنِيَّةِ وَسَكَنَهُ رَعَاةُ النَّاسِ وَأَوْبَاشُهُمْ وَالْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ
الْآنَ بِيَابِ اللَّوْقِ جَزْءٌ مِنْهُ .

(ومنها) ”رِكَّةُ الْفِيلِ“ وَهِيَ رِكَّةٌ عَظِيمَةٌ مُتَّسِعَةٌ جَنُوبِيَّ سُورِ الْقَاهِرَةِ عَلَيْهَا الْأُبْنِيَّةُ
الْعَظِيمَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ بِهَا .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَتَنْسَبُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُولُونٍ يَعْرِفُ بِالْفِيلِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَعِيدِ الْمَغْرِبِيِّ :

أَنْظُرْ إِلَى رِكَّةِ الْفِيلِ الَّتِي آكَتْكَتْ * بِهَا الْمَنَاطِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَصِيرِ
كَأَنَّهَا هِيَ وَالْأَبْصَارُ تَرْفَعُهَا * كَوَاكِبٌ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى الْقَمَرِ

(ومنها) ”خَطُّ الْجَامِعِ الطُولُونِيِّ“ مِنَ الصَّلَیَّةِ وَمَاوَالِهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
خَطِّ طِيقِ الْقُسْطَاطِ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ كَانَتْ مَنَازِلَ لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ وَعَسْكَرِهِ ، وَالْجَبَلِ
الَّذِي فِي جَانِبِهَا الْبَحْرِيَّ يَعْرِفُ بِجَبَلِ يَسْكَرٍ ، وَعَلَيْهِ بِنَاءُ الْجَامِعِ الطُولُونِيِّ الْمَذْكُورِ ،
وَأَسَمَتْهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَلِيهَ قَصُورًا جَاءَتْ فِي نَهَايَةِ
الْحَمْسَنِ وَالْإِثْنَانِ ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالْكَثْبَشِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْكُنُهَا أَكْبَرُ الْأَمْرَاءِ إِلَى أَنْ

تَحَرَّبَهَا الْعَوَامُ فِي وَقْعَةِ الْجَلْبَانِ قَبْلَ السَّبْعِينَ وَالسَّبْعِينَ وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ،
وَقَدْ شَرَعَ النَّاسُ الْآنَ فِي اسْتِحْكَارِ أَمَا كُنْهَا لِلْعَامَةِ فِيهَا فِي حُلُودِ سَنَةِ ثَمَانِمِائَةٍ .

(ومنها) "خط حارة المصامدة" وتنسب لطائفة المصامدة من البربر الذين قِيمُوا
مَعَ الْمُعَزِّمِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ الْمُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ الْمُصمودي ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ بْنُ
الْبَطَّانِيّ وَزِيرُ الْأَمْرِ قَدْ قَتَعَهُ وَتَوَّهْ بِذِكْرِهِ ، وَسَلَّمْ إِلَيْهِ أَبْوَابَهُ لِيَلِيَتْ طَلْعًا ، وَأَضَافَ
إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ .

(ومنها) "الحلالية" قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَظُنُّهَا الْحَارَةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطَّانِيّ
خَارِجَ الْبَابِ الْجَنُودِيِّ الَّذِي بَنَاهُ الْحَاكِمُ بِالْشَّارِعِ عَلَى يَسْرَةِ الْخَارِجِ مِنْهُ لِلْمَصَامِدَةِ لِمَا
قَدَّمَهِمْ وَتَوَّهْ بِذِكْرِهِمْ ، وَحَذَرَ أَنْ يَبْنِيْ بَيْنَهُمَا بَرْكَةً الثَّقِيلِ حَتَّى صَارَتْ هَذِهِ الْحَارَةُ
مُشْرِفَةً عَلَى شَاطِئِ بَرْكَةِ الثَّقِيلِ إِلَى بَعْضِ أَيَّامِ الْحَافِظِ .

(ومنها) "المتحجية" قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : بَلَغَنِي أَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ لِشَخْصٍ فِي الدَّوْلَةِ
الْفَاطِمِيَّةِ يَعْرِفُ بِمُتَحَجِّجِ الدَّوْلَةِ .

(ومنها) "اليانسية" قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَظُنُّهَا مَنْسُوبَةٌ لِيَانِسَ وَزِيرِ الْحَافِظِ ،
وَكَانَ يُلقَّبُ بِأَمِيرِ الْجِيُوشِ سَيْفَ الْإِسْلَامِ ، وَيَعْرِفُ بِيَانِسَ الْفَاصِدِ لِأَنَّهُ قَصَدَ حَسَنَ
ابْنِ الْحَافِظِ ، وَتَرَكَ مَحَلَّوْلَ الْقَصَادَةِ حَتَّى مَاتَ .

قَالَ : وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَسْمِهِ يَانِسَ الْعَزِيزِيّ ، وَالْيَانِسِيَّةُ جَمَاعَةٌ كَانُوا فِي زَمَنِ الْعَزِيزِ
بِاللَّهِ ، وَمِنْهُمْ يَانِسُ الصَّقْلِيُّ ، وَنِسْبَةُ هَذِهِ الْحَارَةِ مُحْتَمَلَةٌ لِأَنَّ تَكُونُ لِكُلِّ مِنْهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ
ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ عِدَّةَ حَارَاتٍ كَانَتْ لِلْجُنْدِ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ غَيْرِ مَا لَعَلَّهُ ذَكَرَهُ مُرَدًّا ،
مِنْهَا مَا هُوَ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ حَارَةُ حَلَبِ وَالْحَبَانِيَّةِ . وَمِنْهَا مَا لَيْسَ كَذَلِكَ وَهُوَ
الشُّوْبُكُ ، وَالْمَأْمُونِيَّةُ ، وَالْحَارَةُ الْكُبْرَى ، وَالْمَنْصُورَةُ الصَّغِيرَى ، وَحَارَةُ أَبِي بَكْرٍ .



وأما جوامعها فأقدمها (الجامع الأزهر) بناه القائد جوهر بعد دخول مولاه المعز إلى القاهرة وإقامته بها ، وفرغ من بنائه وجمعت فيه الجمعة في شهر رمضان لسبع خلون من سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، ثم جدد العزيز المعز فيه أشياء وعمر به أما كن ، وهو أول جامع عُمر بالقاهرة .

قال صاحب "نهاية الأرب" : وجدته العزيز المعز ، ولما عمّر الحاكم جامعه قل الخطبة إليه وبقي الجامع الأزهر شاغرا ، ثم أُعيدت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعة في ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة في سلطنة الظاهر بيبرس ، وتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدرا .

قال ابن عبد الظاهر : سمعت جماعة يقولون إن به طلسم لا يسكنه عصفور .

الجامع الثاني

(الجامع الحاكمي)

بناه الحاكم الفاطمي على القرب من باب الفتوح وباب النصر ، وفرغ من بنائه في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن ، وكان هو خارج القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأولان .

ثم قال : وفي سيرة العزيز أنه أخط أساسه في العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وفي سيرة الحاكم أنه أبتدأه بعض الوزراء وأتمه الحاكم ؛ وعلى البدنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت في زمن المستنصر في أيام أمير الجيوش سنة ثمانين وأربعمائة ، ثم استولى عليها من ملكها والزيادة التي إلى جانبه بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها ، ثم ثبت في الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها محراباً، فأثرت من هي معه وأضيفت للجامع، وثني بها ما هو موجود الآن في الأيام المعزية أليك التركاني ولم تسقف .

الجامع الثالث

(الجامع الأحمر)

بناه الأمر الفاطمي بوساطة وزيره المأمون بن البطاحي ؛ وكل بناؤه في مسنة تسع عشرة ونعمائة ؛ ويذكر أن أسم الأمر والمأمون عليه .
قلت : ولم يكن به خطبة إلى أن جدد الأمير يثا السالمى : أحد أمراء الظاهر برقوق عمارته في سنة إحدى وثمانمائة وربّ فيه خطبة .

الجامع الرابع

(الجامع بالمقصر بباب البحر، وهو المعروف بالجامع الأسود)

بناه الحاكم الفاطمي أيضاً في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

الجامع الخامس

(الجامع الظافري، وهو المعروف الآن بجامع الفكاكين^(١))

بناه الظافر الفاطمي داخل باب زويلة في سنة ثلاث وأربعين ونعمائة، وكان زربية للكباش، وسبب بنائه جامعاً أن خادماً كان في مشرف على الزربية فرأى ذبائحاً وقد أخذ رأسين من النعم فذبح أحدهما ورعى سيكنته ونهب لقضاء حاجة له، فأتى رأس النعم الآخر فأخذ السكين بضمه ورمأها في البالوعة، وجاء الذبائح فلم يجد السكين، فاستصرخ الخادماً وخلصه منه، فوفت القصة إلى أهل القصر فأمرُوا بهارته .

(١) في خطط المقرئى "الفكاكين".

الجامع السادس

(الجامع الصالحى)

بناء الصالح طلائع بن رزيك وزير الفاتر والعاقد من الفاطميين خارج باب
 رُوَيْلَة ، بقصد قتل رأس الحسين عليه السلام من عَسْقلانٍ إليه ، عند خوف هجوم
 الفريج عليها ، فلما فرغ منه لم يَمَكِّنْهُ الفاتر من ذلك ، وأَبْقَى له المشهد المعروف بمشهد
 الحُسَيْن بجوار القصر ، ونقله إليه في سنة ثَمَع وأربعين وخمسمائة ؛ وبْنَى به صِهْرِيما
 وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب الخرق .
 ولم يكن به حُطْبَة ، وأوّل ما أقيمت الجمعة فيه في الأيام المُعْزِيَة أَيْك التُّرْكِيَّة
 في سنة اثنتين وخمسين وسمائة ، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسْعِدِي ؛
 ثم كَثُرَت عمارة الجوامع بالقاهرة في الدولة التركية خصوصا في الأيام الناصرية
 محمد بن قلاوون وما بعدها ، فعمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة : بجامع
 المارديني وجامع قُوصُون خارج باب رُوَيْلَة وغيرهما من الجوامع ، وأقيمت
 الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصَّغَار المتفرقة في الأخطاط لكثرة الناس
 وضيق الجوامع عنهم .



وأما مدارسها ، فكانت في الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود بل تكاد أن
 تكون معدومة ، غير أنه كان بجوار القصر دار تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور ،
 كان داعي الشيعة يجلس فيها ، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة
 بمذهبهم ، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التي وقفها على الجامع الأزهر وجامع
 القس وجامع راشدة ؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لاجتماع الناس
 فيها والنحوض في المذاهب خوفا من الاجتماع على المذهب التتاري ؛ ثم أعادها الأمر

بواسطة خُدام القصر بشرط أن يكون مُتَوَلِّيًا رجلاً ديناً والهادى هو الناظر فيها ، ويقام فيها متصِّتُونَ يرسم قراءة القرآن .

وقد ذكر المسبحى فى تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله فى حله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبني لهم داراً بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حَقَّقُوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا فى الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيس الحلقة والملقى عليهم إلى وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين قرا . ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت القائمة لباب الخير ، والفارسة لشجرة الفضل ، فأبقي الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر دار الحديث الكاملية (بين القصرين فى سنة اثنتين وعشرين وستائة ، وقررها مذاهب الأئمة الأربعة وخطبة ، وبقي إلى جانبها خراب حتى بُنى أدرا فى الأيام المُعزِّية أيبك التُّركمانى فى سنة تسعين وستائة ، ووُفِّى على المدرسة المذكورة ، وبُنى من بِنَى من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأوهذه ، وشُتِن بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت على ذلك وزادت عليه ، فأبقي الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم أبقي المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيارستانه الآتى ذكره وجعل قبائلاً ثرية سنية .

ثم أبقي الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيارستان المذكور . ثم أبقي الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت القلعة ، وهى التى لم يُسبق إلى مثلها ، ولا سمع فى مصر من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد فى القدر على إيوان كسرى بأندرج .

ثم أبقي أبْنُ أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصوَّة تحت

القلعة ومات ولم يكملها، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التي أنشأها بالحوش بقلعة الجبل، ولم تهذ مدرسة قُصِدَتْ بالهدم قبلها .

ثم آتَى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملة بقاءً في نهاية الحسن والعظمة ، وجعل فيها خطبة ، وقرر فيها صوفية على عادة الخواص ودروساً للآخرة ، فتعاضى فيها ضخامة البناء ، ونظم الشعراء فيها ، فكان مما آتَى به بعضهم من أبيات :

وَبَعْضُ خُدَامِهِ طَوْعًا خَلَعَتْهُ * يَدْعُو الصُّخُورَ قَتَائِهِ عَلَى تَجَلٍّ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى ، فأقترح على بعض الأكابر نظم شيء من هذا المعنى فنظمت أبياتاً جاء منها :

وَبِالْخَلِيلِ قَدْ رَاجَتْ عِمَارَتُهَا * فِي سُرْعَةٍ بَيِّنَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلٍ
كَمْ أَظْهَرَتْ تَجَبُّجًا أَسْوَاطَ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَبَتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلٍ
وَكَمْ صَوَّرَتْ تَحَالُلَ الْخَلْقِ تَقْلُهَا * فَإِنَّهَا بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالْعَجَلِ

وفي خلال ذلك آتَى أكابرُ الأمراء وغيرهم من المدارس ماملأ الأخطاط وشحنها .



وأما الخواص وألُحُطُّ ، فما لم يمهّد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المبكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فأبْتَنَى (الخلقاقه الصلاحية) المعروفة بسميد السعداء ، وسعيد السعداء لقب لخادم للسقنصر الفاطمي اسمه قنبر كانت الدار له ، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رزيك ، ولما ولي الوزارة فتح من دار الوزارة إليها سِرْدَابًا تحت الأرض ، وسكنها شاور

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خافاه ، ووقف عليها قيسارية الشرب داخل القاهرة ، وبستان الحبابية بزقاق البركة .



وأما مساجد الصلوات الخمس ، فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلون .



وأما البيارستان ، فقال القاضى محي الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيارستان كان أولا بالقشاشين يعنى المكان المعروف الآن بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها المأمون بن البطائى وزير الأمر قبالة البيارستان المذكور ، وقرر دور الضرب بالإسكندرية وقوص وصو وعسقلان ، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وأستولى على القصر ، كان فى القصر قاعة بناها العزيز بن المعز فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيارستانا : وهو البيارستان العتيق الذى داخل القصر ، وهو باقى على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسم لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيارستانا .

قال القاضى محي الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و... .. (١) ... مائة فقالوا صحيح .

ثم أتى السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله دارست الملك أخت الحاكم ، المعروفة بالدار القطبية بيارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علم الدين

الشجاعي ، وجعل من داخله اندرة المنصورية والتربة المتقدم ذكرهما فيق معالم بعض الدار على ما هو عليه ، وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذي ليس له نظير في الدنيا . ونظرة رتبة سنية يتولاه الوزراء ومن في معانهم .

قال في "مسالك الأبصار" : وهو الجليل المقدار ، الجليل الآثار ، الجليل الإيثار ، لعظيم بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسعة إيفاقه ، وتنوع الأطباء والكهالين والجراحية فيه .

قلت : ولم تزل القاهرة في كل وقت تترايد عمارتها ، وتجدد معالمها ، خصوصا بعد خراب القسطنطين وانتقال أهله إليها على ما تقدم ذكره حتى صارت على ما هي عليه في زماننا : من القصور العلية ، والدور الضخمة ، والمنازل الرحيبة ، والأسواق الممتدة ، والمناظر التزهة ، والجوامع البهجة ، والمدارس الراقصة ، والحدائق الفاخرة ، مما لم يُسمع بمثلها في قُطر من الأقطار ، ولا عُهد نظيره في مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالأجر ، وجوامعها ومدارسها وبيوت رؤسائها مبنية بالحجر المنحوت ، مفروشة الأرض بالرخام ، مؤزرة الحيطان به ، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة ؛ وكلها أو أكثرها مِيصَّة الجُدر بالكلس الناصع البياض ، ولأهلها القوة العظيمة في تعلية بعض المساكن على بعض حتى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض ، في كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها ومراقفها ، وأسطحة مقطعة بأعلاها يهندسة محكمة ، وصناعة عجبية .

قال في "مسالك الأبصار" : لا يرى مثل صنائع مصر في هذا الباب ، وبظاهرها البساتين الحسان ، والمناظر التزهة ، والأدر المظلة على النيل ، والخلجان الممتدة منه ومن مده ، وبها المستترهات المستطابة ، خصوصا زمن الربيع لغدرانها الممتدة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختطفة وأزهارها المائسة التي تسر الناظر وتبهج الناظر .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون برا وبحرا أنه لم يكن أحسن منها منظرًا ، ولا أكثر ناسا ، وإليها يُجلب ما في سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزيّ عجيب ؛ وملكها ملكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزيّ لا يمانئه في زيّه ملك من ملوك الأرض ؛ وأهلها في رفاهية عيش وطيب مأكل ومشرب ؛ ونساؤها في ثاية الجبال والظرف .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني غير واحد ممن رأى المند الكبار أنه لم ير مدينة أجمع فيها من الخلق ما أجمع في القاهرة .

قال : وسألت الصدر مجد الدين إسماعيل عن بغداد وتوريز هل يجمعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : في مصر خلق قدر من في جميع البلاد .

قال في "التعريف" : (والقاهرة اليوم أم الممالك ، وحاضرة البلاد ، وهي في وقتنا دار الخلافة ، وكرسي الملك ، ومنبع الحكمة ، ومحط الرجال ، ويتمها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائي المكان ، بعيد المدى ، يقع لنا من أخباره ما نتكبره ، ونسمع من حديثه ما لا نألفه .

قال : وكان يحق لنا أن نجعل كل النطق بالقاهرة دائرة ، وإنما نفرد بها أشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأهم كل مملكة نطاقها ، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرها مصب تلك الخلق .

قال في "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سيخة ، ولذلك يسجل الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن الميز لأم القائد جوهر ا على بناتها في هذا الموضع ، وترك جانب النيل عند المقدس أو جنوبي القسطنطينية حيث الرصد الآن .

القاعدة الثالثة

(القلمة)

بفتح القاف، ويعبر عنها بقلمة الجبل، وهي مقرّة السلطان الآن ودار مملكته . بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والقُسطاط، وما يليه من القرافة المتصلة بمارة القاهرة والقرافة^(١)، وطولها وعرضها على ما تقدم في القُسطاط أيضا، وهي على نشر مرتفع من قطائع الجبل المقطم، ترتفع في موضع وتخفض في آخر .

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجد من بناء الفاطميين : منها مسجد رديني الذي هو بين آدر الحريم السلطانية .

قال القاضي عجي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : عرض على الملك الكامل إمامته، فأمتنعت لكونه بين آدر الحريم . ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمه الله، ويقال : إن أبنه الملك العزيز سكنها مدة في حياة أبيه، ثم انتقل منها إلى دار الوزارة .

قال القاضي عجي الدين بن عبد الظاهر : قال لي والدي رحمه الله : كنا نطلع إليها قبل أن تُسكن في ليالي الجمع نبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة . وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب انتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة، وأستقرت بعده سكنا للسلطين إلى الآن . ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاح الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه العادل أبو بكر، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلمة بُنيت لأولادك، فقل ذلك على العادل وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه - فقال : لم تفهم غنى

(١) لله زائد أو سهو .

إنما أردت أنى أنا نجيب فلا يكون لى أولاد نجباء، وأنت غير نجيب فتكون أولادك نجباء فسررى عنه، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام، فأستتاب ولده الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .
 وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أول من سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، أحضل بامرها وآهت بمآرتها وعمر بها أبراجا، منها البرج الأحمر وغيره .

وفى أواخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة عمر بها السلطان الملك المنصور قلاوون برجا عظيما على جانب باب السر الكبير، وبني عليه مشرفات حسنة البنيان، بهجة الزخام، راقمة الزخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عمر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن، كلت بها معانيها، وأستحق بها القلعة على بنائها .

أحدها - القصر الأبقى الذى يحل بس به السلطان فى عامة أيامه، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصه، وقد أستجده به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاء الإصطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى - الإيوان الكبير الذى يحل فيه السلطان فى أيام المراكب لتقديم العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث - جامع الخطبة الذى يخطب فيه السلطان الجمعة، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذات سور وأبراج، فسيحة الأبنية، كثيرة العائر، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها .

أحدها - من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزها استطرافا .

والثاني - باب السر، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخوادم الدولة : كالوزير وكتاب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة : وهى بقية النثر الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعرج يمشى فيه مع جانب جدارها البحرى حتى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام الموابك ، وهذا الباب لا يزال مُغلقاً حتى ينتهى إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يخلق .

والثالث - وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس ، يتوصل إليه من أعلى الصوة المتقدم ذكرها ، يرقى إليه في درج متناسبة حتى يكون مدخله فى أول الجانب الشرقى من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبلى هذه الدركاه (دار النيابة) ، وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب ، و (قاعة الصباح) ، وهى التى يجلس بها الوزير وكتّاب الدولة ، و (ديوان الإنشاء) ، وهو الذى يجلس فيه كاتب السر وكتّاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) ، وسائر الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدركاه باب يقال له باب القلعة يدخل منه إلى دهايز فسيحة ، على يسرة الداخل منها باب يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدم ذكره ، وهو من أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظراً ، وأكثرها زخرفة ، متسع الأرباء ، مرتفع البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مُبَطَّنُ السُّقُوف بالذهب ، فى وسطه قبة يليها مقصورة يصلّى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هى والزواقات المشتملة عليها بشبابيك

من حديد محكة الصنعة ، يَحْفُ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مصطبةً يجلس عليها مقدم الممالك ، وعندها مدخل باب السر المتقدم ذكره ، وفي مجنبه ذلك ممر يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العمدة ، عليه شبابيك من حديد عظيمة الشأن محكة الصنعة ؛ وبصدره سرر الملك ، وهو منبر من رخام مرتفع ، يجلس عليه السلطان في أيام المواكب العظام لقدم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويقيم عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبقى المتقدم ذكره ، وينواحيها مصاطب يجلس عليها خواص الأمراء قبل دخولهم إلى الخلدسة ؛ ويدخل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبهة القدر ، يتوصل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاهق في الهواء ، به إيوانان في جهتي الشمال والجنوب ، أعظمهما الشمالي ، بطل منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتد النظر منهما إلى سوق الخليل والقاهرة والفسطاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما على ذلك من بلاد الجيزة والجليل وما إلى ذلك ؛ وبصدره منبر من رخام كالذي في الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحياناً في وقت الخدمة على ما يأتي ذكره .

والإيوان الثاني وهو القليل خاص بمخروج السلطان وخواصه منه ، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العامة ، ويدخل من القصر المتقدم ذكره إلى ثلاثة قصور جزائية : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير ، وأثنان مرفوعان ، يصعد إليهما بدرج ؛ في جميعها شبابيك من حديد تُشْرِفُ على ما يُشْرِفُ عليه القصر الكبير ، ويدخل من القصور الجزائية إلى دور الحريم وأبواب السور

السلطانية ؛ وهذه اقصور جميعها ظاهرها بالبحر الأسود والأصفر ، وداخلها مؤزر
بالرخام والقَصَّ المُنْهَبِ الشَّجَرِ الصَّفِّ وأنواع الملوّنات ، والسقوفُ المبطّنة
بالذهب والألّا زُورْدٌ مُخْرَقٌ لُضْوَةٌ ^(١) في جُدرانها بطاقات من الزجاج القُبْرِيّ الملوّن
كقطع الجواهر المؤلفة في العقود ، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار
الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار" : فأما الآدُر السلطانية فعلى ما سمع عندي خبره أنها ذوات
بساتين وأشجار ومناخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور النواجين .
وخارج هذه القصور طباق واسعة للمالك السلطانية ، ودور عظيم لخوّاص
الأمرءاء من مقدّمى الألوّف ، ومن عظم قدره من أمرءاء الطَّبَعَانَاهُ والعشيرات ،
ومن خرج عن حكم الخلاصكية إلى حكم البرانيين .

وبها بيوت ومسكن لكثير من الناس ، وسوق للأكل ؛ ويبيع بها النّفيس من
السلاح والقماش مع الدلائل يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل برّ ماء معين متقوبة
في الحجر ، احتفروا بهااء الدين قراقوش المتقدم ذكره حين بناء القلعة ، وهى من أعجب
الآبار ، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار ، وتقلّ الماء في وسطها ، وبوسطها سواق
تدور فيها الأبقار أيضا وتقلّ الماء إلى أعلاها ؛ وطأ طريق إلى الماء ينزل البقر
فيه إلى مغنيها في مجاز ، وجميع ذلك تحث في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنها لما
تقرت ، جاء ماؤها عذبا فأراد قراقوش أو توابه الزيادة في ماؤها فوسع قرا في الجبل ،
فخرجت منه عين مالحه غيرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسامت أرض

(١) في القرزى هكذا [وقد مَوَتْ بالازورد والتور يخرق في جدرانها الخ] .

بركة القيل ؛ وهذه البئر ينفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شربهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بأروايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل في المجارى ، بالسواقى الثقافات والدواليب التى تديرها الأبقار وتنقل الماء من مقر إلى آخر حتى يتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والأدور فى ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد استجده السلطان الملك الظاهر برقوق بهذه القلعة صهرىما عظيما يملأ فى كل سنة زمن النيل من الماء المنقول إلى القلعة من السواقى الثقافات ، ورتب عليه سبيلا بالدركاه التى بها دار النياحة تسمى فيه الماء وحصل به للناس رفق عظيم .

وتحت مشترف هذه القلعة مما على القصور السلطانية ميدان عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، ممزوج بالتجمل الأخضر ، فسيح المدي ، يسافر النظر فى أرجائه ؛ به أنواع من الوحوش المستحسنة المنظر ، وتربط به الخواص من الخيول السلطانية للتفسيح ، وفيه يصلى السلطان العيدين على ماسياتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقدّم والمشتري ، وربما أطمع فيه الجوارح السلطانية ؛ وإذا أراد السلطان التزول إليه خرج من باب ليوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راجبا وخواص الأمراء فى خدمته مشاة ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر فى "خططه" : وكان هذا الميدان وما حوله يعرف قديما بالميدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التى يسكنها ، والإماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدم ذكره فى خطط القسطنطين ، ولم يزل كذلك حتى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هذا الميدان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقى الثَّلاث من النيل إليه ، وعمر إلى جانبه ثلاثَ رِكَّ تَلاَ لِسقيهِ ؛ ثم تعطل في أيامه مَنَّةٌ ، ثم أهتم به الملك العادل ولده ، ثم أهتم به الصالح نجم الدين أيوب أهتماما عظيما ، وجتد له ساقية أخرى ، وغرس في جوانبه أشجارا فصارت في نهاية الحسن . فلما توفى الصالح ثلاثين حالة إلى أن هُدم في سنة خمسين وستائة ، أو سنة إحدى وخمسين في الأيام المُعَرَّية أَيْك التركياني ، وهُدمت السواقى والقناطر وعَفَّت آثارها ، وبقي كذلك حتى عمَّره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورَصَّفه أبدع تصيف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما المَبْنَى السلطاني الذي يُحِطُّ اللوق ، وهو الذي يركب إليه السلطان عند وفاء النيل لِلْعِب الكَرَةِ ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطَّوارق على بابهِ كما تُشَبَّ على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطَّوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعائة ؛ وسيأتى الكلام على كيفية الركوب إليه في المواكب في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والقلعة التي بالروضة تَهْدَم الكلام عليها [في الكلام] على خُطَط القُسَاط .



ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويلتحق بها القِرافَةُ التي هي مَدَفَن أمواتها ، وهي تربة عظيمة ممتدة في سفح المَقْطَم ، موقعها بين المقطم والقُسَاط وبعض القاهرة ، تمتد من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذة في جهة الجَنُوب إلى بركة الحبش وماحولها . وكان سبب جعلها مقبرة ما رواه ابن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ،

فكتب إليه عمر : أن سلّه لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تززع ولا يستنبت بها ماء ولا يتفّع بها ؛ فسأله ، فقال : إنا نجد صفتها في الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك ، فكتب إليه عمر : "إني لا أرى غراس الجنة إلا المؤمنين فأقبرها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعها بشيء" فقال المقوقس لعمر : ما على ذا عاهلتنا ، قطع لم قطع تدفن فيها النصارى ، وهي التي على القرب من بركة الحبش ؛ وكان أول من قبر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المأفري اسمه طمر ، قيل عمرت .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر على سفح المقطم في سياحته ومعه أمه ، قال : "يا أمّاه ! هذه مقبرة أمّة عدى الله عليه وسلم" . وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كما خوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسية امرأة فرعون ، ومشاهد جحاة من أهل البيت والصحابه والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء .

وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البهجة ، والقصور البديعة ، يترج الناظر في أرجائها ، ويتعج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والأربط والخوانق ، وهي في الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في ذكر كور الديار المصرية ؛ وهي على ضربين)

الضرب الأول

(في ذكر كورها القديمة)

وقد جعلها القضاة في "خططه" ثلاثة أحياز ، وتشتمل على خمس وخمسين كورة ، إلا أنه ذكرها مرّدا غير مبيّنة ولا مرّبة ، وقد أوردتها هنا مبيّنة مرتبة ،

ونَهتُ على ما هو مستمر منها على حكمة ، وما تفسر حكمة بإضافته إلى غيره من الأعمال المستمرة مع بقاء أسمائه ، ومادرس اسمه ونسبي ، أو تغير ولم تعلم له حقيقة .

الحيز الأول

(أعلى الأرض ، وهو الصعيد)

والمراد ما هو من كورها جنوبى القُسطاط إلى نهايته فى الجنوب ، وسمى صعيدا لأن أرضه كُتُبا ولبحت فى الجنوب ، أخذت فى الصعود والأرتفاع .

وقد ذكر القضاعى فيه عشرين كورة :

الأولى - (كورة الفيوم) وهى كورة باقية مستمرة الحكم إلى الآن ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستمرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الثانية - (كورة منبى) ومنبى هى مدينة مصر القديمة المتقدمة الذكر ، التى بناها مصرين بيصرين حام بن نوح طيه السلام . وقد تقدم أنها على اثنتى عشرين ميلا من القُسطاط فى جنوبية على القرب من البلدة المعروفة الآن بالبندرشين .

الثالثة - (كورة وسم) ووسمى بفتح الواو وكسر السين المهمل وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر . بلدة من عمل الجيزة معروفة ، والثابت فى النواوين أوسم بزيادة ألف فى أولها وسكون الواو .

الرابعة - (كورة الشرقية) وكان المراد بها عمل إطفح الآن إذ هو شرق النيل وليس بالوجه القليل عمل مستقل شرق النيل سواء .

الخامسة - (كورة دلاص وبوصير) أما دلاص فبدل مهمل مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهمل قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية ، وبها كان مجتمع بحرة مصر . وأما بوصير فالمراد هنا بوصير قوريدس التى قتل بها

مَرْوَانَ الْحِمَارَ : آخر خلفاء بني أمية ، ودَلَّاصٌ وبُوصِيرٌ هذه كلامها الآن من عمل البهنسئى ، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرة .

قال فى "الروض المطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقدس من أرض الشام على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الإيمان فى أوائل الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة - (كُورَةُ أَهْنَسَ) وَأَهْنَسُ بفتح الهيمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر ، وتعرف بأهْنَسُ المدينة ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن من جملة عمل البهنسئى الآتى ذكره فى الأعمال المستقرة .

السابعة - (كُورَةُ الْقَيْسِ) وَالْقَيْسُ بفتح القاف وسكون الباء المثناة تحت وسين مهملة فى الآخر ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن قرية معدودة من عمل البهنسئى أيضا .

الثامنة - (كُورَةُ الْبَهْنَسِ) وهى ذات عمل مستقر ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة - (كُورَةُ طَعَا وَحَيْرَ شُنُودَ) . أما طَعَا فبفتح الطاء والهاء المهملتين وألف فى الآخر ، كانت فى القصبين مدينة ذات عمل ، ولذلك تعرف بطَعَا المدينة ، وهى الآن من عمل الأئمة الآتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرة ، وإليها ينسب أبو جعفر الطحاوى إمام الحنفية ومعتهم .

وأما حَيْرَ شُنُودَ ، فمن الأسماء التى دَرَسَتْ ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة - (كُورَةُ بُوَيْطَ) قال ابن خَلِّكَانَ : بُوَيْطَ بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر . وقال فى "تقويم البلدان" ^(١)

(١) نص ياقوت على النبطين وقال أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة في أوله وباء ساكنة ، وهو أسم واقع على بلدين بالديار المصرية :
 إحداهما بعمل البهنسى في لحف الجبل على طريق المازة، وإليها ينسب أبو يعقوب
 البُوَيْطَى : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والثانية من عمل
 سُيُوط وتعرف بِبُيُوط البينة، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .
 الحادية عشرة - (كُورَةُ الْأَشْمُوثِيِّينَ وَأَنْصَبَا وَشُطَب) . أما مدينة الْأَشْمُوثِيِّينَ ، فذات
 عمل مستقر، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
 وأما أَنْصَبَا ، فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح المهملة وسكون النون وكسر الصاد
 المهملة وفتح النون وألف في الآخر، وهي مدينة قديمة خرابٌ في البر الشرقي من
 النيل قِبالة الْأَشْمُوثِيِّينَ .

وقد ذكر ابن هشام في السيرة : أن مَارِيَةَ الْقَيْطِيَّة التي أهلها المَقْوِسُ للنبي صلى
 الله عليه وسلم من كُورَتِهَا من قرية يقال لها حَقْنٌ ، وأنصبا الآن من جملة عمل
 الْأَشْمُوثِيِّينَ .

وأما شُطَبٌ ، فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة في الآخر،
 وهي مدينة قديمة بنيت في زمن شتاد بن عديم أحد ملوك مصر بعد الطوفان
 قد خربت وعُمر عليها قرية صغيرة سميت بأسمها، وهي الآن من جملة عمل سُيُوط
 الآتي ذكره في الأعمال المستقرة .

الثانية عشرة - (كُورَةُ سَيُوط) وهي مستقر الحكم، وسيأتي ذكرها في الأعمال
 المستقرة .

الرابعة عشرة - (كُورَةُ قَهْقُوه) وهي من الأسماء التي درست ونُسيت، ولم أطم
 بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الاسم .

الخامسة عشرة - (كورة إبحم والذير وأنشاية) : أما كورة إبحم، فمن الكور المستقرة الحكم، وسيأتى الكلام عليها فى الكور المستقرة .

وأما الدير، فيجوز أن يكون المراد به الذير والبلاص ، وهى بلدة فى شرق النيل شمال قنا، هى الآن من عمل قوص الآتية الذكر .

وأما أنشاية، فمن الأسماء التى جهلت .

السادسة عشرة - (كورة هو ودندرة وقنا) : أما هو، فبضم الهاء وسكون الواو، وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربى الجنوبى من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر، فيقال هو والكوم الأحمر .

وأما دندرة، فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة تحارب على الساحل الغربى الجنوبى من النيل فى شرق هو، وبها كانت البراة العظيمة المتكلم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .
وأما قنا، فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة شرق النيل وبها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القنائى ، المعروف بالبركة وإجابة اللطاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستقرة .

السابعة عشرة - (كورة قفط والأقصر) . أما قفط، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقى من النيل جنوبى قنا المقدمة الذكر، بناها قفط بن قبطيم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام أحد ملوك مصر بعد الطوفان، فخرت وبقيت آثارها وعمرت على القرب منها مدينة صغيرة سميت باسمها .

(١) فى ياقوت قفط بن مصر ... ثم قال وأصله فى كلامهم قفط ومصرم ولكن القى فى القريزى نحو ما فى الأصل .

وأما الأقصر، فبضم الهززة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة في الآخر، وتسمى الأقصرين أيضا على التثنية، وهي مدينة خراب بالبر الشرقي من النيل، قد حُمِر على القرب منها قرية سميت بأسمها، وبها ضريح السيد الجليل أبو النجّاج الأقصري، وكانت بها رِبة عظيمة تخربت، وأعلم أن بين فقط والأقصر مدينة قوص، وقد ذكر القضاة كورتها في جملة الكور، فكيف يستقيم أن تذكر فقط والأقصر كورة واحدة ؟ .

الثامنة عشرة - (كورة قوص) وهي مستورة الحكم، وسيأتي الكلام عليها في جملة الأعمال المستورة إن شاء الله تعالى .

التاسعة عشرة - (كورة أسنا وأرمنت) . أما أسنا،^(١) فيفتح الهززة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف في الآخر، وهي مدينة حسنة بالبر الغربي من النيل، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُحَّت نصر من مدن الديار المصرية سواها، وذلك أن أهلها هربوا منه إلى الجبل بالقرب منها فبعضهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما أرمنت، فيفتح الهززة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوق في الآخر، وهي مدينة صغيرة بالبر الغربي الشمالي من النيل بينها وبين أسنا مرحلة، وكلاهما الآن من عمل قوص، وقد جرى على الألسنة الجمع بينهما في اللفظ فيقال : أسنا وأرمنت، وكان ذلك لكثرة اجتماعهما في إقطاع واحد .

العشرون - (كورة أسوان) : وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستورة مع الأعمال القوصية إن شاء الله تعالى .

(١) ضبطه ياقوت بكسر الهززة .

الحيز الثاني (أسفل الأرض)

وقد ذكر القضاعى : أنها ثلاث وثلاثون كورة فى أربع نواحي .

الناحية الأولى

(كورة الحوف الشرقى، وبها ثمان كور)

الأولى - (كورة عين شميس) وعين شمس مدينة قديمة نراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقزة .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن ملكها كان عظيم الشأن، وعاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوج أبنته .

الثانية - (كورة أنريب) وأتريب مدينة نراب على القرب من بنها السمل من أعمال الشرقية الآتى ذكرها فى الأعمال المستقزة، بناها أنريب بن قبطيم بن منصر ابن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثالثة - (كورة بنأ ونمى) أما بنأ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة اسمها بنأ، وإنما بنأ بعمل الغربية، وسيأتى ذكرها مع بوضير هناك .

وأما نمى، فبضم الناء المثناة فوق وفتح الميم وياء مثناة تحت فى آخرها، وهى مدينة نراب بعمل المرتاجية، بها آثار عظام، رأيت فيها أبواباً من حجر صوان قطعة واحدة، ارتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صوان أيضاً .

الرابعة - (كورة بسطة) وبسطة بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملين وهاء فى الآخر، وهى مدينة نراب تعرف الآن بتل بسطة من عمل الشرقية .

الخامسة - (كورة طَرَايَة) وهى من الأسماء التى دُرست ولم تعرف .

السادسة - (كورة قُرَيْط) وهى من المجهول أيضا .

السابعة - (كورة صَان وإِيلِيل) وهى من المجهول .

الثامنة - (كورة الفَرَمَا والعَرِيش) . أنا الفَرَمَا، فقال فى "تقويم البلدان" :

هى بقاء وراء مهملته وميم مفتوحات ثم ألف ، وهى بلدة خرابٌ على شاطئ بحر الروم ، على بُعد يومٍ من قَطِيَّة . قال ابن حَوْقَل : وبها قبرُ جالينوس الحكيم .

وأما العَرِيشُ ، فبفتح العين المهملته وكسر الراء المهملته وسكون الياء المثناة تحت وشين معجمة فى الآخر ، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات جامعين مفترقِ البناء ، وثمار وفواكه .

قال فى "تقويم البلدان" : وهى الآن مَترلة على شَطِّ بحر الروم ، وبها آثار قديمة من الرُّنم وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها وبين قَدَس طريق مسلوطة فى البر .

الناحية الثانية

(بطن الريف)

وأصل الرِّيف فى لغة العرب موضع الزَّرْع والشجر، إلا أنه غلب بالديار المصرية على أسفل الأرض منها ، وفيها سبعُ كُور .

الأولى - (كورة بَنَّا وبُوصِير) . أنا بَنَّا ، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر ، وبُوصِيرُ تقدّم ضبطها فى الكلام على بوصير المعروفة بمصر يوسف بالجيزية عند ذكر قواعد مصر القديمة ، وبنا وبُوصِيرُ هذه كلاًهما من عمل الفريسة الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانية - (كُورَة سَمْنُودَ)، وسَمْنُودُ بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة في الآخر، وهي مدينة صغيرة من الأعمال القريبة، كان لها عمل مستقر في أول الأمر ثم أضيفت إلى عمل القرية .

الثالثة - (كُورَة نَوْسَا)، ونَوْسَا بفتح النون والواو والسين المهملة في الآخر، وهي الآن قرية من قُرَى المُرتاحية .

الرابعة - (كورة الأوسية)، وهي من الأسماء التي دُرست وجُهِلت .

الخامسة - (كورة البُجُوم)، بالباء الموحدة والجيم، وهي من الأسماء المندرجة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية اسمه البُجُوم إلا أرض أسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للياه المتصرفة عن البحيرة .

السادسة - (كُورَة دَقْهَلَة)، ودَقْهَلَة بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء في الآخر، وهي مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَة النيل المازة إلى دِمياط والفرقة التي تصب ببَحيرة تَنيس، واليهما ينسب عمل الدقهلية، وهي الآن قرية من عمل أشمون الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة، وإن كان العمل في الأصل منسوباً إليها .

السابعة - (كورة تَنيسَ ودِمياط)، أما تَنيس، فقال في اللُّباب: هي بكسر المثناة فوقى والنون المشددة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة في الآخر، والجارى على الأكنسة فتح التاء؛ كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحيرةً، وسيأتى الكلام عليها في الكلام على بُحيرتها، وهي الآن قرية صغيرة بوسط البُحيرة والماء يحيط بها .

قال في "الروض المعطار": وكلتُ تَرْبَتَها من أطيب التُّرب، وبها عُجْلاك الثياب النفيسة التي ليس لها نظير في الدنيا، وقد قيل: إن الحتين اللتين أخبر الله تعالى

عنهما في سورة الكهف بقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية ، كاتنا بِنْتَيْنِ .
وأما دِمِيَّاطُ ، فسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقزاة إن شاء الله تعالى .

الناحية الثالثة

(الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور)
الأولى - (كورة دُمَيْسَسَ وَمَنُوفَ) . أما دُمَيْسَسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وسين هملة في الآخر ، وهي الآن بلدة من عمل الغربية .
وأما مَنُوفَ فمن الأسماء التي أُسِيَتْ وجهلت .

الثانية - (كورة طَوَّةَ مَنُوفَ) ، وهي من الأسماء التي جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة اسمها طَوَّةَ غير بلدين بالوجه القبلي إحداهما بالأثُمُونِيْنَ ، والثانية بالهنساوية .

الثالثة - (كورة سَيِّحَا وَتَيْدَةَ وَالْفَرَّاجُونَ) . أما سَيِّحَا ، فبفتح السين المهملة وإلحاء المعجمة وألف في آخرها ، وهي بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم استقرت من عمل الغربية الآن .

وأما تَيْدَةَ ، فبفتح التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وفتح الدال المهملة وهاء في آخرها ، وهي الآن قرية من قرى الغربية .

وأما الْفَرَّاجُونَ ، فبالألف واللام في أولها ، ثم فاء مفتوحة وراء هملة مشددة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون في الآخر ، وهي بلدة مضافة إلى تَيْدَةَ ، فيقال : تَيْدَةُ وَالْفَرَّاجُونَ .

- الرابعة - (كورة بقيرة وديصا)، وهما من الأسماء التي نُسيت وجهلت .
الخامسة - (كورة البشرد)، وهي من الأسماء التي جهلت .

الناحية الرابعة

(الحوف الغربي، وفيها إحدى عشرة كورة)

الأولى - (كورة صبا)، وصا بصاد مهملة مفتوحة وألف في الآخر، وهي مدينة خراب شرق الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيسر بن حام ابن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية وسميت بأسمها، وكان عملها كان من البر الغربي .

الثانية - (كورة شباس) وشباس بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهملة أسم ثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهي شباس الملح، وشباس أنبارة، وشباس مستقر، وتعرف بـشباس الشهداء، وكان المراد الثالثة فإنها أعظمها .
الثالثة - (كورة البقون)، وهي من الأسماء التي درست وجهلت .

الرابعة - (كورة الخيس والشراك) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمى الخيس، وإنما الخيس بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة في الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشرأك، فبكسر الشين المعجمة المشددة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهي بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة - (كورة حريتا)، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهي قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

السادسة - (كورة قَرَطَسًا وَمَصِيل) . أما قَرَطَسًا فبفتح القاف وسكون الراء
المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف في الآخر؛ وهي قرية من عمل
البحيرة الآن .

وأما مَصِيل، فن الأسماء التي جهلت .

السابعة - (كورة المليدس) وهي من الأسماء التي جهلت .

الثامنة - (كورة إخنا ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إخنا، فن الأسماء التي جهلت
ولا يعرف بالبُحَيْرَة بلد أسماها إخنا ، وإنما أخنويه من عمل الغربية ، والعامة
تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ، ففتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت
ودال مهمل في الآخر، قَبْلَة عند مَصَبِّ الفرقة الغربية التي يقع الاعتناء بحفظها .
وفي ذلك نظر لأعتباره الغربية ورشيد من مواصل البحيرة، وبينهما بعدٌ بعيد معه
أن يجتمعا في كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَة، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوقير المتقدم ذكرها في الكلام على القواعد
القديمة، وإتي بقية الكلام عليها في الأعمال المستقاة إن شاء الله تعالى .

العاشرة ^(١) - (كورة مَرُيُوط) . ومَرُيُوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء
المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهمل في الآخر، وهي ناحية غربي الإسكندرية
داخلة الآن في عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحادية عشرة - (كورة لُويَسة ومَرَاقية) . أما لُويَسة، فبلام وواو وباء
موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال في "الروض المطار" : وهي كورة

(١) سقطت الحاشية من قلم الناصح وهي "كورة البتون" وقد ذكرها ابن دقاق في كتابه "الاستعارة" .

من كور مصر الغربية ، متصلة بالإسكندرية . قال : وقد قيل إن الإسكندرية
كان منها .

وأما مَرَاقِيَّةٌ ، فبميم وراء مهمل وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء في الآخر .
وقد ذكر القضاة في تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرَقَةٍ ، فقال :
إن الذى يقع عليه اسم مصر من العريش إلى لُوبِيَّةٍ وَمَرَاقِيَّةٍ ، ثم قال : وفي آخر
أرض مَراقية تلي أرض أنطابُلس ، وهى بَرَقَةٌ ، والظاهر أن لوبية غربيّ مربوط ،
ومراقبة غربيّ لوبية وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحيز الثالث

(كُور القِبْلة ، وفيها خمس كور)

الأولى - (كورة الطُور وفاران) . أما الطُور فضبطه معروف . قال في المشترك :
والطور في اللغة العبرانية اسم لكل جَبَل ، ثم صار علماً لجبال بينها ، منها جبل
طُورِ ذِيئًا بلفظ الزيت ، وهو اسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة وجبل بالقدس
وجبل مُطَلَّ على طَبْرِ يَهُ ؛ وطُور هَرُونَ بالقدس ؛ وطُور سينا ، وهو المراد هنا ، وهو
جبل داخل في بحر القلزم على رأسه دِرْعُ عَظِيم ، وفي واديه بساتين وأشجار ، وهو على
مرحلة من قُرْصَةِ الطور المنقسمة المذكور في تحديد بحر القلزم ، وكأنها سميت باسمه
لقربها منه . قال ابن الأثير في "كتابه الزاهر" : وسمى الطُور بطُور بن إسماعيل
ابن إبراهيم طيها السلام .

وأما فاران ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون ،
قال في "الروض الممطر" : وهى مدينة صغيرة من برانجهاز على جون على البحر .
قال : ولجبال فاران ذكر في التوراة .

الثانية - (كورة رَايَة والقُلْزُم). أما راية فن الأسماء التي جهلت ، وقد ذكرها
أبن سعيد مقرونة بالقلم فقال : ورايَة والقُلْزُم من كور مصر .

وأما القُلْزُم، فقال في المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي المعجمة
ثم ميم في الآخر، وهي مدينة قديمة على ساحل بحر القُلْزُم وإليها ينسب البحر المذكور.
قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وعلى القرب منها غرق فرعون .

الثالثة - (كورة أَيْلَة وحَيْرَها، ومَدِين وحَيْرَها، والوَيْلِد وحَيْرَها، والحوَرَا وحَيْرَها).
أما أَيْلَة فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمة وسكون الياء المشناة تحت
وفتح اللام وهاء في الآخر. قال : وهي كانت مدينة صغيرة خرابا على ساحل بحر القُلْزُم .
قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وبها زرع يسير، وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم
الْقِرْدَة والخنازير، وطبها طريق مُجْجَاج مصر . قال : وهي في زماننا برج وبه وَاِل من
مصر وليس بها مزدرع، وكان بها قلعة في البحر فبطلت وَثَقِل الوالى إلى البرج .

وأما مَدِين فبضبطها معروف ، وهي في الأصل اسم لقبيلة شُعَيْب عليه السلام
وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم ، وهي مدينة تَرَاب على بحر القُلْزُم عَازِيَة تُبَوِّك
من بلاد الشام على نحو ست مراحل منها، وعندها في "الروض المعطار" من بلاد
الشام، وبها البئر التي آسقى منها موسى عليه السلام لبنات شُعَيْب وسقى غنمهن .

قال ابن سعيد : وسمة البحر عندها نحو مجرى .

وأما الوَيْلِد؟ فبعين مهملة وواو ياء مشناة تحت ونون وئال . قال في "الروض
المعطار" : وهي مدينة قرية من نصف الطريق بين جُلَّة والقُلْزُم . قال : وعلى

القرب منها مرسى صناعي، يتخذ الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأصابع لم يُغفها الزمان، ولا تتجلى بمرور الماء عليها .
وأما الحوراءُ ، فجاء مهلة مفتوحة بسلاها واوسا كنة وراء مهلة مفتوحة
ثم ألف في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة على ساحل وادي
القرى بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عذبة ، وبها ثمار ونخل وأهلها عرب
من جبهة ويل . قلت : والمعروف في زماننا أن الحوراء متلة بطريق حجاج مصر ،
ولعلها على القرب منها .

الرابعة - كورة بداء يعقوب وشعيب ، ولم أعلم حقيقة مكانهما .
قلت : ذكر القضاة أيلة ومدین وما والاها مما على ساحل بحر القلزم من بر
الحجاز في أعمال مصر جريا على ما قدمه من إدخال ذلك في تحديد الديار المصرية ،
على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حيزين آخرين .

الحيز الأول

(بلاد الواح)

إذ هي داخلية في حدود الديار المصرية على ما حدده هو وغيره .
قال في "اللباب" : وهي بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفي آخره حاء
مهلة، وقال في "المشترك" : واح بنير ألف ولام ويجمع على واحات، وهي ناحية
غربي بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربي من جبل مصر المتقدم ذكرهما .
قال في "مسالك الأبصار" : وهي بين مصر والإسكندرية والصعيد والثوبة
والحبشة . قال في "تقويم البلدان" : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهي
بينها كالجزيرة ، بين رمال ومقاوَر .

قال البركي : وهو إقليم مستقل غير مفتقر إلى سواه . قال في "الروض المعطار" :
وهي آخر بلاد الإسلام، وبينها وبين بلاد النوبة ست مراحل . قال : وفي هذه
الأرض شبة وزاجية وعيون حامضة الطعوم ولكل نوع منها منفعة وخاصة ،
وبها العيون الجارية، والبساتين، والثمار، والتمر الكثير، وبها مدن كثيرة مسورة
وغير مسورة .

قال في "المشترك" : وهي ثلاث كور : واح الأولى، وواح الوسطى،
وواح القصوى .

قلت : والأولى منها - مقابل الأعمال البهناوية، وهي أعمرها وأكثرها ثمرة،
ومنها يحلب التمر والزبيب الكثير، وتعرف بواح البهنسى وبالواح الخاص .

والثانية - مقابل شمالي الأعمال الأسبوطية، وتعرف بالواح الداخلة، وهي
تلو الواح الأولى في العبارة؛ بها مدن مشهورة، منها السامون والهنداو والقلمون
والقصير وغيرها .

والثالثة - مقابل جنوبي الواح الثانية، وتعرف بالواح الخارجة؛ وبين ريف
الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربي، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها
بحسب اختلاف الأماكن والطرق .

قال في "التعريف" : وهي جارية في أقطاع أمراء مصر، وهم يؤلون عليها من
قبيلهم . قال : ومنفلها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار مصر،
لوقوعه منقطعا في البلاد النائية والفقار النازحة .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تمتد في الولايات ولا الأعمال، ولا يحكم
عليها من قبل السلطان .

الحيز الثاني

(برقة)

يفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وأربعون درجة ونمسين وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وهي أرض مُنْسَعَة الأرجاء ، مديدة الفضاء ، وهي من أذكى الأراضي دواب، وأمرهاا مرغى .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني بعض من رآها أنها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وما هي عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتاهلت بالزراعة، كانت إقليميا كبيرا يقارب نصف الشام، قال : وبها المشية والساعة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيول، وخیلها من أقوى الخيل وأصلبها حوافر، وصُورُها بين العرَّاب والبراذير ، وقد جمعت بين حسن العرَّاب وكمال تخاطيطها، وصلابة البراذير وثباتها على الوُحور، وهي إلى محاسن العرَّاب أقرب، ولكنها لا تبلغ شأواً خيل البحرين والجزاز، وغولها أنجب من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنيه ، والقصور العلية، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال ابن سعيد : وهي سلطنة طويلة، وإن لم يكن لها استقلال لاستيلاء العرب عليها، وهي إلى إفريقية أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سررها في القديم بمدينة (طبرقة) . وذكر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطاكس)، وقد تهدم من كلام القضاة في تحديد الديار المصرية في آخر الحدة الشامي ما رواه . قال في "مسالك الأبصار" : ومن مدينتها طابيتا . قلت : والتحقق أن برقة قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو مادنون العقبة الكبرى إلى الشرق .

وقسم محسوب من إفريقية، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغرب، وهذه المُنْذُ الثلاث مما على جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحاب الماشية، قال في "مسالك الأبيصار": وربما زرع بعضهم في بعض أرضها فانجبت، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعلمة ولا زرع. قال: وأمرها إلى صاحب مصر يُقْطَعُهَا بالناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عددها، وكأنه يريد القسم الذي هو من مصر.

الضرب الثاني

(من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة؛ ولها وجهان)

الوجه الأول

(القبلى)

وهو المعبر عنه بالصعيد؛ وقد تقدم بيانه في الكلام على الكُور القديمة، وبه تسعة أعمال:

العمل الأول - الحيزية. وهو أقربها إلى القُسطاط والقاهرة، ومقر ولايته مدينة الحيزية (بكر الجيم وإسكان الباء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعدها هاء) وموقعها في الإقليم موقع القُسطاط، وطولها وعرضها واحد؛ وإليها ينسب الربيع الحيزي راوى الأم عن الشافعي رضي الله عنه.

قال في "الروض المعطار": ويقال إن بها قبر كعب الأبحار، وهي مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل جزيرة المقياس المتقنمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ في جهة الشمال إلى الوجه البحرى الآتى ذكره.

قال في "الروض المعطار": والحيزية أختطها عمرو بن العاص رضي الله عنه.

العمل الثانى - الإطفيحية . وهو شرق النيل في جنوب القسطنطية ، مصابف بركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة "إطفيح" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة وبالفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاء مثناة فوق ، وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقى ، وموقعها فى الإقليم الثالث ، ولم يجرى طولها وعرضها ، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذاً عنها جنوباً وشمالاً ، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث - البهنساوية . وهو مما على عمل الحيرة من الجهة الجنوبية ، ومقر ولايته مدينة البهنسى . قال فى "المشرك" : (يفتح للباء وسكون الماء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهى مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربى من النيل تحت الجبل بطوق المزدرع ، مركبة على ضفة بحر الفيوم . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع - الفيومية . وهو مصابف لعمل البهنسى من غربيه ، وبينهما منقطع دمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة ، كثير البساتين ، غزير الفواكه ، دار الأرزاق . يقال إنه كان متصل مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثائة وستين قرية ليمير كل قرية منها بلد مصر يوماً من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد قصت عتة قراء بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التى هى متصل مياهه ، المتقنم ذكرها فى جملة بحيرات الديار المصرية وركوب ماؤها على أكثر القرى المجاورة لها ، ولولا ما هو شامل له من بركة الصديق عليه السلام ،

(١) كذا فى الأصل بدون قط رمله . صحف عن عمل أى مكان العمل والشرح وفى خط القزوينى وقد كان مفيض ما بالنيل . وفى تهويم البلدان كان فى دهنة وقد سبق إليه نهر من رشح ماء النيل . وفى السورى وكان صفاء .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفاً على امتز الدهور
وتعاقب الأيام ، وليس لها مَصْرِفٌ لتصرف منه ضرورةً إحاطةً الجبال بها من الجهات
التي هي بصَدَدٍ أن تُصرف منها ، ولقد أجهت بعض حُكَّام الزمان على أن يتحیل
في عمل مَصْرِفٍ يَقْطَعُ في الجبل لتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلاً .
ولو كان ذلك في حيز الإمكان ، لعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : ويقال إنه على جميع الفيوم سورٌ دائرٌ ،
ومقرٌ ولايته (مدينة الفيوم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "القانون" : وطولها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها
تسع وعشرون درجة ، وهي مدينة حسنة على ضفة البحر المنهى حسنة الأبنية ،
زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّط والمنارس ، وهي راكبة على الخليج المنهى من
جانبيه ، وهو مخترق ومسطها . قال في "المعري" : وبين الفيوم والقُسطَاط
ثمانية وأربعون ميلاً .

العمل الخامس - عمل الأشمونين والطحاوية . وهو مصابف لعمل البهنسي
من جنوبه ، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع القضاء ، متقارب القرى . ومقر
الولاية به (مدينة الأشمونين) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون
الواو وفي الآخرون . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره
في "تقويم البلدان" والإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام المقر الشهابي بن فضل الله
في "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثاني دَهْرُوط من البهنساوية .

قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل، كانت في الأصل مدينة قديمة بناها أئثمون بن قبطيم بن مصر بن بيسرين حاكم بن نوح عليه السلام، ثم حُرِبَتْ ودَّثِرَتْ، وبُنِيَتْ هذه المدينة على القرب منها. وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأئثمونين هذا، والثاني عمل طحّا المدينة (بفتح الطاء وإسكان الهاء المهملين وألف في الآخر) وقد تقدّم ذكرها في الأعمال القديمة، ثم أُضِفَا وجعلا عملاً واحداً .

العمل السادس - المَقْلُوطِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الأئثمونين من جنوبيه، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى في ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهرام السلطانية بالقُسْطَاط - ومقرّ ولايته (مدينة مَقْلُوط) . قال في "تقويم البلدان" : (يفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة في الآخر). وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره في "تقويم البلدان" : ومن أواخر الإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبحار" .

قال في "كتاب الأطوال" : طولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة؛ وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل بالقرب من شطّه .

العمل السابع - الأُسْيُوطِيَّة . وهو مصاقب لعمل مَقْلُوط من جنوبيه، وهو عمل جليل، ومقرّ الولاية به (مدينة أُسْيُوط^(١)) بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفي آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعاني في "كتاب الأنساب" :

(١) ضبطها في القاموس كذلك وضمها ياتوت بالفتح .

وذكرها في "الروض المعطار" في حرف الهمزة ، وقعت في شعر ابن الساعاتي
غير ألف في قوله :

لَهُ يَوْمٌ فِي سُيُوطٍ وَلَيْلَةٌ • عُمُرُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا لَا يَفْلُطُ
بُنَاتُهَا ، وَالْبَدْرُ فِي غُلُوَانِهِ • وَلَهُ يَجْنَحُ اللَّيْلُ فَرْعٌ أَسْمَطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ ، وَالْقَدِيرُ صَحِيفَةٌ • وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ ، وَالنِّعَامُ يَنْقُطُ

وإثبت الألف فيها هو الجارى على السنة العامة بالديار المصرية ، والثابت
في الدواوين حذفها . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ،
وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهي مدينة حسنة في البر الغربي من
النيل على مرحلة من مَقْلُوط ، وبها مساجد ومدارس وأسواقٌ وقياسٌ وحمامات .

العمل الثامن - (الإِنِمْيَّة) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسُيُوط من جنوبيه ،
وهو عمل ليس بالكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربي عن النيل ، وحاضرتة (مدينة
إِنِمْي) . قال في "تقويم البلدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة
تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) وموقعها في أواخر الإقليم الثاني من
الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ست وعشرون درجة . وهي مدينة لطيفة بالبر الشرق عن النيل على مرحلتين من
أُسُيُوط ، وبها كانت البرابي العظام المتقدمة الذكر ، ويقال إن ذَا النُّونِ المصريَّ
العابد الزاهد منها ، وولايتها مضافة إلى قُوص .

العمل التاسع - القُوصِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسُيُوط من جنوبيه ، وهو
عمل متسع الفضاء بعيد ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أسوان : آخر الديار المصرية

في البر الشرقى والغربى، وهى بلاد النّمر، ومنها يحلب إلى سائر البلاد المصرية، ومقر ولايته (مدينة قُوص). قال فى "المشرك" - بضم القاف وسكون الواو، وفى الآخر صاد مهملة - وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهى مدينة جليلة فى البر الشرقى عن النيل، ذات ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارس ورُبط وحمامات، يسكنها العلماء والتجار ونزو الأموال، وبها البساتين والحدائق المستحسنة إلا أنها شديدة الحر، كثيرة العقارب، حتى إنه يُقبض لها من يدور فى الليل فى شوارعها بالمسارج لقتلها، ويقاربها فى الكثرة أيضا سأم أبرص .

قال المقر الشهابى بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى عن الدين حسن بن أبى المجد الصّفدى أنه عدّ فى يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سأم أبرص على صف واحد . وبما يدخل فى عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أسوان . قال السمعانى : - ففتح الحمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبداها ألف ونون - وخالف ابن خلكان فى "تاريخه" فضبطه بضم الحمزة، وغلط السمعانى فى فتحها . وهى مدينة فى أوائل الحدّ الجنوبى من الديار المصرية؛ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال فى "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهى فى البر الشرقى من النيل، ذات نخيل وحدائق، وهى من قُوص على نحو خمس مراحل .

قال فى "التعريف" : ووالها وإن كان من قبل السلطان فإنه نائب لوالى قُوص .

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وآل مستقل بنفسه لاحكم لوالى قُوص عليه ، وسيأتى الكلام عليها فى مراكر البريد ، ويأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(البحرى)

وهو كل ما سفل عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصْبُ النيل . وإنما سُمى ببحرياً لأن منتهاه البحر الرومى ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرقى من الديار المصرية ببحرياً لأن نهايته إلى بحر القلزم ، لأن انتهاءه إليه ليس حقيقة لا تقطاع بحر القلزم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المُقْفَرَة ، بخلاف بحر الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فتاسب النسبة إليه .

قلت : وقد وقع لفظ النهاية بن فضل الله فى " التعريف " فى بلاده وأعماله من الوهم ما لا يليق بمصرى على ما سأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى . وهذا الوجه هو أرطب الوجهين وأقلهما حراً ، وأكثرهما فاكهة ، وأحسنهما مدناً . ويشتمل على ثلاث شُعب تحوى سبعة أعمال .

الشعبة الأولى

(شرقى الفرقة الشرقية من النيل)

وفىها أربعة أعمال .

العمل الأول - الضواحي : جمع ضاحية ، وهى فى أصل اللغة البارزة للشمس ، وكأنها سميت بذلك لبروز قُرَآها للشمس ، بخلاف المدينة لتلبسة ليكن بها ، وهو ما يحاور القاهرة من جهة الشمال من القرى ، ولايتها مضافة إلى ولاية القاهرة ودخله فى حكمها ، وليست منفردة بمقر ولاية غيرها .

العمل الثاني - القليوبية . وهو مصاب للضواحي من شمالها مما يلي جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقر الولاية به (مدينة قليوب) - بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة في آخرها . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتجزأ طولا وعرضا ، ذير أنها من القاهرة في جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بلدتنا (قلقشندة) وهي بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر ابن يونس في "تاريخه" : أنه ولد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثبات عندنا .

قال ابن خلكان : - بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبسملها هاء ساكنة - ، وهكذا هي مكتوبة في دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوت في "معجم البلدان" اللام راء ، وهو الجارى على السنة العائمة ، وعليه جرى القضاة فيما رأيت مكتوبا في "خطه" : قال ابن خلكان : وهي على ثلاثة فرائخ من القاهرة في بلدة حسنة المنظر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال ابن يونس في "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا (١) وذكر .

وقال القضاة في "خطه" : في الكلام على دار الليث بالقسطنطين : وكان له دار بقرقشندة بالرّيف ، بناها فهدى ابن رفاعة أمير مصر عنادا له ، وكان ابن عمه ،

(١) . ما بين التجمتين تخدم بقصه قريبا فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانياً فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٍ في منامه فقال له ياليتُ :
 ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَحْمِلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
 فأصبح وقد أفلجَ ابنُ رفاعَةَ فأوصلى إليه ومات بعد ثلاث . وبقي الليثُ حتى توفى
 في منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ؛ وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي
 أمير مصر للرشد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهاني ، ثم قال في آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلَقَشَنَدَةَ .
 قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما أنه
 مصريّ وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم ، الثاني أنه قريب من زمن
 الليث فهو به أدرى ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل أباه قَلَقَشَنَدَةَ
 المذكورة وولد بها ومكنها ، فنسب إليها كما وقع في كثير من النسخ ؛ وإعادة داره
 بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدم ذكره في كلام القضاعي دليل اعتناؤه
 بشأنها وميله إليها ، ويحتمل فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر في "الروض المعطار" أنه كان له ضيعة على القرب من رشيد من بلاد
 الديار المصرية ، يدخل عليه منها في كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

العمل الثالث - الشرقية . وهو مصابق للضواحي من شماليها مما يلي جهة
 المُقَطَّم ، والقلوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها .
 إلا أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة : لاكتصاله بالسبخ وبداوة غالب
 أهله ، وآخر العمران فيها من جهة الشمال الصَّالِيَّة ، وما وراء ذلك منقطع رمال على
 ما تقدم ذكره في المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومقر ولايته مدينة بَاسِس .
 قال في "تقويم البلدان" : - بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وقح الباء الموحدة
 (١) قال في القاموس "لبس كثير يق وقد فتح أوله بـ" مضطه ياقوت بكسر الباء وسكون اللام .

وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة . كذا ذكره ، والجارى على الأكنسة ضم الباء في أولها ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها أربعاً وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعرضها ثلاثين درجة وعشر دقائق . وهي مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهي محط رحال الدرب الشامي . وفي الركن الشمالي الجنوبي من هذا العمل (بناها) . قال النووي في شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهي البلدة التي أهدى الموقوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عسليها ، وفي آخره من جهة الشرق (قُعُلياً) بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وألف في الآخر . كذا وقع في "التعريف" و "مسالك الأبصار" : وفي "تقويم البلدان" : إبدال الألف في آخره بباء ، وهي قرية بالرميل المعروف بالحقار على طريق الشام على القُرب من ساحل البحر الرومي .

قال في "التعريف" : وقد جعلت لأخذ المُرَجَبات ، وحفظ الطُرُقَات ، وأمرها مهم ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع - (الْمَقْهَلَةُ والمُرْتَاخِيَة) . وهو مُصَابِقُ لعل الشرقية من جهة الشمال ، وأواخره تنهى إلى السِّبَاخ وإلى بحيرة تَنِيْس المتصلة بالطينة من طريق الشام ، ومقر الولاية به (مدينة أُثْمُوم) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية - كما ضبطه في "تقويم البلدان" ونقله عن خط ياقوت في "المشترك" والذي في "اللباب" إبدال الميم في آخرها بنون ، وعزاه في "تقويم البلدان" للمامة .

قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرقة

التي تنهب إلى بحيرة تَنَس من فرقة النيل الشرقية من الجهة ؛ وبآخر هذا العمل (مدينة دِمَاط) بكسر الدال المهمله وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء - قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون وعشرون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي واقعة في الإقليم الثالث ، وهي مدينة حسنة عند مصب الفرقة الشرقية من النيل في بحر الروم ، ذات أسواق وحمامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بني العباس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرة بعد مرة ، خربت المسابون أسوارها في سنة ثمان وأربعين وسماتة خوفا من أسيتلائهم عليها ، وهي على ذلك إلى الآن ، ولها ولاية خاصة بها .

الشعبة الثانية

(غربي فرقة النيل الغربية ؛ ولها عملان)

العمل الأول - عمل البحيرة . وهو مما على عمل الجيزة المتقدم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرى ، فسيح الأرضين . ومقر ولايته (مدينة دَمَهُور) - بفتح الدال المهمله والميم وسكون النون وضم الهاء وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وعرف بدَمَهُورِ الوَحْش . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات . وموقعها في الإقليم الثالث ؛ ولم يتحرر لي طولها وعرضها ، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب .

قلت : ويدخل في هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة :

(١) له من الجهة الشرقية .

العمل الثانى - عمل المزارحين . وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبضفه بالبر الشرق من النيل ، وحاضرتة (مدينة قوة) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الفاء وتشديد الواو ، وهى مدينة متوسطة بالبر الشرق من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذات بساتين وأشجار ومنظر رائق ، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شاذ للخاص ، يتحدث فى كثير من أمور الولاية ، وهى فى الحقيقة كإخميم مع قوص .

وعلى هذين العاملين غربا بشمال (مدينة الإسكندرية) - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الزاء المهملة وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الثالث .

قال فى كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثماني وخمسون دقيقة ، وقد تقدم القول على أصل عمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ما شهد به التواريخ من بنائها القديم جزء من كل ، وهى مع ذلك مدينة راقية المنظر ، حسنة الترتيب ، مبنية بالحجر والكلس ، مبيضة البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حمامة بيضاء ، ذات شوارع مشرعة ، كل خط قائم بذاته كأنها رقعة الشطرنج ، يستدير بها سوران متيعان ، يدور عليهما من خارجهما خندق فى جوانب البلد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما على الشمال إلى المشرق حيث دار النيابة ، وبهما أبراج حصينة عليها السناثر المسترة والمجانيق المنصوبة .

قال ابن الأثير فى "عجائب الخلوقات" : ويقال إن منكرها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع محجبات ، وإنما أكلها البحر ، ولم يبق إلا حجة واحدة ،

وهي المدينة الباقية الآن وصار مكانُ النار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أخصيت في وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ؛ وبها الجوامع والمساجد ، والمدارس ، والخَوَاقِ ، والرُّطْبُ ، والزوايا ، والحمّامات ، والديار الجليلة ، والأسواق الممتدة . وفيها يُنْسَجُ القماش الفاخر الذي ليس له نظير في الدنيا ، وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر ، وتَمِيرُ من مُقاسمها جميع أقطار الأرض ، وهي قُرْصَةُ بلاد المغرب ، والأندلس ، وجزائر الفريج ، وبلاد الروم ، والشام . وشرب أهلها من ماء النيل : من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دُورها ، وأستعمال الماء لعامة الأمر من آبارها ، ويَجَنَّبُ تلك الآبار والصحاريح بالوعاء تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ؛ وبها البساتين الأنيقة ، والمستنزهات الفاخرة ، ولم يها القصور والجوامع البقية البناء ، المحكمة الجُدُر والأبواب ؛ وبها من الفواكه والثمار ما يفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حسنا مع رخص الثمن ؛ وليس بها مزارع ولا لها عمل واسع ، وإن كان محصلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ، وهي أجل ثمر الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والأعتزاز من العدو الطارق ؛ وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال في "مسالك الأبحار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنبابة السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما يهْدَم حين كانت النيابة بها صغيرة في معنى ولاية . أما من حين طرقها العدو المخنول من الفريج في سنة سبع وستين وسبعمائة وأجتاح أهلها وقتل وسي ، فإنها استقرت من حينئذ نيابة كبرى تضاها نيابة طرابلس وحماء وما في معناهما ، وهي على ذلك إلى الآن ؛ وسيأتى الكلام على نيابتها في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ

(ما بين فرقى النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان)

الجزيرة الأولى - جانبها الشرقى يمتد في طول فرقة النيل الشرقية إلى مَصْبِهِ في البحر المِلْح حيث دِمَاط بالقرب منها، وجانبها الغربى يمتد في طول فرقة النيل الغربية إلى نُجَاه أى نُسَابَة من عمل البحيرة فينشأ بحراً أيار المتعَلَّم ذكره ويمتد في طولها إلى قرية القُرْسَتْقى خارج الجزيرة من الغرب فيتصل بفرقة النيل التي تنزع منها على ما تقدم، ويمتد في طولها إلى مصبه في البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عمليتين :

العمل الأول - المُتَوَفِيَة . وأوله من الجنوب من القرية المعروفة بِسَطْلَوَف على أول الفرقة الغربية من النيل، ومقر ولايته (مدينة مُتَوَف) - بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء في الآخر، وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد نهرت الآن وبقيت آثارها كيانا، وولاياتها من أنفُس الولايات، وقد اضيف إليها عمل أيار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وهى مدينة حسنة ذات أسواق، ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحمام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظن أنها مَنَف المتقدمة الذكر في الكلام على قواعد مصر القديمة، وبينهما بُد كثير إذ مَنَف المتقدمة الذكر جنوبى القُسْطَاط على اثني عشر ميلا منه كما تقدم ذكره، وهذه تَمَالَى القُسْطَاط والقاهرة في أسفل الأرض .

العمل الثانى - الغربية . وهو مُصَاقِبٌ للنوفية من جهة الشمال، ويمتد إلى البحر المِلْح بين مصبَي النيل إلا ما هو من عمل المزارحين على فرقة النيل الغربية من

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعتهما في كثير من المواضع .

الشرق؛ وهو عمل جليل القدر، عظيم الخطر؛ به البلاد الحسنة، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك؛ وفي آخره مما يلي بحر الروم موقع ثغر البرأس .
ويندرج فيه ثلاثة أعمال أحر كانت قديمة، وهى القويينية، والسمنودية، والدنجاوية، ومقر ولايته (مدينة المحلة) . قال فى "المشارك" : - بفتح الميم والحاء المهملية وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر - وتعرف بالمحلة الكبرى، وقد غلب عليها اسم المحلة حتى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بمحلة المرحوم وهو وهم، وإنما هى قرية من قرأها .

قال فى "المشارك" : ويقال لها محلة الدقل (بفتح الدال المهملية والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن، جليلة المقدار، راقية المنظر، حسنة البناء، كثيرة السكان، ذات جوامع، ومدارس، وأسواق، وسجّامات؛ وهى تعادل قُوص من الوجه القبلى فى جلالة قدرها، ورياسة أهلها، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلى والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة :

الجزيرة الثانية - ما بين بحر أبيّار المتقدم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نصر، وهى عمل واحد، وحاضرتها (مدينة أبيّار) - بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المطّار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثناة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهى مدينة لطيفة حسنة المنظر يعمل فيها القماش الفائق من المخزّرات وغيرها، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، ولم يتجرّأ طولها ولا عرضها، وهى مضافة إلى ولاية مُتوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصل الثالث

(فيمن ملك الديار المصرية ، جاهليةً وإسلاماً)

قال السلطان محمد الدين صاحب حماة في " تاريخه " : وكانت أهل مصر
أهل ملك عظيم في الدور الخالية والأزمان السالفة ، ما بين قبلى ويوناني
وعلى ، وأكثرهم القبط . قال : وأكثر من ملك مصر القرباء .
وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(من ملكها قبل الطوفان ، وقيل من تعرض له من المؤمنين)

قد تقدم في الكلام على ابتداء عمارة مصر أن أول من عمرها قبل الطوفان
قراووس بن مصرم بن راجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام ، ومعنى
قراووس بالبريانية ملك قومه ، وهو الذى عمر مدينة أمسوس أول قواعد مصر
المتقدم ذكرها ، ثم ملكها بعده أبنة قراووس الثانى مائة وسبع سنين ، ثم ملكها
بعده أخوه مصرام بن قراووس الأول ، ثم ملكها بعده عتقاه الكاهن ولم تطل
مدته بملكه ، ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِعَ في زمانه ، ثم ملكها بعده أبنة
غرناق ، ثم ملك بعده رجل من بنى قراووس اسمه لوجيم ، ثم ملك بعده رجل اسمه
خصليم ، وهو أول من عمل المقياس للنيل على ما تقدم ذكره ، ثم ملك بعده أبنة
هرصال ، ومعناه بالبريانية خادم الزهرة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سرباً
تحت النيل إليها ، وهو أول من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعاً وثلاثين سنة ،
ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد فى زمانه ، ثم ملك بعده أبنة بذرسان ، ثم ملك بعده
أخوه شمرد ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعاً ، ثم ملك بعده فرصيدون بن
بذرسان المتقدم ذكره مائة وستين سنة ، ثم ملك بعده أبنة شرتاق مائة وثلاث سنين ،

ثم ملك بعده أبنة سهلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده أبنة سُوردين ، وهو الذى بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصها ؛ ثم ملك بعده أبنة هرجيب نيفاً وسبعين سنة ، وهو الذى بنى الهرم الأول من أهرام دهشور ؛ ثم ملك بعده أبنة متاوش ثلاثاً وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة أفروس أربعاً وستين سنة ؛ وفى أيامه حصل التقطع العظيم ، وسلطت الوحوش والتماسيح على الناس ، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلثمائة امرأة بينى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقامة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس ؛ ثم ملك بعده أبنة عمه فرعان ، وهو أول من لقب بلقب الفراعنة ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ، وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبة الثانية

(من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامى)

وللؤرخين فى ذلك حُلف كثير ، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفتُ عليها فى ذلك ، وهم على طبقات .

الطبقة الأولى

(ملوكها من القبط)

قد تقدم فى الكلام على ابتداء عمارتها أن أول من عمرها بعد الطوفان ببصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكان ببصر قد كبر سنه وضعف ، فأقام يسيراً ثم مات ، فدفن فى موضع دير ابى هرميس غربى الأهرام . قال القضاعى ، ويقال إنها أول مقبرة دفن فيها بأرض مصر ؛ وملك بعده أبنة مصر فعمر وطالت مدة ملكه ،

وعمرت البلاد في أيامه وكثر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده أبنة (قبطيم)، وإليه ينسب القبط، ويقال إنه أدرك بيلة الأكنس التي كانت بعد نوح عليه السلام، وهي ربح نرجحت عليهم ففرقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، ونرج منها باللغة القبطية؛ ثم ملك بعده أبنة (ققط)، وهو الذي بنى مدينة ققط بالصعيد الأعلى وسماها باسمه، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أثمين)، وهو الذي بنى مدينة الأثمين المتقدم ذكرها بالوجه القبلي، وطالت مدته حتى قيل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أثريب)، وهو الذي بنى مدينة أثريب المتقدم ذكرها بالوجه البحري من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذي بنى مدينة صا المتقدم ذكرها بالوجه البحري أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن ققط، ويقال إنه الذي وضع أساس الأهرام الدهشورية غيرahrام الأول الذي بناه هرجيب المتقدم ذكره قبل الطوفان، وهو الذي بنى مدينة دندري بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أبنة (بودشير)، وهو الذي أصلح جنبتي النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده أبنة (عديم)؛ ثم ملك بعده أبنة (شدات)، وهو الذي تم الأهرام الدهشورية التي وضع أساسها قفطريم المتقدم ذكره. ويقال: إن مدينة شطب التي بالقرب من مدينة أسيوط بنيت في أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أول من ولع بالصيد وأخذ الجوارح والكلاب السلوقي، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعين سنة؛ ثم ملك بعده أبنة (متاوش)، ويقال إنه أول من عمل له الحمام بمصر؛ ثم ملك بعده أبنة (متاوش) وطالت مدته في الملك حتى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (متاوش) بن أثمين نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أول من عمل له الميدان بمصر، وأول من بنى البيادرستان لعلاج المرضى، وفي أيامه بنيت مدينة سنترية

بِالْوَحَاتِ، ثم ملك بعده أبنة (مرقوره) نيفا وثلاثين سنة، وفي كتب القبط أنه أول من ذل السباع وركبها، ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة، ثم ملكت بعده بنت من بنات أثريب خمسا وثلاثين سنة، وهي أول من ملك مصر من النساء، ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفي أيامه بنيت مدينة ديمق على اسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفي أيامه بنيت أيضا مدينة تيس، ثم ملك بعده أبنة (فوسون) مائتين وستين سنة، ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعة لم يعين أيهم، ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنة (إيساد) خمسا وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنة (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه نيفا وثلاثين سنة، ثم ملك بعده أبنة (تدراص)، وهو الذي حضر خليج صخا المتقدم ذكره في خلجان مصر القديمة، ثم ملك بعده أبنة (ماليق)، ويقال إنه خالف دين آبائه في عبادة الأصنام، ودان بدين التوحيد. ولما أحس بالموت، صنع له نأوسا وكثر معه كنوزا عظيمة، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبي الذي يبعث في آخر الزمان، ثم ملك بعده أبنة (حريا)، وفي بعض التواريخ حريا خمسا وسبعين سنة، ثم ملك بعده أبنة (كلكن)، وفي بعض التواريخ كلكن نحو ما من مائة سنة، وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر، وكان قبل ذلك مكشوما، وفي زمنه كان الثرود بأرض بابل من العراق، ثم ملك بعده أخوه (ماليا)، ثم ملك بعده (حريا) بن ماليق، ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا، وفي بعض التواريخ طوطيس سبعين سنة، وفي بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا، والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أولهم، وهو الذي أهدى حاجرا لإبراهيم عليه السلام، ثم ملكت بعده أخته (حوريا)، وهي التي بنى لها جبرون المؤنكى صاحب الشام مدينة الإسكندرية حين خطبها على أحد الأقوال في عمارتها لجعلها مهرا لها، ثم أحالت عليه فسمته هو وجميع عسكره

في خلق فئاتوا، ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم، ثم ملك بعدها (أيمين) الأثريي، وهو آخر ملوك القبط من هذه الطبقة . والذي ذكره القضاعى وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر أبنة مصر، ثم فقط بن مصر، ثم أخوها شمين، ثم أخوه أثريي، ثم أخوه صا، ثم أبنة تدراس، ثم أبنة مالىق، ثم أبنة حريا، ثم أبنة كلكن، ثم أخوه ماليا، ثم حرييا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم أبنة حوريا، وهى أول من ملكها من النساء، ثم أبنة عمها زلفى، ومنها أترعتها العالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

(ملوكها من العالقي ملوك الشام)

أول من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العليقي، وقال السهيلي : الوليد بن عمرو ابن أراشة. اقتلها من أيمين : آخر ملوك القبط المتقدم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القبط، وقيل هو أول من سمي بفرعون، وقام في الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده أبنة (الريان) مائة وعشرين سنة، والقبط تسميه نهراوس، وهو الفرعون الثالث عند القبط، ونزل مدينة عين شميس، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة ميف، وفي أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى في كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسف عليه السلام، ثم ملك بعده أبنة (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القبط، وفي أيامه توفي يوسف عليه السلام، وفي أيامه ظهر بعصر معدن فضة على ثلاثة أيام في النيل، ثم ملك بعده أبنة (معدان) ويقال معاديوس، وهو الفرعون الخامس عند القبط، إحدى وثلاثين سنة، ثم ملك بعده أبنة (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القبط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسكندرية بنيت في زمنه، وأهل الأثر يسمونه كلمم، وربما قالوا كامس؛

ثم ملك بعده ابنه (لاطس) ، ثم ملك بعده رجل اسمه (ظلمنا) كان من عماله فخرج عليه فقتله وملك مكانه ، وهو الفرعون السابع عند القبط ، وهو فرعون موسى .
 قال المسعودي : وهو الوليد بن مصعب الموجود في كتب الأثر ، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة ، يجتمع مع الوليد بن دوع في أراشة ، وهو آخر من ملك مصر من العاقلة ، وبعضهم يقول ظلمنا بن قوس من ولد أشمون أحد ملوك القبط المتقدم ذكرهم ، وعلى هذا فيكون فرعون موسى من القبط ، وهو أحد الأقوال فيه ، وهو الذي يقول عليه القبط ، ويوردونه في كتبهم ، وآخرون يجعلونه من تلم من الشام ، والظاهر الأول ، وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وفي زمنه حضر خليج سردوس المتقدم ذكره في خلجان النيل ، ويقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشك وجعا إلى أن أهلكه الله تعالى بالفرق . (١)

الطبقة الثالثة

(ملوكها من القبط بعد العاقلة)

أول من ملكها منهم بعد فرعون دكوة ، وطالت مئتها في الملك حتى عرفت بالعجز ، واليا ينسب حائط العجز المبنى بالطوب اللبن المستدير على بلاد مصر في حف الجبلين : الشرق والغرب ، وأثره باق بالوجه القبلي إلى الآن ، ويقال إنها التي بنت البراني بمصر ، ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القبط اسمه (دركون) بن بطلموس ، ويقال دركوس بن ملوطس ، ثم ملك بعده رجل اسمه (تودس) ثم ملك بعده ابنه (لقاش) نقوا من خمسين سنة ، ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نقوا من عشرين سنة ، ثم ملك بعده ابنه (بطلموس) ويقال بلوطس بن ميا كيل أربعين سنة ، ثم ملك (١) تنبه وقع اختلاف فيما يأتينا من الكتب في أسماء الملوك وتاريخهم في هذا والذي بعده فتركنا على الأصل

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشرينين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعودى : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخرّب بيت المقدس ؛
ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رجيم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
الذى غزا رجيم كان اسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة :
وهو الأحمع . قال : ثم لم يشتر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو
الذى غزاه مجنصر وصلبه ، والذى ذكره المسعودى أنه ملك بعد ميا كيل المتقدم
ذكره (مريوس) ؛ ثم ملك بعده أبنة (بفاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة
(قوس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة كاييل .

قال المسعودى : وهو الذى غزاه مجنصر وصلبه وخرّب مصر ، وبقيت مصر
أربعين سنة خراباً .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من الفرس)

أول من ملكها في جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن مجنصر كان نائباً له
ومن حين استولى عليها مجنصر ، توالّت عليها الولاة من جهته ، وهو بيابل سبعا
ونحسين سنة وشهراً كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده أبنة (أولات)
سنة واحدة ؛ ثم أوليا بعده خوه (بطشاش) بن مجنصر ، ثم استقرت مصر والشام
بأيدي قوّاب الفرس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده كيستاسف ؛ ثم ملك بعده أبنة أريشيرهم
أبن أسفديار بن كيستاسف ، وأنبسط يده حتى ملك الأقاليم السبعة ؛ ثم ملك
بعده أبنة (دارا) ، وفي زمنه ملك الإسكندر بن فيليب على اليونان فقصده ، فلما قرب

منه قتله جماعة من قومه، ولحقوا بالإسكندر، وهو آخر من ملك مصر من الفُرس، ولم أُنَف على غنصيل ثواب الفُرس بمصر إلا أنه كان منهم كسرجوس الفارسي، وهو الذى بنى قصر الشمع بالقُسطاط على ما هُدم ذكره، وبعدة (طهارست) الطويل، وفى أيامه كان يقرط الحكيم .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من اليونان)

أول من ملكها منهم (الإسكندر بن فيليبس) حين غلب دارا ملك الفُرس على ملكه وأستولى على ما كان بيده، وكان مقر ملكه مَقْدُونِيَّة من بلاد الروم القديمة، وأُتخاَز له ملك العراق، والشام، ومصر، وبلاد العرب . فلما مات تفرقت ممالكه بين الملوك، فَلَاك مصر وفواحى الغرب البطالسة من ملوك اليونان، كان كل منهم يلقب بطليموس .

فأول من ملكها منهم (بطليموس المنطوق) عشرين سنة، ويقال : إنه أول من لعب بالبراة وضراها، ثم ملك بعده (بطليموس حُب أخيه) أربعين سنة، وقيل ثمانًا وثلاثين سنة، وهو الذى نقل التوراة من العبرانية إلى اليونانية، وفى أيامه ظهرت عبادة التماثيل والأصنام، ثم ملك بعده (بطليموس الصائغ) نحسا، وقيل ستا وعشرين سنة، ثم ملك بعده (بطليموس حُب أبيه) سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده (بطليموس صاحب علم الفلك) أربعًا وعشرين سنة، وهو الذى ألَّف كتاب المجسطى، ثم ملك بعده (بطليموس حُب أمه) سبعًا وعشرين سنة، ثم ملك بعده (بطليموس الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بطليموس المُخلَص) ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة، ثم ملك بعده (بطليموس الإسكندراتى) تسع سنين، وقيل أثنى عشرة سنة،

ثم ملك بعده (بطليموس اسكندروس) ثلاث سنين ، ثم ملك بعده (بطليموس حُب) (أخيه) الثاني ثمان سنين ، ثم ملك بعده (بطليموس دوتيسوس) ، ثم ملكت بعده أخته قلوبطرا اثنتين وعشرين سنة ، وبزوالها أقترض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادسة

(ملوكها من الروم)

أول من ملكها منهم (أغسطس) . يقال بشيئين معجبتين ومهملتين وقبته قيصراً ، وهو أول من تلقب به ، ثم صار علماً على ملوك الروم .

قصده قلوبطرا المنتقم ذكرها ، فلما أحسَّت بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعلت الفكر في تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتى ألقمت سمها في يدها ، وأنسابت الحية في الرياحين ، وجاء أغسطس فوضع يده في الرياحين فنهشته الحية ، فبقي يوماً ومات بعد أن ملك الروم ثلاثاً وأربعين سنة . وفي أيامه ولد المسيح عليه السلام ، ثم ملك بعده الروم ومصر طليار يوس ، ويقال طبريوس ، ويقال طبريس اثنتين وعشرين سنة . قال المسعودي : وفي زمنه رفع المسيح عليه السلام . قال : ولما مات أغسطس ، اختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا في الملك ما بين ثمانين وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم طانيوس . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح في زمنه ، وهو مخالف لما تقدم من كلام المسعودي ؛ ثم ملك بعده قلدريوس أربع عشرة سنة ^(١) ، ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولص الحواريين برومية وصلبهما ، ثم ملك بعده

(١) في المسعودي قلدريوس . وبالجملة فين ما يديننا من الكتب اختلاف في هذه الأسماء فنقولنا على المخطوط رافة اعلم .

ساسانوس عشر سنين؛ ثم ملك بعده طيطوس سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده دوميطيوس، ويقال اديطانش خمس عشرة سنة، وكان على عبادة الأصنام فتبع اليهود والنصارى وقتلهم؛ ثم ملك بعده ادريانوس ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجذام فسار إلى مصر يطلب طباً لذلك فلم يظفر به ومات بعائته؛ ثم ملك بعده ايطيوس، ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سنة، وهو الذي بنى بيت المقدس بعد تخريبه الثانية وسماه إيليا، ومعناه بيت الرب، وهو أول من سماه بذلك؛ ثم ملك بعده مرقوس، ويقال قومودوس سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة، وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه؛ وفي زمنه كان جالينوس الحكم؛ ثم ملك بعده قوطنجوس ستة أشهر؛ ثم ملك بعده سيوارس ثمانى عشرة سنة؛ ثم ملك بعده ايطيوس الثانى أربع سنين؛ ثم ملك بعده اسكندروس ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعده يكسميتوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده خورديانوس ست سنين؛ ثم ملك بعده دقيانوس، وقيل دقيوس سنة واحدة، فقتل النصارى وأطاد عبادة الأصنام، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى في كتابه العزيز؛ ثم ملك بعده ذاليوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده عليوس وولديانوس أشركا في الملك، وقيل إن ولديانوس انفرد بالملك بعد ذلك، وأقام فيه خمس عشرة سنة؛ ثم ملك بعده فلوديوس سنة واحدة؛ ثم ملك بعده اردياس، ويقال اردليانوس ست سنين؛ ثم ملك بعده قروقوس سبع سنين؛ ثم ملك بعده ياروس وشركته سنين؛ ثم ملك بعده دقلطيانوس إحدى وعشرين سنة، وهو آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم، وبمهلكه تزوخ النصارى إلى اليوم، وعصى عليه أهل مصر، فسار إليهم من رومية، وقتل منهم خلقا عظيما، وهم الذين يبرع عنهم النصارى الآن بالشهداء.

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رومية إلى قُسطنطينية
وبنى سورها وأستقرت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه ؛
ثم ملك بعده أبْنُه قُسطنطينُ قسيد دين النصرانية وبنى الكائس الكثيره ؛ ثم ملك
بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو ابن أخى قُسطنطين المتقدم ذكره ،
فرفض دين النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج الملك عن
بنى قُسطنطين ؛ ثم ملك بعده بطريق من بطارقة الروم اسمه بوثيانوس ، ويقال
سيوثيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده
قالتيانوس أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك
بعده باردوسوس الكبير تسعا وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده ادقاديدوس بقُسطنطينية
وشريكه أويوريوس رومية ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده مرقيانوس سبع
سنين ، وهو الذى بنى دير مارون بمحّص ؛ ثم ملك بعده واليطيس سنة واحدة ؛
ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة ؛
ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذى عمّر أسوار مدينة حماة ؛
ثم ملك بعده بوسيطنتوس تسع سنين ؛ ثم ملك بعده بوسيطنتوس الثانى ثمانيا
وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى
أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى ،
ويقال مرقوس أتتى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين ؛ ثم ملك
بعده هرقل وأسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذى كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ،
يدعوه إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه .

قال المسعودى : وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق ؛ ^(١١) (ثم ملك الروم بعده) قيصر بن قيصر ،

(١) وإليه نسب الله تعالى القوقية (فاموس مادة ق وق) .

وذلك في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حارب به أمراء الإسلام بالشام وأقتلوا الشام منه .

والذى ذكره في " التعريف " في مكتبة الاذفونش صاحب طليطلة من ملوك الفرنج بالاندلس أن هرقل الذى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه وكتب إليه لم يكن الملك نفسه ، وإنما كان متسلم الشام لقيصر ، وقصر بالقسطنطينية لم يرم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كتب لهرقل لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام . وعظيم بصرى كان عاملا له ، ويظهر أن قيصر الأخير الذى ذكره هو الذى كان المقوقس عاملا له على مصر . ويقال : إن المقوقس تقبل مصر من هرقل بتسعة حشر ألف ألف دينار .

وأعلم أنه كان الحال يقتضى أن تذكر ثواب من تقسم من ملوك الروم واليونان والقرى على مصر ، ولكن أصحاب التواريخ لم تتعّن بأمر ذلك ، فتعذر العلم به . وإذا ذكر الأصل ، استغنى به عن الفرع .

وذكر القضاى : أنه بعد عمارة مصر من نراب بختنصر ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين إلى أن صالحوهم على شيء في كل عام ، على أن يكونوا في ذمتهم ويمنهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس على الروم وظبوم على الشام وألحوا على مصر بالقتال ، ثم استقر الحال على خراج مصر أن يكون بين فارس والروم في كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الروم فارس وأخرجوهم من الشام وصار ماصولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم ، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبة الثالثة

(من وليها في الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(فيمن وليها نيابةً، وهو الصدر الأول، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عُثمَالُ الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

قد تقدم أنها لم تزل بيد الروم والقُوقُس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير في سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قبل عمر، وهو أول من وليها في الإسلام، وبقي عليها إلى سنة خمس وعشرين ، وبني الجامع العتيق بالقُسْطَاطِمْ ، ثم وليها عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العامري) فكث فيها إحدى عشرة سنة ، وتوفي سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (قيس بن سعد) الخزرجي في أول سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث الضبي) المعروف بالأشتر في وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتي ذكره في الكلام على اليهود إن شاء الله تعالى ، فمُتَّ ومات قبل دخوله إلى مصر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبي بكر الصديق) رضى الله عنه في آخر سنة سبع وثلاثين فكث دون السنة ؛ ثم وليها عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه (عمرو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبة بن عامر الجهني) في سنة أربع وأربعين فكث فيها ثلاث سنين وكُتِرَ ؛ ثم وليها عنه (مسلمة بن علقمة) الخزرجي سنة سبع وأربعين فكث فيها خمس عشرة سنة .

الطبقة الثانية

(عَمَّال خلفاء بنى أمية بالشام)

لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلى ابنه يزيد، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي) في سنة اثنتين وستين، فكث فيها ستين وكسراً؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهري) في سنة أربع وستين، وأقره على الولاية بعد يزيد ابنه معاوية، ثم مروان ابن الحكم، فكث فيها اثنتين وعشرين سنة؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مروان (عبد الله بن عبد الملك بن مروان) في أول سنة ست وثمانين، فكث فيها خمس سنين؛ ثم وليها عنه (قوة بن شريك) في سنة تسعين، وأقره عليها الوليد بن عبد الملك بعده، فكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبد الملك بن رفاعه) في سنة سبع وتسعين، فكث فيها ثلاث سنين وكسراً؛ ثم وليها عن عمر بن عبد العزيز (أيوب بن شرحبيل الأصبغي) آخر سنة تسع وتسعين، فكث فيها ستين وستة أشهر؛ ثم كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فوليا عنه (صفوان الكلبي) سنة إحدى ومائة، فكث فيها ستين وستة أشهر أيضاً؛ ثم وليها عن هشام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام في سنة خمس ومائة، فكث فيها أشهراً؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن يوسف الثقفي) في ذي الحجة سنة خمس ومائة، فكث فيها أربع سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) في سنة تسع ومائة وعزل فيها؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك في سنة تسع المذكورة، فكث فيها عشر سنين وكسراً، وتوفي سنة تسع عشرة ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهري) ثانياً في آخر سنة تسع عشرة ومائة، فأقام بها سبعة أشهر؛ ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) القى في القريزي يمين صفوان الكلبي.

(٢) أى ابن رفاعه ثانياً كما في القريزي.

ثانياً في سبعة عشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل؛ ثم وليها عن مروان بن محمد الجعدي؛ فوليا عنه (عصابة التيجي) سنة سبع وعشرين ومائة، فمكث فيها خمس سنين أو دونها؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (الفزاري) سنة إحدى وثلاثين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مروان) مولى لحكم سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو آخر من وليها عن بني أمية.

الطبقة الثالثة

(عمال خلفاء بني العباس بالعراق)

أول من وليها في الدولة العباسية عن أبي العباس السفاح: أول خلفائهم، (صالح بن علي) بن عباد، بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها أشهراً قليلاً؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بني أسد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (صالح بن علي) ثانياً في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. ثم وليها عن أبي جعفر المنصور (عبد الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (التقيب التميمي) سنة إحدى وأربعين ومائة، فمكث فيها سنتين؛ ثم وليها عنه (حميد الطائي) سنة ثلاث وأربعين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (يزيد المهدي) سنة أربع وأربعين ومائة، فمكث فيها تسع سنين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة اثنتين وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين

(١) لم يذكر أن حفظة كان أميراً على مصر فها سبق [ولكن في القرطبي] أن بشر بن مغوان استنطف أعياه حفظة على مصر حينما ولاه يزيد على إفريقية في سنة اثنتين ومائة فكان ولاه هذه المرة ثانية.

(٢) صوابه: ثم وليها عنه [أي من مروان] حسان بن عطاءية التيجي كما ذكره القرطبي واقام فيه أربعين.

ومائة ، فكث فيها سنة واحدة ؛ ثم ولها عنه (موسى بن عليّ التميمي) في سنة خمس وخمسين ومائة ، فكث فيها ستين وستة أشهر .

ثم ولها عن المهديّ (عيسى التميمي^(١)) سنة إحدى وستين ومائة ، فكث فيها سنة واحدة ؛ ثم ولها عنه (أصبح^(٢)) مولى المنصور في سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (زيد بن منصور) الحميريّ في وسط سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (يحيى أبو صالح) في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم ولها عنه (سالم بن سودة التميمي) سنة أربع وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (إبراهيم العباسي) في سنة خمس وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (معين الدين ختم) في سنة ست وستين ومائة .

ثم ولها عن الهادي (أسامة بن عمرو العامري) في سنة ثمان وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (الفضل بن صالح العباسي) في سنة سبع وستين ومائة ؛ ثم ولها عنه (علي بن سليمان العباسي) آخر السنة المذكورة .

ثم ولها عن الرشيد (موسى العباسي) في سنة اثنتين وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه (محمد بن زهير الأزدّي) سنة ثلاث وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه داود بن يزيد المهلبّي سنة أربع وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه (موسى بن عيسى العباسي) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها ؛ ثم ولها عنه (عبد الله بن المسيب الضبي) في أول سنة سبع وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه (هرثمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه (عبد الملك العباسي) في سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم ولها عنه (عبيد الله بن المهديّ العباسي) في سنة تسع وسبعين ومائة ؛ ثم ولها عنه (موسى بن عيسى) التتونيّ في آخر سنة ثمانين ومائة ؛ ثم ولها عنه (عبيد الله بن المهديّ) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ؛ ثم ولها عنه (إسماعيل بن صالح) في آخر السنة المذكورة ؛ ثم ولها عنه (سمية بن عيسى^(٣)) ابن إسماعيل) سنة اثنتين وثمانين ومائة ؛ ثم ولها عنه (البيّث^(٤) اليبوردي) في آخر السنة

(١) في القرزيّ الجعي . (٢) في القرزيّ واضح . (٣) في القرزيّ "إسماعيل"

المذكورة؛ ثم وليا عنه (أحمد بن إسماعيل) في آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليا عنه (عبد الله بن محمد العباسي) المعروف بأبن زَيْفَبَ في سنة تسعين ومائة؛ ثم وليا عنه (مالك بن دَحْلَم الكلابي) سنة اثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليا عنه أو عن الأمين (الحسين بن الحجاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ثم وليا عن الأمين (حاتم بن هرثمة بن أعين) سنة خمس وتسعين ومائة؛ ثم وليا عنه (عباد أبونصر) مولى كِنْدَةَ سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليا عنه أو عن المأمون (المطلب بن عبد الله الخزازي) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليا عن المأمون (العباس بن موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليا عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا في سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليا عنه (السري بن الحكم) في سنة مائتين؛ ثم وليا عنه (سليمان بن غالب) في سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليا عنه (أبو نصر محمد بن السري) في سنة خمس ومائتين؛ ثم وليا عنه (عبيد الله) في سنة ست ومائتين؛ ثم وليا عنه (عبد الله بن طاهر) مولى خُزَاعَةَ في سنة عشر ومائتين (وهو أول من جلب البَطِيخَ الخُرَّاسانيَّ المعروفَ بالبَيْدَلِ من خُرَّاسان إلى مصر فُلِسِبَ إليه)؛ ثم وليا عنه (عيسى الجلودي) في سنة ثلاث عشرة ومائتين؛ ثم وليا عنه (عمرو بن الوليد التيمي) في سنة أربع عشرة ومائتين؛ ثم وليا عنه (عيسى الجلودي) ثانيا في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليا عنه (عبدويه بن جبلة) في سنة خمس عشرة ومائتين؛ ثم وليا عنه (عيسى بن منصور) مولى بني نصر في سنة ست عشرة ومائتين .

(وفي هذه السنة دخل المأمون مصر وفتح الهرم) .

ثم وليا عن المعتصم بالله ^(١) المسعودي في أول سنة تسع عشرة ومائتين؛

(١) يياض في الأصل، والقي في المسعودي أن خلافة المعتصم كانت في سنة تسع عشرة ومائتين، وفي المقرئ أنه ولي على مصر في هذا التاريخ (صكيدر) ومات كيدر في ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولي أبيه (المقرر) بأستخلاف أبيه .

ثم وليها عنه (المظفر بن كيدر) في وسط السنة المذكورة أشهراً قليلاً ؛ ثم وليها عنه (أبو العباس الحقي) في آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (مبارك بن كيدر) في سنة أربع وعشرين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) في سنة ست وعشرين ومائتين .
ثم وليها عن الواثق بالله (عيسى بن منصور الجلودى) ثالث مرة في سنة تسع وعشرين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) ثانياً في سنة أربع وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (إسحاق الجلي) في سنة خمس وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (خزاعة) في سنة ست وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (عقبة الضبي) في سنة ثمان وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) في سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وأقره عليها بعده المتصر بالله ، ثم المستعين بالله .

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزَاحِم بن خاقان) في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) في سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهتدي بالله .

الضرب الثاني

(من وليها مُلكاً ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين)

وأولهم (أحمد بن طولون) وليها عن المعتمد في سنة ست وستين ومائتين وعمرها جامعه المتقدم ذكره في خطط القسطنطين ؛ وفي أيامه عظمَت نيابة مصر وتعمخت إلى المُلْك (وهو أول من جلب الممالك الترك إلى الديار المصرية وأستخلصهم في عسكرها) .

(١) مقتضاه أن المذكور روى عن الواثق في هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ؛ فالذكر كان من المتوكل قبل الصواب ثم وليها عن المتوكل فأمل .

وأقره المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتى مات فوليا عن المعتضد (نُحَارُويَه بن أحمد بن طولون) في أول سنة أئتين وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْشُ بن نُحَارُويَه) في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هرون بن نحارويه) في آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل في سنة أئتين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفي بالله (شَيْبَانُ بن أحمد بن طولون) في سنة أئتين وتسعين ومائتين فبقي أئتي عشروما وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (عبد بن سليمان الوائلي) في آخر سنة أئتين وتسعين ومائتين؛ ثم وليها عنه أُوَ عن المقتدر بالله (عيسى التوشري) في سنة خمس وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تكين) في سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) في سنة ثلاث وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (هلال) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْفَلُج) في سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثالث مرة في السنة المذكورة .

ثم وليها عن القاهرة بالله (مجد بن طنج) في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْفَلُج) ثانيا في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفي . ثم المستفي بالله بعده .

ثم وليها عن المطيع لله (أبو القاسم الأخشيد) في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (علي بن الأخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (كافور الأخشيد) الخادم في سنة خمس وخمسين وثلثمائة، وكان يحب العلماء والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاملهم بالصفقات، ويكثر الصدقات حتى آستفى الناس في أيامه، ولم يجد أرباب

الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفضوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتئوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا ؛ ثم وليا عنه (أحمد بن عليّ الأخشيدي) في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وهو آخر من وليا من العمال عن خلفاء بني العباس بالعراق .

الطبقة الثانية

(من وليا من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعباسيين)

أول من وليا منهم (المعز لدين الله أبو تميم محمد بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي) وإليه ينسبون ، جهز إليها قائده : جوهرا من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحها في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة على ما تقدم في الكلام على قواعد الديار المصرية وأهبطت الخطبة العباسية منها ؛ ورحل المعز من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصره بالقاهرة في سابع رمضان سنة أثنين وستين وثلاثمائة وصارت مصر والمغرب مملكة واحدة وبلاد المغرب نيابة من مصر ، وتوفي ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة .

ثم ولي بعده أبوه (العزير بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه ، وإليه ينسب الجامع العزيزي بمسينة بليبس ، وتوفي بالحمّام في بليبس ثامن رمضان المعظم قرنه سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

ثم ولي بعده أبوه (الحاكم بأمر الله أبو عليّ المنصور) ليلة وفاة أبيه ، وبني الجامع الحاكمي في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وهو يومئذ خارج سور القاهرة ، وفارق مصر ونرج إلى الجبل المقطم فوجدت ثيابه مزررة الأطواق وفيها آثار السكاكين ولا جثة فيها ، وذلك في سلخ شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يُسك في قتله .
والدُرِّيَّة يعني المتدعة يعتقدون أنه حنّ وأنه سيرجع ويسود على ما سيأتي في الكلام على أعيانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولى بعده أبنة (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي) وتوفي حتى توفي في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده أبنة (المستنصر بالله أبو تميم محمد) بعد وفاة أبيه . وفي أيامه جُندُ سور القاهرة الكبير في سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفي في ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وفي أيامه كان الغلاء الذي لم يعهده مثله ، مكث سبع سنين حتى تَرَبَّتْ مصرُ ، ولم يبق بها إلا صُباية من الناس على ما تقدم في سياقة الكلام على زيادة النيل . ثم ولى بعده أبنة (المستعلي بالله) أبو القاسم أحمد يوم وفاة أبيه . وتوفي لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الأمير بأحكام الله أبو علي المنصور) في يوم وفاة المستعلي ، وقتل بجزيرة مصر في الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعده ابن عمه (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمر أبي القاسم محمد) يوم وفاة الأمر . وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الطاهر بأمر الله إسماعيل) رابع جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده أبنة (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحة وفاة أبيه . وتوفي في سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (أبنة العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز . وتوفي يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطان صلاح الدين خُطْبَتَهُ بالديار المصرية وخطب الخلفاء الباسيين ببغداد قبل موته ، وهو آخر من ولى منهم .

الطبقة الثالثة

(ملوك بني أيوب)

.. وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بني السَّاس فهم ملوكٌ مستقلُّون، وفي دولتهم زاد ارتفاع قدرِ مصرٍ ومَلِكِها .

أول من ملك مصر منهم الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام رحمه الله قد جهَّزه بحبَّةِ عمه : أسيد الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين استنات به أهل مصر في زمن العاضد الفاطمي المتقدِّم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاث مرَّات انتهى الحال في آخرها إلى أن السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور قتلَه وتخلَّدَ عنه أسدُ الدين شيركوه الوزارة مكانه عن العاضد، وكتبَ له بذلك عهدن إنشاء القاضي الفاضل، فأقام فيها مدَّةَ قريبة ومات، فقوض العاضد الوزارة مكانه للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهد من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وبقي في الوزارة حتى ضعف العاضد وطال ضعفه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبة للعاضد، وخطب للخليفة العباسي ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقلَّ السلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقوى جأشه ، وثبتت في الدولة قلمه . وتوفى بدمشق في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ؛ وكانت مدَّة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة وملكه الشام تسع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده مصر أبْنُه (الملك العزيز) وملك معها دمشق وسأبها إلى عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وتفرقت بقية الممالك الشامية بيد بني عمه من بني أيوب .

ملك مصر والشام جميعاً في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ؛ وتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وستائة .

ثم ملك بعده أبنته (الملك الكامل) عقيب وفاة أبيه المذكور، وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدم ذكره في الكلام على القلعة، واستمر في ذلك عشرين سنة، وفتح حران وديار بكر، وكان الفرنج قد استمادوا بعض ما فتحه السلطان صلاح الدين من ساحل الشام، وكتب الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون بأيدي الفرنج القلاع والتواحي التي ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين، وهي جبلة، وبيروت، وصيدا، وقلعة الشقيف، وقلعة ينتين، وقلعة هونين، وإسكندرونة، وقلعة صغد، وقلعة الطور والجحون، وقلعة كوكب، ومجمل يافا ولُد، والرملة، وعسقلان، وبيت جبريل، والقدس وأعمال ذلك ومضافاته. وبني مدرسته الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث، وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أبنته (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل في أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أبنته الملك المعظم (توران شاه) وهو الذي كسر الفرنج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة، وقتل في الثامن والعشرين من المحرم المذكور. ثم ملك بعده أم خليل (شجرة الدر) في صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأقامت ثمانية أشهر، ولم يملك مصر في الإسلام امرأة غيرها.

ثم ملك بعدها الملك الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل ابن العادل أبي بكر بن أيوب) في شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية.

(١) سيأتي له في الجزء الرابع حكى "مجداليا"

الطبقة الرابعة

(ملوك التُّرك خَلَدَ اللهُ تعالى دولتهم)

أول من ملكها منهم (الملك المُنْزُ أَيْك التُّركاني) بعد خلع الأشرف موسى : آخر ملوك الأيوبية في شِوَالِ سنة ثمان وأربعين وستمائة ؛ وُجِّعَ له بين مصر والشام ، واستقرَّ الجمع بينهما إلى الآن ، وبنى المدرسة المُنْزِيَّة بِرَحْبَةِ الخُزُوبِ بالقُسْطَاطِ ، وتزوج بأم خليل الملقم ذكرها ، وقتل بِجَمَامِ القلعة في سنة أربع وخمسين وستمائة . ثم ملك بعده أبْنُه (الملك المنصور على) عقيب وفاة والده المذكور . وقَتَلَ أم خليل المذكورة ، ورَمَت من سُورِ القلعة ، وقُبِضَ على المظفر ^(١) سنة سبع وخمسين وستمائة . ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُز) وَكَانَ المَصَافُ بينه وبين التار على عَيْنِ جالوت بعد أن استولوا على جميع الشام في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكسره ثم أشدَّ كسرة وأستقلَّ الشام منهم ، وبقَى حتَّى قتل في مُنْصَرَفِهِ بطريق الشام وهو مائد منه بالقرب من قصر الصالحية على أَرْضِ ذلك في السنة المذكورة .

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البَنْدُكْدَارِي في ذِي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأخذ في جهاد الفرنج واستعادة ما أرتجمعه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وذلك ففتح البيرة في سنة تسع وخمسين وستمائة والكرك في سنة إحدى وستين ، وحصن في آخر سنة اثنتين وستين وستمائة ، وقيسارية وأرسُوف في سنة ثلاث وستين ، وصَفَدَ في سنة أربع وستين ، وبَافَا والشَّقِيف ، وأُنْطَاكِية في سنة ست وستين ، وحصن الأكراد وعكا وصافيتا في سنة تسع وستين ، وكسَر التَّارَ على البيرة بعد أن عدَّى القُرَاتِ خوضا بمساركه في سنة إحدى وسبعين ؛ وفتح قلاعا من بلاد سِيس في سنة ثلاث وسبعين ، ودخل بلاد الروم ، وجلس على

(١) لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المرقى السلطة . وأُنْظِرَ المقام في خطط المقرئ (ج ٢ ص ٢٣٧) -

كرمى بنى سَلْجُوقَ بَقِيَّاسَارِيَّةَ الروم، ورجع إلى دمشق في آخر سنة خمس وسبعين .
وتوفيَّ بدمشق في المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وبني مدرسته الظاهرية
بين القصرين .

وملك بعده أبْنُه (الملك السعيد بَرَكَة) في صفر سنة ست وسبعين وستمائة ،
وخلَّع وسُيِّرَ إلى الكرك .

وملك بعده أخوه (الملك العادل سلامش) في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين
وستمائة ، وبقي أربعة أشهر ثم خلع .

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحى) الشهير بالأففى في رجب سنة ثمان
وسبعين وستمائة ، وسمى الأففى لأن أفئسقر الكامل كان قد اشتراه بالف دينار، وفتح
حصن المرقب بالشام في تاسع عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائة ، وفتح
طَرَابُلُسَ في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وهو الذى بنى البيارستان
المنصوريَّ والمدرسة المنصورية والقبة اللتين داخل البيارستان بين القصرين . وتوفيَّ
بظاهر القاهرة المحروسة ، وهو قاصد الفزو في ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة
ودفن بترتبه بالقبة المنصورية داخل البيارستان المتقدم ذكره .

وملك بعده أبْنُه (الملك الأشرف خليل) صبيحة وفاة أبيه وأخذ في الفزو ففتح صكا
وصُور ، وصيدا ، ويروت ، وعثليت ، والساحل جميعه ، وأقطعته من الفرنج في رجب
سنة تسعين وستمائة ، وقتل في منصبيته بالبحيرة في العشر الأوسط من المحرم سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ، وهو الذى عمّر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى .

ثم ملك بعده (الملك العظيم بيدرا) وخلع من يومه .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) في صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ،
وهى سلطنته الأولى . وخلَّع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فحبس بها .

وملك بعده (الملك العادل كتيبا) عقب خلعه، ووقع في أيامه غلاء شديد وفناء عظيم؛ ثم خلع في صفر سنة ست وتسعين وسمائة، وتولى بعد ذلك نيابة صرند ثم حماة، وبقي حتى توفي بعد ذلك؛ وهو الذي آتبدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصر محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاجين) في الخامس والعشرين من صفر المذكور^(١) بحدّد الجامع الطولوني وعمل الروك الحسامي في رجب الفرد سنة سبع وتسعين وسمائة، وقتل في الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة، وبقي الأمر شورى مدة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة في حادي عشر شوال من السنة المذكورة .

وملك بعده (الملك المظفر بيبرس الجاشنكي) في الثالث والعشرين من شوال المذكور وخلع في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعائة، وهو الذي عمر انطاقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجمّد الجامع الحاكمي .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) في مستهل شوال من السنة المذكورة، وهي سلطته الثالثة . وفيها طالت مدته وقوى ملكه، وعمل الروك الناصري في سنة ست عشرة وسبعائة، وبنى مدرسته الناصرية بين القصرين، وبقي حتى توفي في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة، ودفن بتربة والده . ثم ملك بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة أربعين وأربعين وسبعائة .

(١) أي سنة ست وتسعين وسمائة .

(٢) في المقريزي "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسمائة" وإن تولية ابن قلاوون المرة الثانية في السادس من جمادى الأولى من السنة المذكورة وبقي إلى الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وسبعائة ثم ولي المظفر في التاريخ المذكور . [وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويظهر ما في الأصل] .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الأشرف بك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه المنصور المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .
ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر أحمد) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أحضر من الكرك، وآسى في السلطنة حتى خلع نفسه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل) بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور، وبقي حتى توفي في ربيع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .
وملك بعده أخوه (الملك المنصور جاسي) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان ، وبقي حتى خلع في ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) بن الناصر محمد بن قلاوون في ربيع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح صالح) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الناصر حسن ، وبقي حتى خلع في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .
ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح ، وبقي حتى خلع وقُتل في عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ؛ وبني مدرسته المعظمة تحت القلعة التي ليس لها نظير في الدنيا، وفي أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ماسياتي ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلابه .

(١) سقط حرف قلم التاج الكامل شعبان فانه تولى بعد أخيه إسماعيل وبكت سنة واحدة وخمسة وخمسين يوما ثم خلع كما تشير إليه بقية العبارة .

وملك بعده ابن أخيه (الملك المنصور محمد) بن المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن، وبقى حتى خلع في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعائة .

وملك بعده ابن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع المنصور المتقدم ذكره وهو طفل، وبقى حتى بكل سلطانه وبني مدرسته بأعلى الصوة تحت القلعة ولم يتها، وجمع نخرج عليه بمالكة في عقبة أيلة فقر منهم وعاد إلى القاهرة فقبض عليه وقتل في ثالث ذي القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعائة، وفي أيامه فصح مدينة سيس وأقلعت من الأرمن على ما سيأتي ذكره في الكلام على أعمال حلب .

وملك بعده ابنه (الملك المنصور علي) يوم خلع أبيه وهو طفل، فبقى حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجي) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه، وبقى حتى خلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظم أمره، وأرتفع صيته، وشاع ذكره في الممالك وهابته الملوك وهادته، وساس الملك أحسن سياسة، وبقى حتى خلع وبعث به إلى السجن بالكرك في شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجي) بن شعبان، وهو الملقب أؤلا بالصالح حاجي وهي سلطنته الثانية، وبقى حتى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدم ذكره في سنة [اثنتين ^(١) وتسعين وسبعائة، فزاد في التيه وضخامة الملك، وبلغ شأوا لم يبلغه غيره من غالب متقدمي الملوك، وبقى حتى توفي في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

وملك بعده أبنة (الناصر فرج) وسنة إحدى عشرة سنة بعد من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراء دولته، فبقى حتى تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمراءه، وحضر الممالك بالقلعة، فقتل منها مخفياً على حين غفلة في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لا ابتداء أمره أين توجه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) في التاريخ المذكور .

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجاً كان مخفياً في بعض أماكن القاهرة، فركب في ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه، ونخرج الأمراء للقيام بنصرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرج، ومن معه فوَلَّوْا هارين، وطلع السلطان الملك الناصر القلعة في صبيحة النهار المذكور وأستقر على عادته، وبقى في السلطنة حتى توجه إلى الشام لقتال الأمير شيخ والأمر نوروز تاجي دِمَشْقَ وَحَلَبَ، ومعه الإمام (المستعين بالله أبو الفضل العباس) بن المتوكل محمد خليفة مصر، ودخل دِمَشْقَ وحصر بقلعتها حتى قبض عليه في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأستبد الإمام المستعين بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العلامات على المكتابات والتقايد والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد أسمه في السكة على الدنانير والدرهم، وأفرد بالدعاء في الخطبة على المنابر، ثم عاد إلى الديار المصرية في أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة، وسكن الأدر السلطانية بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأمير شيخ المقدم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وقوض إليه الإمام المستعين بالله ماوراء مصر والخلافة، وكتب له تهرىض بذلك في قطع كبير، عرَّضه ذراع ونصف زيادة نصف ذراع عما يكتب به السلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الأمرى بإسقاط الياء على ما سأتى ذكره في الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية

(في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في ذكر معاملاتها، وفيه ثلاثة أركان)

الركن الأول

(الائتمان، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية، أو يأتي إليها من المسكوك

في غيرها من الممالك، وهي ضربان)

الضرب الأول

(ما يتعامل به وزناً كالذهب المصري وما في معناه)

والعبارة في وزنها بالمتاقيل، وضابطها أن كل سبعة متاقيل زنتها عشرة دراهم من الدراهم الآتي ذكرها، والمقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً، وقدر شنتين وسبعين حبة شعير من الشعير الوسيط بأضاق العلماء، خلافاً لأن حزم فإنه قدره بأربع وثمانين حبة، على أن المقال لم يتغير وزنه في جاهلية ولا إسلام.

قلت: وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين بعد السبعين والسبعائة ضرب بالإسكندرية، وهو نائب السلطنة بها يومئذ، دنانير زنة كل دينار منها مقال، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه الآخر "ضرب بالإسكندرية في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين عز نصره"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر؛ ثم ضرب الأمير يلغا السالمى أستاذار
العالية فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال، فى وسط
سكتة دائرة فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان،
وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكانهم
جعلوا نقصها فى نظير كلفة ضربها .

الضرب الثانى

(ما يتعامل به معانة)

وهى دنانير يؤتى بها من بلاد الإفرنجية والروم ، معلومة الأوزان ، كل دينار منها
معتبر بتسعة عشر قيراطا ونصف قيراط من المصرى ، وأعتبره بصنع الفضة
المصرية كل دينار زنة درهم وحبى ثروى يربح قليلا ، وهذه الدنانير مشخصة على
أحد وجهها صورة الملك الذى تُضرب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس
وبولس الخواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية ، ويعبر عنها
بالإفرنجية جمع إفرنج ، وأصله إفرنجى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلى
إفرنجية : مدينة من مدنها ، وربما قيل فيها إفرنجية ، وإليها تنسب طائفة الفرنج ،
وهى مقرة الفرنسيس ملكهم ، ويعبر عنه أيضا بالدوكات . وهذا الاسم فى الحقيقة
لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البندقيّة من الفرنجة ، وذلك أن الملك أسمه عندهم
دوك ، وكان الألف والتاء فى الآخر قاعمان مقام ياء النسب .

. قلت : ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الإفرنجية
المتقدمة الذكر ، فى أحد الوجهين " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وفى الآخر أسم
السلطان ، وفى وسطه سقطة مستطيل بين خطين ، وعرفت بالناصرية وكثر وجدها ،

(١) أى عن الله يشار من تلك الدنانير .

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يتقصونها في الأمان عن الدنانير الإفريقية عشرة دواهم .

ثم ضرب على نظيرها "الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس" ^(١) حين أسند بالأمر بعد الناصر فرج، ولم يتغير فيها غير السكة، باعتبار انتقالها من اسم السلطان إلى اسم أمير المؤمنين .

ثم صرف الذهب بالدينار المصرية لا يثبت على حالة بل يدوارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الحال، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما أدركناه في التسعين والسبعائة وما حولها عشرون درهما، والإفريقي سبعة عشر درهما وماقارب ذلك أما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصا في سنة ثلاث عشرة وثمانائة، وإن كان في الدولة الظاهرية ببيرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته في بعض التواريخ .

أما الدينار الجشي، فسمي لاحتقائه، وإنما يستعمله أهل ديوان الجيش في صرة الإقطاعات بأن يعملوا لكل إقطاع صرة دنانير معينة من قليل أو كثير، وربما أخلت بعض الإقطاعات من الصرة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة في تعيينها، فربما كان متحصّل مائة دينار في إقطاع أكثر من متحصّل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر . على أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينار الجشي في الإقطاعات على طبقات مختلفة في صرة الإقطاعات، فالأجناد من الترك والأكراد والتركين دينارهم كامل، والكثانية والعساقلة ومن يجرى مجراهم دينارهم نصف دينار، والعربان في الغالب دينارهم ثمن دينار، وفي عرف الناس ثلاثة عشر درهما وثلاث، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش في الزمن

(١) كذا في "حياة الحيوان" أيضا وفي "مرجع الذهب" أبو العباس كاسبيغ في الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب في الزمن الأول كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند من قدرها بالتقد من الفقهاء ألف دينار وأثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النوع الثاني

(الدراهم النقرة)

وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تهتم في الدنانير، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة على ما سيأتى ذكره في الكلام على دار الضرب فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والعبرة في وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر بست عشرة حبة من حب الخروب، فتكون كل ثروبتين درهم، وهي أربع حبات من حب البرالمعتدل، والدرهم من الدينار نصفه ونحوه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

أما الدراهم السوداء، فاسمها على غير مسميات كاللنانير الجيشية، وكل درهم منها معتبر في العرف بثلاث دراهم نقرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتي الكلام عليها في معاملة الإسكندرية إن شاء الله تعالى .

النوع الثالث

(الفلوس، وهي صفتان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع)

فأما المطبوع فكان في الزمن الأول إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون فلوس لطاف، يتبركل ثمانية وأربعين قلّسا منها بدرهم من النقرة على اختلاف السكة فيها، ثم أُحدث في سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُند جمع جَلِيد، زِنَهُ كُلُّ قَلَسٍ مِنْهَا مَتَقَالٌ، وكل فلوس منها قيراطٌ من الدرهم، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية على ما سيأتى ذكره في الكلام على دار الضرب إن شاء الله تعالى، بَخَسَتْ في نهاية الحُسْنِ، وبطل ما عداها من القُلُوسِ، وهى أكثر ما يتعامل به أهل زماننا. إلا أنها فسد قانونها في تنقيصها في الوزن عن المتقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقبان كُلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصرى بمبلغ خمسمائة درهم، ثم أخذت في التناقص لصغر الفلوس وقص أوزانها حتى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة. قلت: ثم استقر الحال فيها^(١) على أنه لو جعل كل أوقية فادونها بدرهم، لكان حسنا باعتبار غلو النحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، وحمل التجار الفلوس المضروبة من الديار المصرية إلى الجواز واليمن وغيرها من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تنفد القُلُوس من الديار المصرية، ولا يوجد ما يتعامل به الناس.

وأما غير المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعق، وكانت في الزمن الأول كل زنة رطل منها بالمصرى بدرهمين من الثقرة، فلما سُحِلَت الفلوس الجُند المتقدمة الذكر، استقر كل رطل منها بدرهم ونصف، وهى على ذلك إلى الآن.

قلت: ثم قَدِمَت هذه الفلوس من الديار المصرية لعلو النحاس، وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُند وراج معها على مثل وزنها.

(١) لعل الأوضح ثم استقر الحال فيها على ذلك على أنه الخ تامل.

الركن الثاني

(في الثمنات ، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الموزونات)

ورطلها الذي يعتبر بوزنه في حاضرتها من القاهرة والقسطنطين وما قاربهما الرطل المصري ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما ، وأوقيته اثنا عشر درهما ، وعنه يتفرع القنطار المصري ، وهو مائة رطل ، وتعتبر أوزان الطيب بها بالطن ، وهو مائتان وستون درهما ، وأوقيته ست وعشرون أوقية ، فتكون أوقيته عشرة دراهم .

النوع الثاني

(المكيالات من الحبوب ونحوها)

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ أَفْدَاحِ مُخْتَلَفَةِ الْمَقَادِيرِ أَيْضًا كَالْأَرْطَالِ بِحَسَبِهِ ، وَلِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْهَا قَدَحٌ مُخْصِصٌ بِحَسَبِ إِرْدَبِهَا ، وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا بِالْحَاضِرَةِ الْقَدَحُ الْمَصْرِيُّ ، وَهُوَ قَدَحٌ صَغِيرٌ تَقْدِيرُهُ بِالْوِزْنِ مِنَ الْحَبِّ الْمُحْتَلِ مِائَتَانِ وَأَثْنَانِ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا ، وَقَدْرُهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنِ رَزِينٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى صَبَاحِ الْفِطْرَةِ بِأَثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ حَبَّةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَثْنَيْنِ وَسِتِّينَ حَبَّةً ، وَكُلُّ سِتَّةٍ عَشَرَ قَدَحًا تَسْعَى وَبَيْتَةً ، وَكُلُّ سِتَّةٍ وَتِسْعِينَ قَدَحًا تَسْمَى إِدْرَبًا ، وَبَنَوَاحِيهَا بِالْوُجْهِينِ الْقَبِيلِ وَالْبَحْرِ أَرَادَبٌ مِثْلُ مَقْدَارِ الْإِرْدَبِ فِي بَعْضِهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَبَيْتَةً بِالْمَصْرِيِّ فَأَكْثَرُ .

النوع الثالث

(المقيسات، وهى الأراضى والأشعة)

فأما الأراضى فصنفان :

الصنف الأول

(أرض الزراعة)

وقد أصطلح أهلها على قياسها بقصبة تعرف بالحاكية ، كأنها حررت في زمن
اللاكم بأمر الله القاطمى فسببت إليه ، وطولها ستة أذرع بالهاشمى كما ذكره
أبو القاسم الزجاجى في "شرح مقدمة أدب الكاتب" ونحسة أذرع بالشجارى كما ذكره
أبن ممتاى في "قوانين اللواوين" وعمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما ؛
وذراع اليد ست قبضات بقبضة إنسان معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر
والخنصر والوسطى والسبابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن على
ما تهتم في الكلام على الأميال . وقد تهدر القصبة بياضين من رجل معتدل ؛ وربما
وقع القياس في بعض بلاد الوجه البحرى منها بقصبة تعرف بالسندقاوية أطول من
الحاكية بقليل ، نسبة إلى بلد تسمى سندقا بالقرب من مدينة المحلة ، ثم كل أربعائة
قصبة في التكسير يسير عنها بفدان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ست عشرة
قصبة في التكسير .

الصنف الثانى

(أرض البئان من اللور وغيرها)

وقد أصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل
معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجى

أنه ذراع وثلاث بذراع اليد، وكان آتبداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد
 ابن أبيه حين ولّاه معاوية العراق وأراد قياس السّواد، جمع ثلاثة رجال : رجلاً
 من طوال القوم ورجلاً من قصارهم ورجلاً متوسطاً بين ذلك ، وأخذ طول ذراع
 كل منهم ، بجمع ذلك وأخذ ثلثه ، بفعله ذراعاً لقياس الأرضين ، وهو المعروف
 بالذراع الزّيادةى لوقوع تقديره بأمر زياد، ولم يزل ذلك حتى صارت الخلقة لبني
 العباس فأتخذوا ذراعاً مخالفاً لذلك كأنه أطول منه، فسمّى بالمهاشمى لوقوعه في خلقة
 بني العباس، ضرورة كونهم من بني هاشم .

وأما الأقمشة ، فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع
 مطبوعة ، ويزيد عليه ذراع القماش بالتسقاط بعض الشيء ، وربما زاد في بعض
 نواحي الديار المصرية أيضاً نحو ذلك . ولغير القماش من الأصناف أيضاً كالخصر
 وغيرها ذراع يخصه .

الركن الثالث

(في الأسعار)

وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار
 في زمانه فقال : وأوسط أسعارها في غالب الأوقات أن يكون الإردب القمح بخمسة عشر
 درهماً ، والشعير بسبعة^(١) ، وبقية الحبوب على هذا النموذج ؛ والأرز يبلغ فوق
 ذلك ؛ والحلم أقل سعره الرطل بنصف درهم ، وفي الغالب أكثر من ذلك ؛ والدجاج
 يختلف سعره بحسب حاله ، فحينئذ الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدونق منه بدرهم
 واحد ؛ والسكر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد ، والمكّر منه بدرهمين ونصف .

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبيتها ، و بقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعائة
فغلت الأسعار و تزايدت في كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله
وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذي المنن الحسيمة القادر على إعادة ذلك
على ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

الطرف الثاني

(في ذكر جسورها الخابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين استحقاق
الزراعة ، وأصناف أرضها ، وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة
بين كُتَّابها ، ومزارعها ، وبين أصناف مزروعاتها وأحوال زرعها)
فأما جسورها ، فعلى صنفين :

الصنف الأول

(الجسور السلطانية)

وهي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة التي تُعمر في كل سنة من الديوان
السلطاني بالوجهين : القليل والبحري ، ولها جرافيت ومحاريط وأبقار مرتبة على
غالب البلدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل
سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعرضه بكاشف الجسور بالعمل الثلاثي ،
ويعترف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربما أضيف كُشف
جسور عميل من الأعمال إلى متوَلَّى جريه ، ويقال في تعريفه : وإلى فلانة وكاشف
الجسور بها ، إذا كانت المكتبة بسبب شيء يتعلق بالجسور ، ولهذا الجسور كتب
منفرد بها مقرر في ديوانه ما على كل بلد من الجرافيت والأبقار ، وتكتب التذاكر

السلطانية لكاشف كل عمل في الورق الشامي المربع ، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالأعم الشريف ، والجسور خولة ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة الجسور إلى أن تنتهي عمارتها .

الصنف الثاني

(الجسور البلدية)

وهي الخاصة ببلد دون بلد ، ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية في إقطاعهم ؛ ولها ضرائب مقررة في كل سنة .

قال ابن ممتي في "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرى سوز المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارتها والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه ، والبلدية جارية مجرى الأدر والمساكن التي داخل السور ، كل صاحب دار منها ينتظر في مصلحتها ويقدم تقدير أمره فيها . قال : وقد جرت عادة الديوان أن المقطع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه في إقامة جسر لعمارة السنة التي أنتقل الخيرة عنه لها ، استعيد له نظير منفعته من المقطع الثاني ؛ وكذلك كل ما أنفق من مال سنته في عمارة مسنة غيره كان له استعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا ، وترك عمارة أكثر الجسور البلدية ، وأقتصرت عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذي لا يحصل به كبير نفع ، ولولا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة في النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لقات روى أكثر

البلاد وتمطلت زراعتها ﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً ﴾ وإلا فقد كان النيل في الغالب يقف على سبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدم من كلام المسعودي أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، استبحر من أراضيها الثلث .



وأما أنواع أرضها وما يختص بكل نوع من الأسماء، فإنها تختلف باختلاف الزراعة وعددها، وبسبب ذلك تتفاوت الرغبة فيها ويختلف قيمتها باختلاف قيمة ما يُزرع فيها، وقد مدّ منها ابن ممتى ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأول - الباق : قال ابن ممتى : وهو أثر القُرطِ والقَطَائِي والمقَائِي . قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاهما سعا وقطعية، لأنها تصلح لزراعة القمح والكتّان .

قلت : والمعروف في زماننا أن الباق أثر القُرطِ والقول خاصة . أما المقائى فإن أثرها يسمى البرش، وسيأتى ذكره فيما بعد .

النوع الثانى - رى الشراقى : قال ابن ممتى : وهو يقع الباق فى الجودّة، ويُحقّق به فى القطعية : لأن الأرض قد ظمئت فى السنة الماضية وأشتتت حاجتها إلى الماء . فلما رويت حصل لها من الرى بمقدار ما حصل لها من الظلم، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُحب .

النوع الثالث - البروبية، وأهل زماننا يقولون البرايب : قال ابن ممتى : وهو أثر القمح والشعير، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تَضُمُّ بزراعة هذين الصنفين . فتى زرع أحدهما على الآخر لم تقب كنجابة الباق وسعرها دون سعره ، ويجب أن تزرع قُرطًا وقَطَائِي ومقَائِي لتستريح الأرض وتصير باقا فى السنة الآتية .

النوع الرابع - البُقْهامة ، بضم الباء الموحدة وسكون القاف - وهو أثر النِّكَّان .
قال ابن ممتى : ومتى زُرِعَ فيه القمح لم يُنْحَبْ ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .
النوع الخامس - الشتونية ، وأهل زماننا يقولون الشتانى : وهو أثر ما رَوَى
وبار فى السنة الماضية . قال ابن ممتى : وقطيعته دون قطعة الشراقى .

النوع السادس - شق شمس ، قال ابن ممتى : وهو عبارة عما رَوَى وبار
فُحِرَتْ وعُطِّلَ ، وهو يجرى مجرى الباق ورى الشراقى ، ويحىء ناجب الزرع .
النوع السابع - البرش القاء ، قال : وهو عبارة عن كل أرض خَلَّتْ من أثر
ما زرع فيها للسنة الماضية ، لا شاغل لها عن قبول ما نوعه من أصناف المزدروعات .
النوع الثامن - الوسخ المزدرع ، قال : وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم
وسخها ، ولم يَقْدِر المزارعون على استكمال إزالته منها فخرثوها وزرعوها وطلع زرعها
مختلطاً بوسخها .

النوع التاسع - الوسخ الغالب : وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من
النبات الذى شَقَلَهَا عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرته عن
الزراعة فيها ، وهى تباع مراعى للبهائم .

النوع العاشر - الخرس : وهو عبارة عن فساد الأرض بما استحكم فيها من
موانع قبول الزرع ، وهو أشد من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح ، وهى مرعى
الدواب .

النوع الحادى عشر - الشراقى : وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء لقصور
النيل وعلو الأرض ، أو سد طريق الماء عنه .

النوع الثاني عشر - المستبحر : وهو عبارة عن أرض واطئة إذا حصل الماء فيها لا يحد مصرفا له عنها فيمضي زمن المزارعة قبل زواله بالثُبوب . قال ابن ممتى : وربما آتتفع به من أزدرع الأرض بالاستقاء منه بالسواقي لما زرعه في العُلُو .

النوع الثالث عشر - السباخ : وهو أرض غلب عليها الملح فملحت حتى لم يَنْتفع بها في زراعة الحبوب ، وهي أَرْدَى الأَرْضِينَ . قال ابن ممتى : وربما زرع فيها لم يستحكم منها الهليون والباذنجان ، وربما قطع منها ما يسبح به الكُكُن ، ويزرع فيها القصب الفارسي فيُتجِب .

الطرف الثالث

(في وجوه أموالها الديوانية، وهي على ضربين : شرعى وغير شرعى)

الضرب الأول الشرعى ،

(وهو على سبعة أنواع)

النوع الأول

(المال الخراجى : وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين؛ وله حالان)

الحال الأول - ما كان عليه الأمر في الزمن المتقدم ، وقد أورد ابن ممتى في "قوانين الدواوين" ما يقتضى أنه كان على كل ضئيف من أصناف المزدروعات قطعة مقرزة في الديوان السلطاني لا يختلف أمرها : فذكر أن قطعة التمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين ونعممائة عن كل فدان ثلاثة أراذب ، ثم إنه تقرر عند المساحة في سنة اثنتين وسبعين ونعممائة إردبان ونصف إردب ، ثم قال : ومن

ذلك ما يباع بعين، ومنه ما يُزرع مُشاطرة . قال : وقطية الشعير كذلك ؛ وقطية
 الفول عن كل فدان من ثلاثة أراذب إلى إردبين ونصف ؛ وقطية الجلبان والجحص
 والدَس عن كل فدان إردبان ونصف ؛ وقطية الكَن تختلف باختلاف البلاد . ثم
 قال : وهى على آخر ما تقرر فى الديوان عن كل فدان ثلاثة دنانير إلى مادنوها ؛
 وقطية القُرط بالديوان عن كل فدان دينار واحد ، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطية
 الثوم والبصل عن كل فدان ديناران ؛ وقطية الترمس عن كل فدان دينار واحد
 وربع ؛ وقطية الكُون والكراويا والسلجم الصبغى عن كل فدان دينار واحد .
 قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطية البطيخ الأخضر والأصفر ، وألوياء عن
 كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية السَّم عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية القطن
 كذلك ؛ وقطية قصب السكر عن كل فدان إن كان رأساً خمسة دنانير ، وإن كان
 خلة ديناران ونحمة قراريط ؛ وقطية القلقاس عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية
 النيلة عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية القبل عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطية
 اللب كذلك ؛ وقطية الخس عن كل فدان ديناران ؛ وقطية الكُرْب كذلك .
 قال : والقطعة المستقرة عن خراج الشجر والكرم تختلف باختلاف سنيته . ثم قال :
 وهو يدرك فى السنة الرابعة ويقترب على كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطية القصب
 الفارسى عن كل فدان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى - ما الأمر عليه فى زماننا ، والحال فيه مختلف باختلاف البلاد .
 فالوجه القليل الذى هو الصعيد أكثر خراجه غللاً من قح وشعير وحجص وفول
 وعدس وبسلة وجلبان ، ويبر فى عرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والجحص
 بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدان من الأصناف المذكورة ما بين
 إردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها في الزيادة والنقص في الأردب والدرهم؛ وربما كان الخرج في بعض هذه البلاد دراهم؛ وما باو من أرض كل بلد يباع ما بنت فيه من المريع^(١) متجرة، وربما أخذ فيه العبد^(٢) على حسب عرف البلاد.

والوجه البحري غالب نخراج بلاده دراهم، وليس فيه من نخراج بلاده غلة إلا القليل على العكس من الوجه القلبي.

ثم الذي كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعائة في غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقي كل فدان بأربعين درهما فما حوله، والبراب كل فدان بثلثين درهما فما حوله، ثم غلا السعر بعد ذلك حتى جاوز الباقي المائة والبراب الثمانين، وبلغ البرش نحو المائتين، وذلك عند غلو الغلال وارتفاع سعرها.

قلت : ثم تزايد الحال في ذلك بعد الثمانمائة إلى ما بعد العشر والثمانمائة حتى صار يؤخذ في الباقي عن كل فدان نحو الأربعمائة درهم، وربما زادت الأرض الطيبة حتى بلغت ستمائة درهم، وفي البراب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ ثم إنه إذا كان المقرر في نخراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنف من الأصناف أن يؤخذ البذل عنها من صنف آخر من الغلة.

وقد ذكر في "قوانين النواوين" أن قاعدة البذل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن القول إردب واحد ونصف، ومن الحمص إردب، ومن الجلبان إردب ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بالعداد المراعى الزامية : من الأبل والبقر والغنم.

(٢) في التركيب ركاكة والمعنى مفهوم.

القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الحنص أو ثلثا إردب من الجلبان ؛ وفي القول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو نصف إردب من الشعير أو ثلث إردب من الحنص أو إردب من الجلبان ؛ وفي الحنص يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجلبان ؛ وفي الجلبان يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلث إردب من الحنص . ثم قال : والسَّمِمْ والسَّجْمُ والْحَكَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والأحياط في جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر ، فإنه أسلم طريقة وأحسن عاقبة .

وأعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القليل والبحرى يجتمعها جارية في الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا الترتير اليسير مما يمرى في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يُستد به لقلته .

والجارية في الدواوين على ضربين .

الضرب الأول

(ما هو داخل في الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(ما هو جار في ديوان الوزارة ؛ وأعظمه خطرا وأرفعه قدرا جهتان)

إحداهما - عمل الخيزية المتقدم ذكره في أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرين بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومستوف وشهود وصير في وغيرهم ، وغالب

نحاجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه في جملة مصارف بيت المال ، وربما حمل من بعضها الغلة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء السلطانية بالقسْطاط ، ومن أرضها تفرد الإطلاقات ؛ وينسدر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأهراء والممالك السلطانية .

الثانية - عمل متقوَّط ، وله مباشرون كما تقدم في الجزية بل هي أرفع قدرا وأكثر متحصلا ، وغالب نحاجه خلال : من قح وقول وشعير ، وغلالها تحمل إلى الأهراء السلطانية بالقسْطاط ، ويصرف منها في جملة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمتأخات وغير ذلك ، وربما حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المال فيثبت فيه ويصرف منه على ما تقدم في الأعمال الجزية ، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية في ديوان الوزارة موزعة في الأعمال بالوجهين القبلي والبحري ، وهي في الوجه القبلي أكثر ، ولكنها قد تناقصت في هذا الزمن حتى لم يبق فيها إلا بعض بلاد بالوجه القبلي .

الصف الثاني

(ما هو جار في ديوان الخالص)

وهو الديوان الذي أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سيأتي ذكره ؛ وأعظم بلاده وأرضها قدرا مدينة الإسكندرية فلها في الغالب مضافة إليه ؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشاذين وغيرهم . وربما أُنحرت عنه في جهات أخرى تجارية فيه ، ولها ترؤبة وقوة وقسْطوه ، ومأل جنيها يحمل إلى خزنة الخالص الآتي ذكرها تحت نظر ناظر الخالص الآتي ذكره .

الصنف الثالث

(ما هو جارف الديوان المفرد)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" في سلطنته، وأفرد له بلدا، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورُتب عليه نفقة مما يليكه من جامكيات وطبق وكُسوة وغير ذلك .

قلت : وليس هو المقترع لهذا الاسم بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى الديوان المفرد .

الصنف الرابع

(ما هو جارف ديوان الأملاك)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدم ذكره، وأفرد له بلدا سماها أملاكا، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كُفّة .

الضرب الثاني

(ما هو جارف الإقطاعات)

وهو جُلُّ البلاد بالوجهين القليل والبحري؛ والبلاد النقيصة الكثيرة المتحصّل في الغالب تقطع للأمرء على قدر درجاتهم، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة؛ وما دون ذلك من البلدان يقطعُ للإليكَ السلطانية، يشترك الأئمة في فوقهما في البلدة الواحدة في الغالب، وربما آفرد الواحد منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحلقة تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره وحال مُقَطِّعِهِ ، وفي معنى أجناد الحلقة المُقَطَّعون من العُربان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملترى خيل البريد وغيرهم .

ثم أعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين .

الحال الأول - أن تجزَّ إجارة طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص ، وطلب الخراج على حكمها .

الحال الثاني - أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لِسَعَةِ طينها واختلاف الرى فيه بالكثرة والقِلَّة في السنين ؛ وقد جرت العادة في ذلك أن تكتب خراج الناحية يطلب خَوَكة القانون بذلك البلد وتودَّع الأحواض على المزارعين بفنن مقدرة ، وتُكْتَب بها أوراق تسمى أوراق المسجل ، وتحمل نسختها إلى ديوان صاحب الإقطاع فضخذ فيه ؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون ، فيمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين ، ويكتب أصل ذلك في أوراق تسمى الفُنْدَاق ، ثم تجمع القبائل بأوراق تسمى تاريخ القبائل ، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمى تاريخ الأسماء ، ويقابل بين ما أشتملت عليه أوراق المسجل وما أشتملت عليه مساحته ، وفي الغالب يزيد عن أوراق المسجل ، ويجمع ذلك وتنظم به أوراق تسمى المكلفة ، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل ، وتحمل لـديوان المُقَطَّع نسفاً .

النوع الثانى

(ما يُحصَل مما يُستخرج من المعادن)

وقد تهتم في الكلام على خواص الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة معادن .

الأول - معدن الزئبد على القرب من مدينة قوص، ولم يزل مستمر الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون"، ثم أهمل لقلة ما يُحصَل منه مع كثرة الكلف وبقي مهملا إلى الآن . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأمناء من جهة السلطان يتولون استخراجه وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه حُمل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع ، ويبقى ما يصلح للخزائن الملوكة .

الثانى - معدن الشَّب (بالياء الموحدة في آخره) . قال في "قوانين العواوين" : ويحتاج إليه في أشياء كثيرة ، أهمها صبغ الأحمر ، ولزوم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا بُدَّ منه ولا منلوحة عنه ؛ ومعادنه بأماكن من بلاد الصعيد والواحات على ما تهتم في الكلام على خواص الديار المصرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنقَى في تحصيل كل قنطار منه بالثمن ثلاثين درهما ، وربما كان دون ذلك . وتبسط به العرب إلى ساحل قوص ، وساحل إصم ، وساحل أسوط ، وإلى البهنسى إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسكندرية ، ولا يمتد للبشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن ماسى : وأكثر ما يباع منه في المتجر بالإسكندرية خمسة آلاف قنطار بالبحر ، ويباع منه في بعض السنين ثلاثة عشر ألف قنطار ، وسعره من خمسة دنانير إلى خمسة

دنائير وربع وسدس كل قطار . قال : أما القاهرة ، فأكثر ما يباع فيها منه في كل سنة ثمانون قطارا كل قطار بسبعة دنائير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطاني ، ومتى وجد مع أحد شيء من صنفه استهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث - معدن التطرون ، وقد تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية أن التطرون يوجد في معدنين : أحدهما يعمل البحيرة مقابل بلدة تسمى الطرانة على مسيرة يوم منها ، وتقدم في كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم في الدنيا بقعة صغيرة يستغل منها أكثر مما يستغل منها ، فإنها نحو مائة فدان تغل نحو مائة ألف دينار في كل سنة . والمعدن الثاني بالقافية على القرب من الخطارة ، ويعرف بالخطاري ، وهو خير لاحق في الجودة بالأول :

قال في "نهاية الأرب" : وأول من أحضر التطرون أحمد بن محمد بن مديبر نائب مصر قبل أحمد بن طولون ، وكان قبل ذلك مباحا . قال في "قوانين الدواوين" : وهو في طور مجلود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان ، والنفقة على كل قطار منه درهمان ، وتغن كل قطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرة أنه متى أُنقح من الديوان في العربان عن أجرة حولة عشرة آلاف قطار ، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قطار ، حسابا عن كل قطار قطار ونصف ، ثم قال : وأكثره مصروف في نفقة الأسرة .

قلت : أما في زماننا فقد تضاعفت قيمة التطرون وغلا سعره لأحجار السلطان له ، وأفرط حتى خرج عن الحد ، حتى إنه ربما بلغ القطار منه مبلغ ثلثمائة درهم أو نحوها . وقد كان على التطرون مرتبون من كُتّاب دسّت وكُتّاب دَرَج وأطباء وكُتّالين وغيرهم وجماعة من أرباب الصدقات يستأدون ذلك ، وينفقون على حملته إلى ساحل النيل

بالبلدة المعروفة بالطَّوَانَة المتقدِّمة الذِّكْر، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به في المراكب إلى الوجه القبلي، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحري جملةً، ثم بطل ذلك في أواخر الدولة الظاهرية بقرق، وصار النطرون بجملة خالصا للسلطان جاري في الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخزَّن في شُؤْن ثم يباع منها، وعليه مباشرين محضرون الواصل والمبيع، ويسملون الحسابات بذلك، وتميّز بذلك متحصّله للغاية القصوى.

النوع الثالث

(الزكاة)

قد تفرّغ في كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان غنيا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه، وبين أن يفزقها بنفسه. والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفزقونها بأنفسهم، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة، فإنهم يأخذون على كل مائتي درهم خمسة دراهم، ثم إذا اشترى بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأول لا يؤخذ منه شيء عليه حتى يتجاوز ستة : إلا أنهم آتتصوا ستة ذلك بفعلوها عشرة أشهر، وخصّوه بما إذا لم يزد في المدة المذكورة على أربع مرار . فإن زاد عليها استأثروا له المدة، ثم إنه إذا كان بالبلد متجرا لأحد من تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد، أخذوا عليه الزكاة أيضا . ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصّلات الإسكندرية في المباشرة وغيرها .

الثاني ما يؤخذ من العداد من مواشى أهل بركة من الغنم والإبل عند وصولهم إلى عمل البحيرة بسبب المعنى، وفي الغالب يُقَطَّع لبعض الأمراء، ويخرج قُصَادُهُمْ لأخذه .

النوع الرابع (الجسوالى)

وهى ما يؤخذ من أهل النعمة عن الجزية المقررة على رعايهم فى كل سنة ، وهى على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من القسطنطينية والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بجحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرًا يؤتى من جهة السلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شاذ وعامل وشهود ، وتحت يده حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة فى الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصبيان ، ويعبر عنهم بالنشوء ، ومن يقدم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ، ويعبر عنهم بالطرائى ، ومن يهتدى أو يموت من اسمه وارد الديوان . ويأتى على كُتاب الديوان ما يتجدد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه على ثلاث طبقات : عُلْيَا ، وهى أربعة دنانير وسدس عن كل رأس فى كل سنة ، ووسطى ، وهى ديناران وقراطان ، وسُفْلَى وهى دينار واحد وثلاث وربع دينار وحبان من دينار ، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشاذ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية باستخراجها فى أول المحرم من كل سنة ، ثم صارت تُستخرج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقد قصت حتى صار أعلاها خمسة وعشرين درهما ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأدى مجبلة فى شهر رمضان ، ثم ما يتحصّل منها يحمل منه قدر معين فى كل سنة لبيت المال ، وباقى ذلك عليه مرتبون من القضاة وأهل العلم والديانة يوزع عليهم على قدر المتحصّل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها فإن جزية أهل الذمة في كل بلد تكون لمقطع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية في بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يتحصل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا في ذلك الديوان .

النوع الخامس

(ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية)

وأعلم أن المقر في الشرع أخذ العشر من بضائعهم التي يقدّمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرط ذلك عليهم . والمقتضى به في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن للإمام أن يزيد في المأخوذ عن العشر وأن ينقص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى الأزدیاد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين ، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحة . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مرة من كل قادم بالتجارة في كل سنة ، حتى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة في سنته لا يؤخذ منه شيء إلا أن يقع التراضي على ذلك ، ثم الذي ترد إليه تجار الكفار من بلاد الديار المصرية تفر الإسكندرية ، وتفر دميّاط المحروستين ، تأتي إليهما مراكب الفرج والروم بالبضائع فتبيع فيهما أو تبتاع منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرر الحال على أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العشر عن كل ما يصل لهم في كل مرة ، وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا .

قال ابن ماقى في "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة ما يُستخرج عما قيمته مائة دينار ما يانهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما انحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق على كليهما خمس ، قال : ومن الروم من يُستأدى منه العشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرة في الدواوين وأوضاع معروفة .

النوع السادس

(الموارث الحشرية)

وهى مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباقي بعد الغرض من مال مَنْ يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : هانى حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عنها .
فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّى من قِبَل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شاذ وكاتب ومُشارف وشُهُود، وهى مضافة إلى ماتحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُحصَّلُها يحمل إلى بيت المال، وربما كان عليها مرشّون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أن كاتبه فى كل يوم يكتب تعريفا بمن يموت بمصر والقاهرة من حشّرى أو أهلى ونخصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفى الدولة، ويُسَبَد من وقت العصر . فمن أطلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحصِّلونها ويحملون ما يُحصِّل منها إلى الديوان السلطانى .

النسوح السابع
(ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة)
والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف .

الصف الأول

(الذهب)

وأصله مما يجلب إلى الديار المصرية من الثبر من بلاد التكرور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال في "قوانين الدواوين" : وطريق العمل فيها أن يسبك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتى يصير ماء واحدا ، ثم يلب قُضباناً ويقطع من أطرافها قطع مباشرة الثابت في الحكم ، ويمرر بالوزن ويسبك سبكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الخائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل ، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات في قدح فخار بعد تحرير وزنها ، ويوقد عليها في الأتون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتسمح ويعبر القدح على الأصل (؟) فإن تساوى الوزن وأجازته الثابت في الحكم ، ضرب دنانير . وإن نقص أعيد إلى أن يتساوى ويصبح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .

قال ابن الطوير في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية في مسابقة الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له الملام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة ، حيث ينبت اللسان ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما في أرض صلبة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسة نواويس فكشفها فوجد في الأوسط منها ميتا مضربا في عسل ، وعلى صدره لوح لظيف من ذهب فيه كتابة لا تعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب ، فتقل ذلك الذهب

ولم يجد من يقرأ ما في اللوح ، فدلَّ على رآهب شيخ بدير العربى بالصعيد له معرفة بخط الأولين ، فأمر بإحضاره فأخبر بضعفه عن الحركة ، فوجه باللوحي إليه ، فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، ودَّهَى أخلص الذهب . فلما بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هذا الكافر أكبر منه أو ذبه أخلص من ذبه ، فشدد في العيار في دور الضرب ، وكان يحضر ما يعلق من الذهب ويختم بنفسه فيق الأمر على ما قززه في ذلك من التشديد في العيار . وكانت دار الضرب في الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضي القضاة تعظيماً لشأنها ، ونُكِّت في عهده في جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقم لمباشرة ذلك مَنْ يختاره من تواب الحكم ، ويق الأمر على ذلك زمناً بعد الدولة الفاطمية أيضاً . أما في زماننا ، فنظرها موكول لتأطر الخالص الذي استحدثه " الملك الناصر محمد بن قلاوون " عند تعطيله الوزارة على ماسيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

والسكة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد الوجهين - لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ^(١) - وعلى الوجه الآخر اسم السلطان الذي ضرب في زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصنف الثالث

(الفضة النقرة)

وقد ذكر ابن ممتا في " قوانين الدواوين " في عيارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم فضة تضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحدا فيقلب قُضباناً ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً ، ثم تسبك ، فإن خلص

(١) ليس نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حساباً عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن تصح . وكان هذا ما كان الأمر عليه في زمانه ؛ والذي ذكره المقر الشهابي آين فضل الله في "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلثان من فضة والثلث من نحاس، وهذا هو الذي عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان في أيام الظاهر بيبرس وما والاها، وربما زاد عيار النحاس في زماننا على الثلث شيئاً يسيراً بحيث يظهره التقد، ولكنه يروج في جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قُلتِ الفضة، وبطل ضربُ الدراهم بالديار المصرية إلا في القليل النادر لاستهلاكها في السروج والآنية ونحوها، وأتقطاع أصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرج وغيرها . ومن ثم عَزَّ وجود الدراهم في المعاملة بل لم تكن توجد . ثم حدث بالشام ضربُ دراهم رديئة فيها الثلث فسادونه فضة والباقي نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعاً صفاراً كما تقدم في الدنانير، ثم تُرصع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحاً مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛ وصورةُ السكة على الفضة كما في الذهب من غير فرق .

الصفحة الثالث

(الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر)

وقد تهتم أنه كان في الزمن الأول فلوس صغار كل ثمانية وأربعين قلماً منها معتبرة بدرهم من النقرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية، فأحدث فلوسٌ عبر عنها بالجُلْد زنة كل قلَم منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطاً من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتى كادت

تفسد وهي على ذلك . وطريق عملها : أن يُسبك النحاس الأحمر حتى يصير كالماء ، ثم يخرج فيضرب قضباناً ، ثم يُقَطَّع قطعاً صغيراً ، ثم تُرَصَّع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين اسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلى الآخر اسم بلد ضربه وتاريخ السنة التي ضرب فيها .

الضرب الثاني

(من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعية ،

وهو المكوس ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(ما يختص بالديوان السلطاني وهو صنفان)

الصنف الأول

(ما يؤخذ على الواصل المجلوب ، وأكثره مُتَحَصِّلاً جهتان)

الجهة الأولى

(ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع في بحر القلزم

من جهة الحجاز وآيّن وما والاها ، وذلك بأربعة

سواحل بالبحر المذكور)

الساحل الأول - عَيْنَابُ . وقد كان أكثر السواحل واصلاً لرغبة رؤساء المراكب في التمدية من جُنة إليه ، وإن كانت باحته مقسمة لفزارة الماء وآيّن المُنَاقِ بالشعب الذي ينبت في قعر هذا البحر ، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالسُّطَّاطِ في بحر النيل .

الساحل الثاني - القَصِير . وهو في جهة الشمال عن عَيْنَاب ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوص وبعْدَ عَيْنَاب منها ؛ وتُجمل البضائع منه إلى قُوص ، ثم من قُوص إلى فُنْدُق الكارم بالقُسْطَاط على ما تَقْتُم ، وإن لم يبلغ في كثرة الواصل حدَّ عَيْنَاب .

الساحل الثالث - الطُور . وهو ساحل في جانب الرأس الداخل في بحر القُلْزُوم بين عَقَبَة أَيْلَة و بين برديار المصرية ؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل في الزمن المتقدم : لرغبة بعض رؤساء المراكب في السير إليه ، لقرب المراكب فيه من برِّ الجِجَار حتَّى لا يَنْسِب البر عن المسافرين فيه وكثرة المراسي في برِّه ، متى تَغَيَّر البحر على صاحب المركب وجد مَرَسَاة يدخل إليها ، ثم تَرُك قَصْدُ هذا الساحل والسفَرُ منه بعد اقتراض بني بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذي يُجَنُّ على المراكب بسببه ، ولذلك لا يُسَافَر فيه إلا نهاراً ، ويبقى على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعائة ، فَمَرَّ فيه الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب المُجَاب بالديار المصرية مَرَّجاً وسَفَرها ، ثم اتَّبَعها بمركب آخر فَمَرَّ الناس على السفر فيه وعَمَرُوا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكب اليَمَن بالبضائع ، ورُفِضت عَيْنَابُ والقَصِيرُ ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الجِجَار ، وغَزُرَت فوائده التجارة في حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع - السُّوَيْسُ على القرب من مدينة القُلْزُوم الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والقُسْطَاط إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة على ساحل الطُور كما تَقْتُم .

قلت : وهذه السواحل على حدِّ واحد في أخذ المرتب السلطاني ، وقد ذكر في "قوانين الدواوين" : أن واصل عَيْنَاب كان آسَقَر فيه الزكاة ، أما الذي عليه

الحال في زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار المُشرع لواحِقْ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضا .
وأعلم أنه قد تَصَلَّ البضائع للتجار المسالين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتب السلطاني على ما توجه الضرائب .

الجهة الثانية

(ما يؤخذ على واصل التجار بَقْطِيا في طريق الشام إلى الديار المصرية)
وعليها يردُّ سائرُ التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاها، وهي أكثر الجهات متحصِّلا وأشدَّها على التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثاني

(ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية : بالقُسْطَاط والقاهرة)

وهو جهات كثيرة، يقال إنها تبلغ اثنتين وسبعين جهة، منها ما يكثر متحصِّله ومنها ما يقلُّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، وبعضها له صَمَانٌ ^(١) بقدر معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن قصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وتخرجت في التريُّد عن الحدِّ، ودخلت الشبهة في أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في سلطنته قد رفع هذه المكوس ونحَّ آثارها، وعوَّضه الله عنها بما حازه من الثنائم وفتح من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظالم الحاصلة منها. ومن أعظم ذلك خطرا

(١) له ضامن .

وأرفعه أجراً ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تسمده الله تعالى برحمته من بطلان مكوس الملاحى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النوع الثانى .

(ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني)

وهى المكوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فتحصلها لصاحب الإقطاع ، ويعبر عنها فى الدواوين بالهلالي كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصود الثالث^(١)

(فى ترتيب المملكة ، ولها ثلاث حالات)

الحالة الأولى - ما كانت عليه فى زمن عمال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الأخشيديّة - ولم يتحزرنى ترتيبها ، والظاهر أنه لم يزل تواليها وأمرؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبَنُوهُ وأحدوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتى يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود ، وتبعهم الدولة الأخشيديّة على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يستثنى له التعبير بالمقصود الأول والثانى ولم يجعل كمادته ظل هذا من بعض النسخ . وقد وقع فى هذا الجزء شئ من هذا القليل فأتيت التتبع .

الحالة الثانية - من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين؛ ويتحصر المقصود من ترتيب مملكتهم في ثلاث^(١) جمل

الجملة الأولى

(في الآلات المملوكية المختصة بالمواكب العظام)

وهي على أصناف متعددة :

منها (التاج) . وكان يُنعت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف بشدة الوَاقَر . وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام، وفيه جوهرة عظيمة تُعرف باليَئِمة زتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها لتفاستها؛ وحولها جواهر أخرى دونها؛ يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها (قضيب الملك) . وهو عود طول شبر ونصف، ملبس بالذهب المرصع بالذَرِّ والجوهر، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الذي يحمل مع الخليفة في المواكب . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظفر بها فعمل منها هذا السيف، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في الموكب .

ومنها (الدواة) . وهي دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرَجَان على صلابته ومتاعته، تلف في منديل شرب أبيض، ويحملها شخص من الأستاذين في الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج، ثم جعل حملها لعدل من العدول المعبرين .

(١) وصلت في المقال سبع جمل . (٢) كذا في الأصل وسيأتي والله نوح مخصوص من الحرير.

ومنها (الريح) . وهو ربح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ؛ وله سِتَانٌ مختصر بحيلة الذهب؛ وله شخص مختص بجمله .

ومنها (الدرقة) . وهى درقة كبيرة بكوايج من ذهب؛ يقولون إنها درقة حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وطها غشاء من حرير؛ ويحملها في الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلالة .

ومنها (الحافر) . وهى قطعة ياقوت أحمر في شكل الهلال، زنتها أحد عشر مثقالا، ليس لها نظير في الدنيا، تحاط خياطة حسنة على نرقعة من حرير، وبدائها قضب زمرد ذبابي عظيم الشأن، تجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في الموابك .

ومنها (المظلة) التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قبة على هيئة خيمة على رأس عمود كالمظلة التى يركب بها السلطان الآن ، وكانت آخى عشر شوزكا عرض سفل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلاث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يمتنع الاكثنا عشر شوزكا في رأس عمود بدائرة، وعمودها قنطارية من الزان ملبسة بأنايب الذهب، وفى آخر أنبوبة ثلثي رأس العمود ملكة بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشواذك في سقعة من ذهب، وتقل في رأس الريح . ولها عندهم مكانة جليلة لملئوها رأس الخليفة، وحاملها من أكابر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة في ذلك الموكب، لا تخالف ذلك .

ومنها (الأعلام) . وأعلامها اللوامن المعروفة بلوائى الحمد، وهما رمان طويلان ملبسان بأنايب من ذهب إلى حد استئهما ، وبأعلامهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين، يُجرَّبان لخروج المظلة إلى أميرين معتين لحملهما ، ودونهما رمان برءوسهما أهلة من ذهب صامت، في كل واحد

منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما، يحملهما فارسان من صبيان الخالص، ووراءهما رايات لطاف ملونة من الحرير المرقوم ويكتب عليها **نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ** طول كل راية منها ذراعان في عرض ذراع ونصف، في كل واحدة ثلاثة طرازات على رماح من القنأ، عنتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها (المِدْبَتَانِ) وهما مِدْبَتَانِ عظيمتان كالنخلتين ملويتان محولتان عند رأس فرس الخليفة في الركوب .

ومنها (السلاح) الذي يحمله الركابية حول الخليفة، وهو صماصم مصقولة، ودبابس ملبسة بالكيممخت الأحمر والأسود، ورؤوسها مدقورة، ولثوت حديد كذلك ورؤوسها مستطيلة، وهي عمد حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقابض مدقورة بعثة معلومة من كل صنف، وستائة حربة بأسنة مصقولة، تحتها جلب القضة، وثلاثمائة ذقعة بكوايج فضة، يحمل ذلك في الموكب ثلثمائة عبد أسود كل عبد حربتان وذقعة واحدة، وستون رماح طول كل واحد منها سبع أذرع، رأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم السريرية يقتلونهم بأيديهم اليمنى قتلا متدارك الدوران، ومائة ذقعة لطيفة، ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل ذقعة وسيف يسرون رجالة في الموكب، وعشرة سيوف في خراطة ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون في أعقاب الموكب برمم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتل أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجميل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمنة السالك لتجميلهم في الموكب، وهي نحو أربعائة راية مرقومة الأطراف، وبأعلاها رمايين القضة المنجبة، وعتة من العماريات : وهي

شبه الكنجوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزى وغير ذلك ، وعليها كوابح الفضة المنحبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارة ، ويختص لواءان على رحمين منقوشين بالنهب غير منشورين يكونان أمامه في الموكب إلى غير ذلك من الآلات التي يطول ذكرها ، ويعسر استيعابها .

ومنها (التقارّات) . وكانت على عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل تقارّات الكوسات بغير كوسات ، تسير في الموكب اثنتين اثنتين ولها حُسن حسن .

ومنها (الخيام والقساطيط) وكان من أعظم خيمهم خيمة تعرف بالقاتول ، طول عمودها سبعون ذراعاً ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها ما يزيد على فئانين في التدوير . وسميت بالقاتول لأن قرأشاً سقط من أعلاها فأت .

قلت : ولعمري إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة ، وأنى يتأتى مثل هذه الخيمة للملك من الملوك وإن جلّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

(في حواصل الخليفة ، وهي على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الخزان ، وهي ثمان خزان)

الأولى - (خزانة الكتب) . وكانت من أجل الخزان وأعظمها شأناً عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفاتحة عدّة كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما ينهش الناظر ويحيره ، وربما اجتمع من المصنّف الواحد فيها عشر نسخ .

فأدونها،^(١) وكان فيها من التُّرُوج المكتبة بالخطوط المنسوبة بخط ابن مقلة وابن البواب، ومن جرى مجراها^(٢).

الثانية - (خزانة الكُسوة) وهي في الحقيقة خزانتان . إحداهما - الخزانة الظاهرة، وهي المعبر عنها في زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أولاً، والمعبر عنها بخزانة الخالص على ما استقرَّ عليه الحال آخراً، وكان فيها من الحواصل من اللبياح الملتون على اختلاف ضروبها، والشرب الخالص الديبق والسقلاطون، وغير ذلك من أنواع القماش الفانحة ما يدل على عظم المملكة، وإليها يحمل ما يُعمل بدار الطراز ببتيس وديمياط والإسكندرية من مستعملات الخالص، وفيها يفصل ما يؤسر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخلع والتشريف وغير ذلك . الثانية - معدة للباس الخليفة خاصة، وهي المعبر عنها في زماننا بالطشت خاناه، وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة - (خزانة الشراب). وهي المعبر عنها في زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعالجين النفيسة والمرببات الفانحة وأصناف الأدوية والعطريات الفانحة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصَّينيَّة من الزبادى والصُّحون والبُراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير المملوك .

الرابعة - خزانة الطَّعم . وهي المعبر عنها في زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى على عدة أصناف من جميع أصناف القلويات من الفستق وغيره والسكر والقند والأعسال على أصنافها والزيت والشمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصاً وعاماً، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر .

(١) لعل الأنسب فافهمها (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كاسيأت في نظيره .

الخامسة - (خزانة السروج) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالركاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج والجلوم من الذهب والفضة ، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة ؛ ثم منها ما هو قريبا من الخاص ، ومنها ما هو وسط برسم من هو من أرباب الرتب العالية ، ومنها ما هو دون ، برسم من هو برسم العوارى أيام المواكب لأرباب الخدم .

السادسة - (خزانة القرش) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالقرش خاناه؛ وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك ؛ وكان الخليفة يحضر إليها من غير جلوس . ويطوف فيها ، ويسأل عن أحوالها ، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها .

السابعة - (خزانة السلاح) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة مالا نظيره : من الزرديات المغطاة بالديباج المحكة الصنعة المحلاة بالفضة ، والجواشن المنهبة ، والحوذ المحلاة بالذهب والفضة ، والسيوف العربيات والفلجورية ، والرماح القنا والقتطاريات المدهونة والمنهبة ، والأمنية العظيمة والقسي المنصورة المنسوبة إلى أفاضل الصناعات ، وقسي الرجل والركاب ، وقسي اللولب التى تبلغ زنة نصله خمسة أرباط بالمصرى ، والنبل الذى يرمى به عن القسي العربية فى المبارى المصنوعة لذلك .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار .

الثامنة - (خزانة الصجمل) . وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يخرج منها للوزير والأمراء فى المواكب الأكويمة والقضب الفضة والهاريات وغيرها . قال ابن الطوير : هى من حقوق خزانة السلاح .

وأما (خزائن المال) فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقمشة الفاخرة مالا تحصره الأرقام.

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خزائنه في سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائر تسميها للإعانة على قيام أمر المملكة والهند، فكان مما أخرجه ثمانون ألف قطعة بلوور كبار، وسبعون ألف قطعة من النسيج، وعشرون ألف سيف محلي. ولما استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على القصر بعد وفاة العاضد: آخر خلفائهم، وجد فيه من الأعلاق الثمينة والتحف ما يخرج عن حد الإحصاء، من جملة الحافر الباقوت المقتم ذكره. ويقال إنه وجد فيه قضيب زمردي يزيد على قامته الرجل على ما تقتضيه ذكره في الكلام على الأحجار الملوكة في أثناء المقالة الأولى، ووجد فيه أيضا الحرم العتيق الذي عمله الأمين زنته ألف رطل بالمصري.

النوع الثاني .

(حواصل المواشي المعبر عنها عند كُتاب زماننا بالكراخ؛ وهي حاصلان)

الأول - الإصطبلات . وهي حواصل الخيول والبغال وما في معناها، قال ابن الطوير: وكان لهم إصطبلان . قال: وكان لل خليفة برسم الخصاص في كل إصطبل ما يقرب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخالص، والنصف برسم العواري في المواكب لأرباب الرتب والمستخدمين، وكان لكل ثلاثة أرؤس منها سائس واحد، لكل واحد منها شتاد برسم تسييرها، وبكل من الإصطبلين راض كأمير اخور. ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حصانا أدهم قط، ولا يروى إضافته إلى دوابهم بالإصطبلات .

(١) لعلها زائدتان من ظم النسخ .

الثاني - المُنَاخَات . وهي حواصل الجمال ، وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمُنَاخَات وعددها الفاتحة ما يقصر عنه الحد .

النوع الثالث

(حواصل الغلال وشُورُ الأتبان)

أما الغلال ، فكانت لهم الأهرَاءُ في عَتَةِ أَمَاكِنَ : بالقاهرة ، بالقُسْطَاط ، والمَقْصِم ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتى تقطع بالمساحي .

وأما شُورُ الأتبان ، فكان بطريق القُسْطَاط شورتان عظيمتان مملوءتان بالتبين معبأتان بعبئة المراكب كالجلبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشي الديوانية وعوامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثمانية وستين رطلا .

النوع الرابع

(حواصل البضاعة)

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القنْب والكَنَان ، والمجنقات والصنّاع الكثيرة من القربج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أولاً بالجزيرة المعروفة الآن بالروضة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصناعة قاله القضاة .

النوع الخامس

(ما في معنى الحواصل : لوقوع الصرف والفرقة منه ،

وهو الطواحين والمطبخ ودار الفطرة)

فأما الطواحين ، فإنها كانت معلقة ، مداراتها أسفل وطواحينها فوق كما في السواقي حتى لا يقارب الدقيق زبل الدواب الدائرة لأختصاصه بالخليفة . وأما المطبخ ، فقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة ، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزهومة مكان قاعة الخناينة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدم في خطط القاهرة . قال ابن الطوير : ولم يكن لهم أسمطة عامة في سوى العيدين وشهر رمضان .

الجملة الثالثة

(في ذكر جيوش الدولة الفاطمية ، وبيان مراتب أرباب السيوف)

وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول الأمراء ،

(وهم على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة الأمراء المطوقين . وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم ، وكانهم بمثابة الأمراء مقدسي الألوف في زماننا .

المرتبة الثانية - مرتبة أرباب القُصَب ، وهم الذين يركبون في المراكب بالقُصَب الفِضَّة التي يخرجونها لهم الخليفة من خزانة التجميل تكون بأيديهم ، وهم بمثابة الطبغانات في زماننا .

المرتبة الثالثة - أدوان الأمراء ممن لم يؤهل لحمل القُصَب . وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات في زماننا .

الصف الثاني

(خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الأستاذون)

وهم المعروفون الآن بالخدام والطواشيّة ، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المُنكُون ، وهم الذين يُدَوِّرون عمامتهم على أكتافهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصمهم به ، وكانت عنتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقهم أنه متى ترضخ أستاذ منهم للملك وحك ، حُلّ إليه كل أستاذ من المختكين بِلَّةٍ كاملة من ثيابه وسيفاً وفرساً فيصبح لاحقاً بهم ، وفي يده مثل ما في أيديهم .

النوع الثاني

(صبيان الخصاص)

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصية في زماننا .

النوع الثالث

(صبيان الحجر)

وهم جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون في حُجْرٍ مفردة لكل حُجْرَةٍ منها اسم يخصها ، يضاؤون مالِك الطباقي السلطانية الآن المعبر عنهم بالكثانية إلا أن عنتهم كاملة وطلهم مزاحة ، ومتى طُلبوا ليُهمُّ لم يجدوا عاقبة ، ولصبيان منهم حجرة مفردة يتسلمها بعض الأُستاذين ، وكانت حُجْرَتهم بمنزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخلفاء الركينة ببيرس الآن .

الصنف الثالث

(طوائف الأجناد)

وكانوا عدة كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى من بقي من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافطية والأميرية من بقايا الحافظ والأمير، أو إلى من بقي من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجيوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجبال وولده الأفضل، أو إلى من هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والدليم والمصامدة، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والمصقالبة، أو من السودان من عيد الشراء، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قواد ومقدمون يحكون عليهم.

الجملة الرابعة

(في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم على قسمين)

القسم الأول

(ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوطان)

النوع الأول

(وظائف طائفة الجند، وهي تسع وظائف)

الوظيفة الأولى - (الوزارة) وهي أرفع وظائفهم وأعلىها رتبة. وأعلم أن الوزارة في الدولة الفاطمية كانت تارة تكون في أرباب السيوف، وتارة في أرباب الأقاليم، وفي كلا الجانبين تارة تملو فتكون وزارة تقويض تضاهي السلطنة الآن

أو قريبا منها، ويصير عنها حينئذ بالوزارة؛ وتارة تحط فتكون دون ذلك، ويعبر عنها حينئذ بالوساطة .

قال في "نهاية الأرب" : وأوّل مَنْ حُوِّطَ مِنْهُمْ بالوزارة يعقوبُ بنُ كلّس وزير العزيز، وأوّل وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالي وزير المستنصر، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومنها استقل بالسلطنة على ما تقدّم .

الوظيفة الثانية - (وظيفة صاحب الباب) وهي ثاني رتبة الوزارة . قال ابن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زمانها، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف، فإن كان ثمّ وزير صاحب سيف، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه، وصاحب الباب من جملة مَنْ يقف في خدمته .

الوظيفة الثالثة - (الاسفهلارية) . قال ابن الطوير : وصاحبها زمام كلّ زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تحف الأجناب على اختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة - (حمل المظلة) في المواسم العظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهي من الوظائف العظام، وصاحبها يسمى حامل المظلة، وهو أمير جليل، وله عندهم التقديم والرفعة : لحمل ما يسلو رأس الخليفة .

الوظيفة الخامسة - (حمل سيف الخليفة) في المواقب التي تحمل فيها المظلة، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة - (حمل رُخ الخليفة) في المواقب التي تحمل فيها المظلة . وهو رُخ صغير يحمل مع الخليفة في المواقب، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرُخ .

الوظيفة السابعة - (حمل السلاح) حول الخليفة في الموكب ، وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيمهم بالركابية ويصنيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم في زماننا بالسلاح دارية والطبّدارية، وكانت عندهم تريد على التي رجل، ولهم أشأ عشر مقدما ، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولهم قُبَاءٌ موكلون بمعرتهم ، والأكابر من هؤلاء الركابية تنكب في الأشغال السلطانية، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصيتُ المرتفع .

الوظيفة الثامنة - (ولاية القاهرة)، وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحرمة الوافرة، وله مكان في الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسعة - (ولاية مصر) . وهي دون ولاية القاهرة في الرتبة كما هي الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك حاضرة أهلة، فكان مقدارها أرفع مما هي عليه في زماننا .

النوع الثاني

(وظائف خواص الخليفة من الأستاذين؛ وهي عدة وظائف؛ وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يختص بالأستاذين المحنّكين؛ وهي تسع وظائف)

الأول - (شدّ التاج) . وموضوعها أن صاحبها يتولّى شدّ تاج الخليفة الذي يلبسه في الموكب العظيمة بمثابة اللقاف في زماننا، وله ميزة على غيره بلسمه التاج الذي يملو رأس الخليفة، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتي به في هيئة مستطيلة ، ويكون شده بمنديل من لون لبس الخليفة ، ويعبر عن هذه الشدة بشدة الوقار كما همتم .

الثانية - وظيفة (صاحب المجلس) . وهو الذى يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام فى المواعيد ، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك ، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازن دار فى زماننا .

الثالثة - وظيفة (صاحب الرسالة) . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة - وظيفة (زيتام القصور) . وهو بمثابة زيتام الثور فى زماننا .

الخامسة - وظيفة (صاحب بيت المال) . وهو بمثابة الخازن دار فى زماننا .

السادسة - وظيفة (صاحب البقر) المعروف بقدر المجلس . وهو المتحدث على الدواوين الجامعة لأموال الخلافة .

السابعة - وظيفة (حامل البوابة) . وهى دواة الخليفة المتقدم ذكرها ، وصاحب هذه الوظيفة يحمل البوابة المذكورة فنامه على السرج ويسير بها فى المواعيد .

الثامنة - وظيفة (زيتام الأقارب) . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكل من نافذ فىهم .

التاسعة - (زيتام الرجال) . وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة .

الضرب الثانى

(ما يكون من خير المحتكين ، ومن مشهوره وظيفتان)

الأولى - هيئة الطالبين . وهى بمثابة هيئة الأشراف الآن ، ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجملهم قدراً ؛ وله النظر فى أمورهم ، ومنع من يدخل فىهم من

الأدعياء، وإذا أرتاب بأحد أخذه بإثبات نسبته . وعليه أن يعود مرضاهم، ويمشي في جنازتهم، ويسعى في حوائجهم، ويأخذ على يدا المتعدي منهم، ويمتنع من الاعتداء، ولا يقطع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانية - (زم الرجال) . وصاحبها يتحدث على طوائف الرجال والأجناد كرم صبيان الحجرة، وزم الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية، وزم السودان وغير ذلك، وهو بمثابة مقدم الممالك في زماننا .

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أرباب الأقلام، وهم على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة)

الأول - (قاضى القضاة) . وهو عندهم من أجل أرباب الوظائف وأعلام شأننا وأرفعهم قدرا . قال ابن الطوير : ولا يتقدم عليه أحد أو يحتج عليه، وله النظر في الأحكام الشرعية ودور القرب وضبط عيارها، وربما جمع قضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهد واحد كما سيأتى في الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحب سيف، كان تلميذ من قبله نيابة عنه، وإن لم يكن، كان تلميذ من الخليفة،

ويقيم له من اصطبلات الخليفة بغلة شبيهة بركبها دائما، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، ويخرج له من خزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادقتين من الفضة، وفي المواسم الأطواق، وتحتج عليه الخلع المنهبة، وكان من

مصطلحهم أنه لا يعتل شاهدا إلا بأمر الخليفة، ولا يحضر إماما ولا جازة إلا بإذن، وإذا كان ثم وزير لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعت الوزير؛ ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أول النهار للسلام على الخليفة، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر، وله طرحة ومسدس للجلوس وكُرسيّ توضع عليه دوائه . وإذا جلس بالمجلس، جلس الشهود حوَالَيْهِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً على مراتبهم في تقدم تعديلهم . قال ابن الطوير : حتى يجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل، وبين يديه أربعة موقعون: أثنان مقابل اثنين، وبياه خمسة مُجَاب : أثنان بين يديه وأثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو في مجلس الحكم البتة .

الثاني - (داعى الشطة) . وكان عندهم على قاضى القضاة في الرتبة ويترأى بزيه في اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم، ويأخذ العهد على من يتقل إلى مذهبه .

الثالث - (المحتسب) . وكان عندهم من وجوه العلول وأعيانهم، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ بحمله بمصر والقاهرة على المنبر؛ ويده مُطْلَقَةٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعة الحسبة؛ ولا يُحَال بينه وبين مصلحة أرادها؛ ويتقدم إلى الولاية بالشد منه، ويقم التَّوَاب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال ككتاب الحكم؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : ورأيت في بعض مجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة هما أحيانا .

الرابع - (وكالة بيت المال) . وكانت هذه الوكالة لا تُسَد إلا لنوى الميية من شيوخ العلول، ويفوض إليه عن الخليفة بَيْع ما يرى بيعه من كل صنف يملك

ويموز التصرف فيه شرعا، وعقُ الممالك، وتروُجُ الإماماء، وتضمن ما يقتضى الضمان، وأبتاع ما يرى أبقاعه، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة .

الخامس - (النائب). والمراد نائب صاحب الباب المتقدم ذكره المعبر عنه في زماننا بالمهمتدار . قال ابن الطوير : ويعبر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال : وهى رتبة جليلة ، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأعلام ؛ وصاحبها ينوب عن صاحب الباب فى تلقى الرُّسل الواردين على الخليفة على مسافة وقفة قُواب الباب فى خدمته ، ويُزَلُّ كلُّ منهم فى المكان اللائق به ، ويرتَّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ، ويتولى أقتادهم ، ويُدَّكَّر صاحب الباب بهم ، ويسمى فى تجاز أمرهم ، وهو الذى يسلمُ على الخليفة أو الوزير ويتقدمهم ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضُ على يده اليمنى ، والنائب قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويمتهد فى أفصاحهم على أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائباً إلى أن يعود . ومن شرطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمة ولا طرفة إلا بإذن .

قال ابن الطوير : وهو المسمى الآن بالمهمتدار ، ومبائى فى الكلام على ترتيب المملكة المستقر أن المهمتدار الآن من أصحاب السيوف ، وكان ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والمهيئة .

السادس - (القُزاء) . وكان لهم قُزاء يقرعون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم "قُزاء الحضرة" يزيدون فى العتة على عشرة قُزٍ ، وكانوا يأتون فى قراعتهم فى المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملائسة ، قد ألقوا ذلك وصار سهل الاستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقع

الاستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غَضِبَ على أمير فامر بأعقاله، فقرأ قارئ الحضره: ﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأَمْسِكِ الْعُرْفَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إنذار روي قصدهم فيها، أخرجت القرآن عن معناه: كما يحكى أنه لما استوزر المستنصر بدير الجمال قرأ قارئهم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدِيرِ الْأَمَةِ﴾ ولا استوزر الحافظ رضوان قرأ قارئهم: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَبِرِضْوَانٍ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع.

النوع الثاني

(من أرباب الأعلام أصحاب الوظائف الديوانية، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم)

أعلم أن أكثر وزرائهم في ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأعلام: تارة وزارة تامة وتارة بساطة، وهى رتبة دون الوزارة؛ ومن اشتهر من وزرائهم أرباب الأعلام فيما ذكره ابن الطويريقوب بن كلس وزير العزيز، والحسن بن عبد الله اليأزورى وزير المستنصر، وأبو سعيد التستري، والجرجاني، وآبن أبى كينة، وأبو الطاهر أحمد بن باشاذ صاحب المقامة في النحو، ووزير الوزراء على بن فلاح، والمغربى وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّرَ لهم من أصحاب الأعلام، وعليه قدم أمير الجيوش بدير الجمال فوزر المستنصر على ما تقدم ذكره، وربما تخلل تلك اللمة الأولى في الوساطة أرباب السيوف، كبرجوان الخادم، وقائد القواد الحسين بن جوهر، وثمة ثقات السيف والقلم على بن صالح

كلهم في أيام الحاكم . وربما ولى الوسطة بعضُ النصارى، كعميسى بن نسطورس في أيام العزيز، ومنصور بن عبثون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافى كلاهما في أيام الحاكم . وربما كان الأمر سُورى^(١) في أهل المروادى؛ وكان من زىِّ وزرائهم أصحاب الأقاليم أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالْعُدُول، وينفردون بلبس الدرايع مشقوقة من الصخر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرَى؛ وهذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ؛ وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه المُجَنَّب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد، وفي أرباب الأقاليم .

الضرب الثانى

(ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف)

الأولى - صحابة ديوان الإنشاء والمكتبات، وكان لا يتولاه إلا أجلُّ كتَّاب البلاغة، ويخاطب بالأجل؛ وكان يقال له عندهم كاتب النُست الشريف، وإليه تسلم المكتبات الواردة غنومة فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذى يأمر بتزيلها والإجابة عنها؛ ويستشير الخليفة في أكثر أموره؛ ولا يُحجب عنه متى قصد المثول بين يديه، وربما بات عنده الليل، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكتَّابه أحدٌ إلا خواص الخليفة . وله حاجب من الأمراء الشيوخ، وله مهترية عظيمة للجلوس عليها بالخنَّاد والمسند، ودواته من أخص الثورى وأحسنها إلا أنه ليس لها كرمى توضع عليه كدواة قاضى القضاة، ويجعلها له أستاذ من الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا في الأصل مضيقا عليه إشارة لتوقف ولله المرويات .

الثانية - (التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم) وهي رتبة جليسة على رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات، يكون صاحبها جليسا للخليفة في أكثر أيام الأسبوع في خلوته، يناكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين، ويقرأ عليه ملح السيرة، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق، ويقوى يده في تجويد الخط وغير ذلك. وصحبته للجلوس دواة محلاة، فإذا فرغ من المجالسة ألقي في الدواة كأفدة فيها عشرة دنانير، وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل تد مثلت خاص ليبخر به عند دخوله على الخليفة ثاني دفعة. وإذا جلس الوزير صاحب السيف للمظالم، كان إلى جانبه يوقع بما يأمر به في المظالم. وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وفراش لتقديم القصص، ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن.

الثالثة - (التوقيع بالقلم الخليل) وكان يسمى عندهم الخدمة الصغيرة للجلالته، ولصاحبها الطراحة والمسند في مجلسه بغير حاجب. وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقع به صاحب القلم الدقيق، وبسطه. وصاحب القلم الخليل ككاتب الدرّج. فإذا رفعت قصص المظالم، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من همسه، ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الخليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق، ثم تعمل في خريطة إلى الخليفة فيوقع عليها، ثم تُخرج في خريطة إلى الحاجب فيقف على باب القصر، ويسلم كل توقيع لصاحبه. أما توقيع الخليفة بيده على القصص، فإنه إن كان ثم وزير صاحب سيف وقع الخليفة على القصص بخطه: "وزيرنا السيد الأجل (وقته بالمعروف به) أتمنا الله تعالى ببقائه يتقدم بكنّا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة،

كتب تحت خط الخليفة : "أمتل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه"
 وإن كان لا يحسن الكتابة، كتب أمتل فقط؛ وإن لم يكن وزيراً صاحب سيف :
 فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته، وقع في الجانب الأيمن من القصة "يوقع بذلك"
 فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها بالقلم الجليل ويخل موضع العلامة،
 ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب في موضع العلامة (يُتمد) وتثبت في الدواوين بعد ذلك .
 وإن كان يوقع في مساحة أو تسويغ أو تحجيس، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا
 ذلك" وإن أراد علم حقيقة القصة، وقع على جانب القصة "ليخرج الحال
 في ذلك" وتعمل إلى الكاتب فيكتب الحال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد
 من توقيع ومنع، والله أعلم .

الضرب الثالث

(ديوان الجيش والرواتب، وهو على ثلاثة أقسام)

الأول - (ديوان الجيش) . ولا يكون صاحبه إلا مسلماً، وله الرتبة الحليمة
 والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجب، وإليه عرض الأجناد وحيولهم، وذکر حلالهم
 وشيأت خيولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم أن لا يثبت لأحد من الأجناد
 إلا القرمس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البقال والبراذين، وليس له تغيير أحد
 من الأجناد ولا شيء من أقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدي صاحب هذا الديوان
 قُباء الأمراء، يُتفرونه أحوال الأجناد من الحياة والموت والغنية والفقير والحضور
 ذلك، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد في المقايضة بالإقطاعات ما
 لم في ذلك من المصالح كما هو اليوم، بتوقعات من صاحب ديوان المجلس من غير
 علامة؛ ولم يكن لأمر من أمرائهم بلد كاملة، وإن علا قدره إلا في النادر . ومن
 هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان يرسم رفع الشواهد .

الثانى - (ديوان الرواتب) . وكان يستعمل على أسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجرابة ؛ وفيه كاتب أصيل بطراحة ونحو عشرة معينين ، والتصرفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمتر ومباشرة من استجد وموت من مات ، وفيه عدة عروض يأتى ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث - (ديوان الإقطاع) . وكان مختصا عندهم بما هو مُقطع للأجناد ، وليس للباشيرين فيه تفريل حيلة جُنْدَى ولا شِية دابته ، وكان يقال لإقطاعات العربان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد ، وهى دون عبء الأجناد .

الضرب الرابع (نظر الدواوين)

وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير ، وله الجلوس بالمرتبة والمسند ؛ وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ ويُخرج له الدواة من خزانة الخليفة بفسير كرمى ، وإليه طلب الأموال واستخراجها والمسابئة عليها ، ولا يترص فيما يقصده من أحد من الدولة . قال ابن الطوير : ولم يرقى هذه الوظيفة نصرانى إلا الأحمم .

الثنائية^(١) - ديوان التحقيق . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلق ومرتبة مجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويُتقرر إليه فى كثير من الأوقات ، ويُحقق برأس الدواوين المتقدم ذكره .

الثالثة - ديوان المجلس . قال ابن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما ، وفيه معالم الدولة بأجمعها ، وفيه عدة كتّاب ، وعنده معين أو معينان ، وصاحب هذا الديوان

(١) لم يتقدم له تسم ولم يذكر أولاً لتكون هذه ثانياً والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولاً وتتر ديوان التحقيق ثانياً وهكذا تأمل .

هو المتحدث في الإقطاعات، ويُنَجَّل عليه وينشأ له سجلٌ بذلك لاحقاً بديوان النظر، وله دواة تُخرج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كُتَّاب الدولة ممن يكون مترشحاً لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى أَسْتِيَارُهُ دَقَر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظواهر من الرسوم التي تُقَرَّر في غُرَّة السنة والضمايا، وما ينفق في دار الفِطْرَةِ في عيد الفطر، وفي فتح الخليج والأسمطة المستعملة في رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما يُطلَق من الأُمراء من العَلَّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على اختلاف الطبقات من المُرتَّب، وما يريد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبعَثُ به إليهم من الملائقات، ومقاديرُ صِلات الرسل الواردين بالمكاتب، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحرِّيم، وضبط ما يُنفق في الدولة من المهمَّات ليُعلم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة. وهذا الديوان في زماننا قد تفرَّق إلى عدَّة دواوين كالوزارة ونظر النواص والجيش وغيرها.

الرابعة - (ديوان خزائن الكسوة). وكان لها عندهم رتبة عظيمة في المباشرات، وقد تقدَّم ذكر حواصلها في جملة الخزائن فيما سبق.

الخامسة - (الطراز). وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين من أرباب الأتلام، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومُقامه بِنَمِيطٍ وَتَبَسَّسٍ وغيرهما من مواضع الاستعالات، ومن عنده تجعل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدَّمة الذكر.

السادسة - (الخدمة في ديوان الأحياس). قال ابن الطور: وهي أوكد الدواوين مباشرة ولا يُجَدُّ فيها إلا أعيان كُتَّاب المسلمين من الشهود المعتدلين، وفيها عدَّة مدراء^(١)

(١) تقدَّم له مثل هذا الجمع في الجزء الأول ونهنا عليه.

بسبب أرباب الرواتب ، وكان فيه كاتبان ومعينان لنظم الاستقاريات ، ويؤرد في استقاراه كل ما في الرقاق والرواتب ، وما يُجئ له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري .

السابعة - (الخدمة بديوان الرواتب) . وفيه مرتبات الوزير فن دونه إلى الضمى . قال ابن الطوير : بلغ في بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوها من مائى ألف ، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب ، وكان استقار الرواتب يعرض في كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد ، وينقص من ينقص ، وإنه عُرض سنة على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتين بنقص ، ووقع على ظاهر الاستقار بخطه " الفقر مر المذاق ، والحاجة تذل الأعناق ، وحراسة النعم بإدراار الأرزاق ، فليجروا على رسومهم في الإطلاق ، ما عندكم ثم يتخذ ، وما عند الله باق " وأمر ولي الدولة ابن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك .

الثامنة - (الخدمة في ديوان الصعيد) من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى . وكان فيه عدة كُتّاب فروع ، والاستيفاء مقسوم بينهم ، وعليهم عمل التناكر بطلب ما تاتى من الحساب . وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه ، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقع عليها بالاسترفاع ، وينتدب لها من التجّاب أو غيرهم من يراه ، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقائه عندهم ويحضرها تسخا للتواوين الأصول .

التاسعة - (الخدمة في ديوان أسفل الأرض) . وهو الوجه البحري خلا الثغور ، وحكمه فيما تقدم من الكُتّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدم الذكر من غير فرق .

الساشرة - (الخدمة في ديوان الثغور) . وهى الإسكندرية ودمياط ونسروه والبرلس والقرما ، وحكمه حكم ما تقدم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض .

الحادية عشرة - (الخدمة في الجوالى والموارث الحشرية) . قال ابن الطوير: كان لا يتولاه إلا عدل، وفيه جماعة من الكُتَّاب على ما تقتضيه في غيره من الدواوين أيضا .
الثانية عشرة - (الخدمة في ديوانى التراجيح والملايح) وتجرى فيه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة - (الخدمة في ديوان الكراع) . وفيه معاملة الإصطبلات، وما فيها من الدواب الخاص وغيرها والبنال والجمال ودواب المَرَمَةِ المُرَصَّدة للعائر ورباع الديوان، وعُد ذلك وآلاته، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة القَيْلَةِ والزَّرَارِفِ^(١) والوحوش وراتب مَنْ يخدمها . وكان في هذا الديوان كاتباً أصلاً ومستوفى ومُعَيَّنان .
الرابعة عشرة - (الخدمة في ديوان الجهاد) . ويقال له ديوان العائر، وكان محله بالصناعة بمصر، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها، ومنه يُنْفَق على رؤساء المراكب ورجالها، وإذا لم يف ارتفاقه بما يحتاج إليه استُدعى له من بيت المال بما يكفيه .

الصنف الثالث من أبواب الوظائف

(أصحاب الوظائف الصناعية)

وأعظمها وظائف الأطباء، وكان لل خليفة طبيب يُعرف بطبيب الخاص يجلس على باب دار الخليفة كل يوم، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتب لهم رقاعاً على خزائنه الشراب فيأخذون ما فيها، وتبقى الرقاع عند مباشرها شاهداً لهم . ولكل منهم الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نشر على هذا الجمع في كتب اللغة وله جارى العامة في تصريفاتهم .

الصفن الرابع

(الشعراء)

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سنة لا يتلون في المديح، وشيعة يتلون فيه. فمن أحسن مدح فيهم لُتِيَّ قول عمارة التميمي رحمه الله: أَفَاعِلُهُمْ فِي الْجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ ۝ وَإِنْ خَالَقُونِي فِي اعْتِقَادِ التَّشْيِيعِ
ومن الذي وقعت فيه المغالاة قول بعضهم :

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجْلِسُ ۝ أَبْصَرْتُ فِيهِ الرَّحَى وَالْتَرِيْلَا
وَإِذَا تَمَثَّلَ رَاصِكِبَانِي مَوَكِبَ، ۝ عَايَنْتُ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا

قلت : وهذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التي لا يجوز الإقدام عليها لسنِّي ولا منشيح، وإنما هي من اقتطاع الشعراء البوائق .

القسم الثاني

(من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج

عن حضرة الخلافة، وهو صفهان)

الصفن الأول

(التواب والولاء)

وأعلم أن مملكتهم كانت قد ^(١) في ثلاث ممالك فيها توابهم وولائهم .
المملكة الأولى الديار المصرية، وهي التي كانت قد استقرت قاعدة ملكهم، ومحط رحلم، وكان بها أربع ولايات .

الأولى - ولاية قوص . وكانت هي أعظم ولايات الديار المصرية، واليهما يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربما ولى بالأنتموين ونحوها من يكون دونه .

(١) يابض بالأمل ولله "انحصرت" كما يفهم من سياق كلامه .

الثانية - ولاية الشرقية . وكانت دون ولاية قُوص في الرتبة، وكان متوليا يحكم على عمل بُبَيْس وعمل قَلْبُوب وعمل أَشُّوم .

الثالثة - ولاية الغربية . وكانت دون ولاية الشرقية في المرتبة ، وكان متوليا يحكم على عمل المَحَلَّة ، وعمل مَنُوف ، وعمل أَيْيار .

الرابعة - ولاية الإسكندرية . وهى دون الغربية في الرتبة، وكان متوليا يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ابن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُجَمِّع عليهم من خزانة الكُسُوة بالبدنة، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة في يوم فتح الخليج .

قلت : لعل هذه الولايات الأربع ولايات الولاية التى تدخل تحت حكمها الولايات الصَّغار، أو تكون هى التى استقر عليه الحال في آخر دولتهم ، وإلا فقد رأيت في تذكرة أبى الفضل الصورى : أحد كُتَّاب الإنشاء في أيام القاضى الفاضل سِجَاحٍ كثيرة لولاية الوجهين القبلى والبحرى .^(١)

الجلسة الخامسة

(من ترتيب مملكتهم، في هيئة الخليفة في مواكبه وقصوره، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(جلوسه في المواكب ، وله ثلاثة جلوسات)

الجلوس الأول

(جلوسه في المجلس العام أيام المواكب)

وأعلم أن جلوس الخليفة أولا كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر على سرير المُلْك الذى كان يصدره إلى آخر أيام المستمل . فلما ولى أبنة الأمر الخلافة بعده ،

(١) لم يذكر بقية المسالك الثلاث اختصارا على القصد وسيأتى ذكر البقية في الجزء الرابع .

نقل الجلوس من الإيوان الكبير إلى التماحة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ، وصار مجلس من مجالسها على سرير الملك به ، وجعل الإيوان الكبير خزائن السلاح ، ولم يتعرض لإزالة سرير الملك منه حتى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان جلوس الخليفة في هذه الحالة لا يتعدى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على الدوام بل على التقرير بحسب ما تقتضيه الحال . فلذا أراد الجلوس فلان كان في الشتاء علق المجلس الذى يجلس فيه بستور النسيج ، وفرش بالبط الحرير ، وإن كان في الصيف ، علق بالستور الدبيقية وفرش بطبرى بطبرستان المنهب الفائق ، وهيت المرتبة المعتة بجلوسه على سرير الملك بصدر المجلس ، وغشى السرير بالقرطوبى . ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ، فلذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء ، وهو راكب إلى أول باب من النهايز الطوال عند دهليز يعرف بهليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب ، فلذا تيمأ جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مقطع الوزارة إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو متاق ، وعلى بابه ستر متاق ، فيقف زمام القصر عن يمين باب المجلس وزمام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الأمراء المطوقون وأرباب الخليفة ، وفى خلال القوم قرأه الحضرة ، ويضع صاحب المجلس النواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكماله يعرف بفرد الكم ويشير إلى زمام القصر وزمام بيت المال الواقفين بباب المجلس ، فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير الملك مستقبلا القوم بوجهه ، ويستفتح القراء بالقرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ، ثم يقبل بى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم يُخْرِجُ لَهُ مَحْجَّةً عَنِ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَيُؤْمَرُ بِالْجُلُوسِ إِلَيْهَا ، وَيَقِفُ
الْأَمْرَاءُ فِي أَمَاكِنِهِمُ الْمُقَرَّرَةِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبَابِ وَأَسْفَهْلَارُ مِنْ جَانِبِ الْبَابِ
يَمِينًا وَيَسَارًا ، وَيُلِيمُهُمْ مِنْ خَارِجِهِ مَلَاصِقًا لِلْعَتَبَةِ زِمَامُ الْأَمْرِ وَالْحَافِظِيَّةُ وَبَاقِي الْأَمْرَاءِ
عَلَى مَرَاتِبِهِمْ إِلَى آخِرِ الرِّوَاقِ ، وَهُوَ إِفْرَازٌ عَنِ أَرْضِ الْقَاعَةِ ، ثُمَّ أَرْبَابُ الْقَصَبِ
وَالهَارِيَاتِ يَمِينًا وَيَسْرَةً كَذَلِكَ ، ثُمَّ الْأَمَائِلُ وَالْأَعْيَانُ مِنَ الْأَجْنَادِ الْمُتَرَشِّحِينَ لِلتَّقَدُّمَةِ ،
وَيَقِفُ مُسْتَدًا بِالْقَدْرِ الَّذِي يُقَابِلُ بَابَ الْمَجْلِسِ تَوَابُ الْبَابِ وَالْمَجْلِبُ ، فَإِذَا أُنْتَظِمَ
الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَقُولُ مَائِلٌ لِلْخِدْمَةِ بِالسَّلَامِ قَاضِي الْقَضَا وَالشُّهُودُ الْمَعْرُوفُونَ
بِالِاسْتِخْدَامِ فِيجِيزُ صَاحِبُ الْبَابِ الْقَاضِي دُونَ مَنْ مَعَهُ فَيَسْلُمُ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِأَدَبِ
الْخَلِيقَةِ ، بَأَن يَرْفَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى وَيُسِيرُ بِالسَّبْعَةِ ، وَيَقُولُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ : " السَّلَامُ
عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ " يُخَصَّصُ بِهَذَا الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ
السَّلَامِ ، ثُمَّ يَسْلُمُ بِالأَشْرَافِ الْأَقَارِبِ زِمَامُهُمْ ، وَبِالأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ تَقْبِيهِمْ ، تَمْتَضِي
عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ سَاعَتَانِ زَمَانَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ ، ثُمَّ يَسْلُمُ عَلَيْهِ مَنْ خُلِعَ عَلَيْهِ بِقُوصٍ أَوْ الشَّرْقِيَّةِ
أَوْ الْغُرْبِيَّةِ أَوْ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَيُسْرَفُونَ بِتَقْيِيلِ الْعَتَبَةِ ، وَإِذَا دَعَتْ حَاجَةُ الْوَزِيرِ
إِلَى مَخَاطَبَةِ الْخَلِيفَةِ فِي أَمْرٍ ، قَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَقَرَّبَ مِنْهُ مُتَحَنِّنًا عَلَى سَيْفِهِ ، وَيَخَاطَبُهُ
مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ يُؤْمَرُ الْحَاضِرُونَ بِالْإِكْتِرَافِ فَيَنْصَرَفُونَ ، وَيَكُونُ آخِرُهُمْ
خُرُوجُ الْوَزِيرِ بَعْدَ تَقْيِيلِ يَدِ الْخَلِيفَةِ وَرُجُلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ إِلَى السَّهْلِ الَّذِي تَرَجَّلَ فِيهِ ،
رَكِبَ مِنْهُ إِلَى دَارِهِ ، وَفِي خِدْمَتِهِ مَنْ خَضَرَ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى التَّنَصُّرِ ، وَيَدْخُلُ الْخَلِيفَةُ
إِلَى سَكْنَتِهِ مَعَ خَوَاصِّ الْأَسْتَاذِينَ ، ثُمَّ يَتَقَالَقُ بَابَ الْمَجْلِسِ وَيَرْتَحِلُ الْبَسْرَ إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ
إِلَى حَضُورِ مَوْكِبٍ آخَرٍ فَيَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .

الجلوس الثاني

(جلوسه للقاضي والشهود في ليالي الوقود الأربع من كل سنة)

وهي : ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمل إلى القاضي من حواصل الخليفة ستون شمعة ، زنة كل شمعة منها سُدس فنَّطار بالمصرى ليركب بها في أول ليلة من شهر رجب ، وإذا كان أول ليلة منه جلس الخليفة في منظره عالية كانت عند باب الزمرد من أبواب القصر المتقدم ذكره ، وبين يديه شمع يوقد في العلوتيين شخصه على ارتفاعه . ويركب القاضي من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشمع المحمول إليه من خزانة الخليفة موقودا ، من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبين الصَّغَيْن مؤذنون الجوامع ، يملنون بذكر الله تعالى ، ويدعون للخليفة والوزير ترتيب مقرر محفوظ ، ويحجبه ثلاثة من قواب الباب ، وعشرة من حجاب الخليفة ، خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وهم خمسة في زى الأمراء ، وفي ركابه القراء يقرءون القرآن ، والشهود وراءه على ترتيب جلوسهم يحلس الحكم الأقدم فالأقدم ، وحول كل منهم ثلاث شمعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلى ين القصرين في جمع عظيم حتى يأتى باب الزمرد من أبواب القصر ، فيجلسون في رجة تحت المنطرة التي فيها الخليفة ، ويحضر بين يديه بسمت ووقار وتشوف لانتظار ظهور الخليفة ، فيفتح الخليفة إحدى طاقات المنطرة فيظهر منها رأسه ووجهه ، وعلى رأسه عتة من خواص الأساتزين من المحنكين وغيرهم ، فيفتح بعض الأساتزين طاقة أخرى فيخرج منها رأسه ويده اليمنى ، ويشير بيمينه قائلا : " أمير المؤمنين ردّ عليكم السلام " فيسلم بقاضى القضاء أولا بنعوته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد ، ويستفتح قراء الحضرة بالقراءة وهم قيام في الصلوة ظهورهم

إلى حائط المنطرة وجوههم للحاضرين ثم يتقدم خطيب الجامع الأثوري (وهو الذي يباب البحر) فيخطب كما يخطب فوق المنبر، ويديه على فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوب علامته ثم يتم كلامه بالدعاء لل خليفة ؛ ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ؛ ثم يتقدم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقراء في خلال تلك الخطب يقرءون ، فإذا آتته خطابة الخطباء ، أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام ، ثم تلقى الطاقان وينفض الناس ، ثم يركب القاضي والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم لياقوا عليه ، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ، ثم ينصرفون ويذهب القاضي والشهود صحبته إلى مصر ، وإلى القاهرة في خدمته ، ويمر بجامع ابن طولون فيصلي فيه ويخرج منه فيجد وإلى مصر في تلقية فيمضي في خدمته ، ويمر على المشاهد فيتبرك بها ، ويمضي إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التي يحكم فيها فصلي في الجامع ركعتين ، ويؤقده التور الفضة الذي بالجامع ، وهو تتور عظيم حسن التكوين فيه نحو ألف وخمسمائة برائة ، ويسفله نحو مائة قنديل ؛ ثم يخرج من الجامع فإذا كان ساكنا بمصر استقر بها ، وإن كان ساكنا بالقاهرة آتتظره وإلى القاهرة في مكانه حتى يعود من مصر فيذهب في خدمته إلى داره .

وكذلك يركب في ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته في جامع مصر يتوجه إلى القرافة فيصلي في جامعها ؛ ثم يركب في أول شعبان كذلك ؛ ثم في نصفه كذلك .

الجلوس الثالث

(جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول)
وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفاخر حلوى من طرائف الأصناف ، وتعي في ثلثائة صينية نحاس . فإذا كان ليلة ذلك المولد ،

تفرق في أبواب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقراء الحضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجموع بالقاهرة ومصر، وقومة المشاهد وغيرهم ممن له أَمَم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة في منظره قريبة من الأرض مقابل الدار القطيعة المتقدمة الذكر (وهى البيارستان المنصورية الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب خوقة الصواني المتقدمة الذكر، فيجلسون في الجامع مقدار فراءة الختم الكريمة، وتُسَدُّ الطريق تحت القصر من جهة السيوفيين وسُوَيْقَة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك وُرش بالماء رشًا، ويرش تحت المنظر بالرمال الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطريق لمنع المازة، ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحضرون ويتجلّون على القرب من المنظره ويجمعون تحتها وهم متشوّفون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظره فيظهر منها وجهه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنكين يده ويشير بكنه بأن الخليفة يردّ عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدّم في لىالى الوقود فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرًا برّد السلام كما تقدّم، ثم تغلق الطاقات وينصرف الناس إلى بيوتهم، وكذلك شأنهم في مولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

(ركوبه في المواكب، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ركوبه في المواكب العظام، وهى ستة مواكب)

الموكب الأول

(ركوب أول العام)

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة، وقع

الاهتمام بإخراج ما يحتاج إليه في المواكب من حواصل الخليفة : فيُخْرَج من خزانة السلاح ما يحمله الرُكَّابية وغيرهم حول الخليفة كالصَّمَّاس ، والدَّبَّابيس ، والتُّنُوت ، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق ، والرماح ، والألوية ، والأعلام . ومن خزانة التجمل برسم الوزير والأمراء وأرباب الحَدَم الأُلوية والقُصْب ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدم ذكره . ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسومة برسم ركوب الخليفة وما يجنبه . ويُخْرَج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب ، وفي أعناق الخيل أطواق الذهب وقلائد العنبر ، وفي أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة ، قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار ، يُنْفَع للوزير منها عشرة بعثتها برسم ركوبه وركوب أخصائه ، وتسلم إلى المناخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال ، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة في المواكب مما تقدم ذكره في الكلام على الخزانة ، ويُسَمَّى إلى أرباب الحَدَم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها في الموكب . فإذا كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة ، استدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتاد في الإسراع ، فإذا عاد صاحب الرسالة من استدعاء الوزير ، خرج الخليفة من مكانه راجعا في القصر ، فيقتل في السِّلِيل ، بدلهيز باب الملك الذي فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره ، فيقف من جانبه الأيمن زِمَامُ القصر ، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال ، ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء ، فإذا وصل إلى باب القصر تَبَيَّلَ الأمراء وهو راكب ، ويدخل من باب العيد ، ولا يزال راجعا إلى أول باب من المحاليز الطوال ، فيقتل ويمشي فيها وحواليه حاشيته ومن رُبابه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلى الشباك ، وجد تحته كرسيًا كبيرًا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطلُّ الأرض ، فإذا جلس ، رفع كلُّ من زمام القصر وصاحب بيت المال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسية فيجلس . ويستفتح القراء بقراءة آيات لا تقه بذلك المكان مقدار نصف ساعة ، ثم يسلم الأمراء ، ويُشرع في عرض خيول الخصاص المقدم ذكرها واحدة واحدة إلى آخرها . فإذا تكمل عرضها ، قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أُرِجى الست وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيمضون معه إلى داره رُكّانا ومشاة على حسب مراتبهم . فإذا صلب الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعين ما يلبس في ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين منديلا لشدة التاج ، وبذلة من هذا النوع ، والجوهرية الثمينة وماعنها من الجواهر المتقدمة الذكر لشدة التاج وتشدة مظلة تشبه تلك البذلة ، وتلف في منديل دسّي فلا يكشفها إلا حاملها عند ركوب الخليفة ، ثم يشد لوامي الحمد المتقدّم الذكر . فإذا كان أول يوم من العام ، بكرّ أرباب الرتب من فوى السيوف والأقلام فلا يصبح الصبح إلا وهم بين القصرين متظرين ركوب الخليفة (وهو يومئذ قضاء واسع خال من البناء) ويكرّ الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير استدعاء وأمامه ماشرفه به الخليفة من الألوية والأعلام ، والأمراء بين يديه رُكّانا ومشاة ، وأولاده وإخوته قدامه ، وكل منهم مرئى الذؤابة بلا حتك ، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحنك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر ، ترجل الأمراء ودخل هورا كما إلى محل نزوله ينهلز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهاليز حتى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على دكّ معة لهم ،

ويُدخلُ فرسُ الخليفة إلى باب المجلس الذي هو فيه ، وعلى باب المجلس كرسىٌ يركب من عليه . فإذا أَسَوَتِ الدابة إلى ذلك الكرسي ، أُنْجِرتِ المظلة إلى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه ويتسلمها بإطاعة أربعة معتين لحملتها فيركبها في آلة من حديد تشبه القرن المصطحب مشدودة في ركاب حاملها الأيمن بقوة ، ويمسك العمود بحاجز فوق يده ، ثم يخرج السيف فيسلمه حامله . فإذا تسلمه أَرْنَى دُؤَابَتَهُ فلا تزال مرخاة ما دام حاملا له ، ثم تُخْرَجُ الدواة فيسلمها حاملها ويجعلها قدامة بينه وبين السرج ، ثم يخرج الوزير عن المقطع وينضم إليه الأمراء ويقفون إلى جانب فرس الخليفة ، ويرفع صاحب المجلس الست فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة من الأستاذين ، ويخرج الخليفة في أثرهم في ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى رأسه التاج الشريف واللمزة القيمة على جبهته ، وهو مُحْتَكٌّ مرئى النؤابة مما على جانبه الأيسر متقلد بالسيف العربي وقضيبُ الملك بيده ، ويسلم على الوزير قوم مرئبون لذلك ، ثم على القاضي وعلى الأمراء بعدهما ، ثم يخرج الأمراء ويصعد الوزير فيركب ويقف قبالة باب القصر ، ويخرج الخليفة راكبا وفرسه ماشية على بسط خشية أن تترقى على الرخام والأستاذون حوله . فإذا قارب الباب وظهر وجهه ، ضرب رجلٌ بوقٍ لطيف معوج الرأس متخذ من الذهب يقال له الفرية يخالف لصوت الأبواق ، فتضرب البوقات في الموكب ، وتُشْر المظلة ، ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وضريحهم من أرباب الرتب الذين كانوا في الخدمة بالقاعة ، ثم يسير الخليفة في الموكب وصاحبُ المظلة على يساره ، وهو يحيرص أن لا يزول ظلها عن الخليفة ، ثم يكتفت الخليفة مقتمو صبيان الركاب ، آتسان منهم في شكيمة لحام فرسه ، وآتسان في عتق القرس من الجلائين ، وآتسان في ركابه من الجلائين أيضا ، والأيمن منهما هو صاحب المقررة

الذى يتاولها الخليفة ويتناولها منه، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مئة ركوبه الأوامر والنواهي، واللاوامان المعروفان بلوامى الحمد عن جانيه، والمُتَبَتَّانِ عند رأس فرس الخليفة، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناديل والسلاح، وهم من جاني الخليفة كالجناحين الماسقين، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالتقرب من رأسها الصقليان الحاملان للذبتين، وهما مرفوعتان كالنخلتين. (وقتيب الموكب): أجنادا للأمراء وأولادهم وأخلاق السكرا أمام الموكب وأدون الأمراء يولونهم، ويعلم أرباب القُصْبِ الفضة من الأمراء، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون، ثم أهل الوزير المتقدم ذكرهم، ثم الحاملان للوامى الحمد من الجنتين، ثم حامل العوادة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابية، وهو سائر على تَوَدَّةٍ وَرَفْقٍ، وفي أوائل العسكر ومتقدميه وإلى القاهرة ذاهبا وطائفا لمسح الطرقات وتسير من يقف، وفي وسط العسكر أسفهلار يَحْتَ الأجناد على الحركة ويزجر المتراحمين والمعرضين في العسكر ذاهبا وطائفا، وفي زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا، يلي صاحب الباب أسفهلار، وأسفهلار يلي وإلى القاهرة، وفي يد كل منهم دُبُوس، وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرايط دياج أحمر وأصفر يقال لها سيوف الدم رسم ضرب الأعناق، ويعلم الحاملون للسلاح الصغير المتقدم الذكر، ووراء الوزير في هيئة عظيمة، وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الأجناد من جانيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا أن لا يئيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير في عدة

كثيرة تتوي من أصواتها الدنيا، ووراء ذلك حاملُ الرمح المقتم ذكره والدرة المنسوبة إلى حزة، ثم رجال الأساطيل مشاةً ومعهم القسي العربية، وتسمى قسي الرّجل والركاب، ما يزيد على خمسمائة رجل؛ ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الرمحانية والجيشوية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمرة بعد زُمرة في علة وافرة تريد على أربعة آلاف؛ ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف المساكين من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصغار والأفضلية والجيشوية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الفُر المصطنعة وضمهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس .

قال ابن الطوير: وهذا كله بعض من كل . وإذا ترتب الموكب على ذلك، سار من باب القصر الذي خرج منه بين القصرين، يسير بموكبه حتى يخرج من باب النصر ويصل إلى حوض كان هالك يعرف بمر الملك على القرب من باب النصر، ثم ينطف على يساره طالبا باب الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر على يساره، وسار بجانب السور حتى يأتي باب الفتوح فيدخل منه . وفيما كان فإنه يدخل منه، ويسير الموكب حتى ينتهي بين القصرين فيقف العسكرية على ما كان عليه عند الركوب ويترجل الأمراء . فإذا انتهى الخليفة إلى الجامع الأحمر، وقف هناك في جماعته وينفجر الموكب للوزير فيتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة . فإذا مر بالخليفة، سلك له سكة ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهذه أعظم كرامة تصدّر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف . فإذا جاوز الوزير الخليفة، سبقه إلى باب القصر ودخل راجعا على عادته والأمراء أمامه مشاة إلى الموضع الذي ركب منه بهليز العمود المقتم ذكره، فيترجل هناك ويقف هو والأمراء لانتظار الخليفة . فإذا انتهى الخليفة إلى باب القصر، ترجل الأساقون المحنكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأساقون محدقون به .

فلذا آتتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فوسه إلى الكرى الذى ركب من عليه فيضله الوزير والأمرء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى ثوره . فلذا خرج الوزير إلى مكان ترحله ركب، والأمرء بين يديه، وأقارب حواله إلى خارج باب القصر، فيركب منهم من يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون في خدمته إلى داره، فيدخل راكبا ويترجل على كرى فيضله الجماعة وينصرفون، وقد رأى الناس من حسن الموكب ما أبهجهم وراق خواطريهم، ويتفرق الناس إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الفزة : وهى دنانير رباعية ودرهم خفاف مدقورة، ويكون الخليفة قد أمر بضربها فى العشر الأخير من ذى الحجة برسم الفزة فى هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمرء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدر مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخطقات بالبنائى ركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب الميدان الآن.

الموكب الثانى

(ركوب أول شهر رمضان)

وهو قائم عند الشيعة مقام رؤية الهلال، والأمر فى العرس واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق السلوك على ما تقدم فى أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المخطقات بالبنائى كما يكتب فى أول العام .

الموكب الثالث

(ركوبه فى أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان)

وهى الجمعة الثانية [والثالثة^(١)] والرابعة، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكر صاحب بيت المال إلى الجامع بالقرش المختص بالخليفة محمولا

(١) الزيادة ليست بالأصل، ولكن سياق كلامه يدل عليها .

على أيدي أكابر القزاشين ملفوفا في الرعاشى الدبقية ، فيُقرش في الحراب ثلاث طراحت إتا شاميات ، وإتا دبيق أبيض ، مقوشة بالجرة ، وتقرش واحدة فوق واحدة ، ويعلق ستران يمتة ويترّة ، في الستر الأيمن مكتوب برقم حرر أحمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة ، وفي الستر الأيسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة مضبوطة ، ويصعد قاضي القضاة المنبر ، وفي يده منخنة لطيفة خبز أن يحضرها إليه صاحب بيت المال وفيها نداء مثلث لا يشم مثله إلا هناك ، فيخرج زوروة المنبر التي عليها القنا كالقبة جلوس الخليفة للخطابة ثلاث دفعات ، ويركب الخليفة في هيئة ما تقم في أول العام وأول رمضان : من المظلة والآلات ، ولباسه فيه الثياب الياض غير المنهبة توقيرا للصلاة ، والمنديل والطيلسان المقور . وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة من الجانين يرفضون أصواتهم بالقرادة نوبة بعد نوبة من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها ، وإن احتاج إلى تجديد وضوء فعل ، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وأسفهلار وصبيان الخاص ، وغيرهم ممن يجري مجراهم من أولها إلى آخرها ، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر . فإذا أذن للجمعة دخل إليه قاضي القضاة ، فقال : «السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله» فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنكون والوزير ورائه ، ومن يليهم من الأمراء من صبيان الخاص ، وبأيديهم الأسلحة حتى يتنهي إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الدروة تحت القبة المجبرة ، والوزير على باب المنبر ووجهه إليه . فإذا استوى جالسا أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه ، فيقبل بيده ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يتر على تلك القبة وتصير كالهودج ، ثم يتزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للثبر . فإن لم يكن وزير صاحب

سيف ، كان الذي يَزُرُّ عليه قاضي القضاة ، ويقف صاحب الباب ضابطاً للبر ، فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يَأْتِي إليه من ديوان الإنشاء ، ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم ، ثم يصل فيها على أبيه ويثني على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، ويعظم الناس وعظماً بليغا قليل اللفظ ، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول : "اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعا" ويتوسل بدعوات نعمة تليق به ، ويدعو للوزير إن كان ثم وزيرٌ وجهيوش بالنصر والتألف ، وللعاكر الظفر ، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ، ثم يختم بقوله : ﴿ أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ ﴾^(١) فيطلع إليه من زء عليه فيفك ذلك التذريع عنه ، ويتزل القهقري ، فيدخل المحراب ويقف على تلك الطراحات إماما والوزير وقاضي القضاة صفاء ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمرء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام ، والمؤذنون وقوف وظهورهم لحائط المقصورة ، والجامع مشحون بالماء للصلاة وراه في الركعة الأولى ما هو مكتوب في الستر الأمين ، وفي الثانية ما في الستر الأيسر . فإذا سمع الخليفة ، سمع القاضي المؤذنين ، فيسمع المؤذنون الناس . فإذا فرغ نرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد إلى القصر والوزير وراه حتى يأتى إلى القصر ، والطبول والبوقات تضرب دحأا وإبابا .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ، ركب إلى الجامع الأزهر كملك وفعل كما فعل . في الجمعة الأولى ، لا يختلف في ذلك غير الجامع .

فإذا كانت الجمعة الرابعة منه ، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزن له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطولوني ، ويزن له أدل مصر من الجامع الطولوني إلى

(١) لله فيزل (أي الخليفة) فيدخل الخ . (٢) لله نرج ونرج الناس الخ .

الجامع العتيق ، وقد نَدب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الأعظم بمصر ، يمشى في شارع واحد بين البحارة إلى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل في الجامعين الأولين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة ، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره ، وفي خلال ذلك كله لا يمز بمسجد إلا أعطى أهله ديناراً على كثرة المساجد في طريقه .

الموكب الرابع

(ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحى)

أما عيد الفطر فيقع الاحتام بركوبه في العشر الأخير من رمضان ، وتبني أهبة الموكب على ما تقدم في أول العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلياً على رَبوَّةٍ وجميعها مبنى بالبحر ، ولها سور دائر عليها وقلة على بابها ، وفي صدرها قبة كبيرة في صدرها بحراب ، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلي مكشوفاً تحت السماء ، ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة أذرع ، وفي أعلاه مصطبة . فإذا كمل رمضان ، وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص . فإذا كان اليوم الأول من شوال ، سار صاحب بيت المال إلى المصلي خارج باب النصر ، وفرش الطراحات بحراب المصلي ، كما تقدم في الجوامع في أيام الجمع ، ويعلق سترين يمتد ويمتد في الأيمن الفاتحة وسبج أسم ربك الأعلى ، وفي الأيسر الفاتحة ، وهل أنك حليت الفاتحة ، وركر في جانبي المصلي لواءين مشعدين على رحمين ملبسين بأنايب الفضة ، وهما مشعوران مرخيان ، ويوضع على ذروة المنبر طراحة من شاميات أودبتي ، ويفرش بأقيه بستر من بياض ، على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشي وغيره ، ويحمل في أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يمتد ويمتد ، ثم سار الوزير من داره إلى

قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر، ويركب الخليفة هيئة الموابك العظيمة على ما عهدهم في أول العام : من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات ، ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة المجومة ، وهى أجل لباسه ومظله كذلك ، ويخرج من باب البعيد على عادته في ركوب الموابك إلا أن الساكر في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينظم القوم له صفين من باب القصر إلى المصلى ، ويركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقها إلى مكان يستريح فيه دقيقة ، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضى وراءه كما تقدم، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ، ويقرأ في الركعة الأولى مافى الستر الذى على يمينه، وفى الثانية مافى الستر الذى على يساره . فلذا فرغ وسلم ، صعد المنبر لخطابة العيد . فلذا انتهى إلى ذروة المنبر ، جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزير ، وقاضى القضاة ، وصاحب الباب وأسفهلار ، وصاحب السيف ، وصاحب الرسالة ، وزمأم القصر، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المظلة، وزمأم الأشراف الأتقارب ، وصاحب بيت المال ، وحامل الزح ، وقيب الأشراف الطالبيين . ووجه الوزير إليه فيقبلهما بحيث يراه الناس ، ثم يقوم فيقف على يمين الخليفة . فلذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة ، ثم يتطلع إليه منتظرا مايقول ، فيشير إليه فيخرج من كفه درجا قد أحضر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير ، فيملن بقراءة مضمونه [ويقول] بعد البسملة : شُرف بصعود المنبر الشريف فى يوم كذا ، وهو عيد الفطر من سنة

(١) فيه سقط فى المخطوطة بدلهذا [فيشير إليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا لرجليه فيقبلهما الخ] .

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل (بذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُسَرِّفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضي ولكنه يكون هو القارئ للتهنيت فلا يسعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين على باب المنبر ممن تقدم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلما ذكر واحدا استدعاه وطلع المنبر، كل منهم يعرف مقامه في المنبر يَمْنَةً وَيَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطْلِعَ إلى المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل من هو في جانب يده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون، وينادى في الناس بالإنصات، فيخطب الخليفة خطبةً بليغة مناسبة لذلك المقام ، يقرؤها من السَّقَطِ الذي يُحْضَرُ إليه مسطرا من ديوان الإنشاء كما في جمیع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبة ، ألقى كل من في يده شئاً من اللواء خارج المنبر، فينكشفون ويتزلون القهقري أولاً بأول الأترب فالأقرب . فإذا خلا المنبر لخليفة ، هبط ودخل المكان الذي خرج منه ، فلبث قليلا ثم ركب في هيئته التي أتى فيها إلى المصلى، ويسود في طريقه التي أتى منها . فإذا قرب من القصر، تقدمه الوزير على العادة، ثم يدخل من باب البعيد الذي خرج منه، فيجلس في الشباك الذي في الإيوان الكبير، وقد مد منه إلى فسقية في وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سَمَاطٌ فيه من الخُشْكُوكِ والبُسْتُودِ، وغير ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق، كل قطعة ما بين ربع قطار إلى رطل واحد ، فإكل من يأكل ويتقل من يتقل لا يجبر عليه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِبَ ، ووضع له مائدة من فضة ، ومد السباط تحت السرير فيترجل عن السرير، ويجلس على المائدة، ويستدعى الوزير فيجلس معه، ويجلس الأمراء على السباط ولا يزال كذلك حتى

يستهم السباط قريب صلاة الظهر؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمرء في خدمته فيمده لم سباطا يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحى، فإنه إذا دخل ذوالحجة وقع الأهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة على ما تقدم في عيد الفطر من الزى والترتيب والركوب إلى المصلى، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشح، ومطلته كذلك، ويخرج إلى المصلى خارج باب النصر ويخطب، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص؛ ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفرج، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السعداء التى هى الخاقاه الآن، فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور، فيترجل الوزير ويمشى في خدمته إلى المتحرة، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك قضاء أسما لا بناء فيه، وهناك مصطبة مفروشة فطلع عليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنكون وأكابر الدولة، ويكون قد سبق إلى المنحر أحد وثلاثون فصيلا وثاقفة للأضحية، ويده حربة، وقاضى القضاة مسك بأصل سنانها، وتقدم إليه الأضحية رأسا رأسا فيجعل القاضى السنان في نحر النخيرة ويطعن به الخليفة فى كبها، فضحين يديه حتى يأتى على الجميع، ثم يسير رسوم الأضحية إلى أرباب الرسوم المقررة، وفى اليوم الثانى يساق إلى المنحر سبعة وعشرون رأسا، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاث وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك . فإذا آقضى ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر، خلع على الوزير ثيابه الجمل التى كانت عليه يوم العيد، ومنديلا بنير القيمة والعقد المنظوم بالجوهر، ويركب الوزير بالخيلة من القصر، ويسق القاهرة بالشارع سالكا إلى الخليج فيسير عليه حتى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك أنفصال العيد . ثم أول نخيرة تمرر تقدم وتسير إلى داعى اليمن فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفرق على أرباب الرسوم فى أطباق البركة، وأكثره يفرقه قاضى القضاة وداعى الدعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بمجامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السباط بقاعة الذهب على ما تهمّم فى عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخامس

(ركو به لتخليق المقياس عند وفاء النيل)

قد تهمّم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية ابتداءً زيادة النيل ووفاءه وآتياه ، وذكر المناداة عليه على ما الأمر مستقر عليه . إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء ، وإنما يؤخذ قاعه وتكتب به رُقعة للخليفة والوزير ، ثم يترل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان ، ويستمرّ الحال على ذلك فى كل يوم ترفع رُقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة والوزير ، وأمره مكتوم إلى أن يبقّى من ذراع الوفاء (وهو السادس عشر) أصبع أو أصبعان ، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المقياس تلك الليلة قرأً الحضرة والمتصدّرون بالجمام بالقاهرة ومصر ومن يحرى مجراهم تختم القردان الكريم فى تلك الليلة هناك ، ويمدّ لهم السباط بالأطعمة الفاتحة ، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة ، طلعت رُقعة ابن أبى الرزاد إلى الخليفة ، فحضر إليه بالقصر ، فركب الخليفة فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم ، إلا أنه يلبس أتابج الذى فيه اليتيمة ، ولا يحلّ المظلة على رأسه فى ذلك اليوم ، ويركب الوزير وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب ، ويخرج من القصر شاقاً التاهرة إلى باب زويلة فيخرج منه ، ويسلك الشارع إلى أن يجاوز البستان المعروف ببباس عند رأس الصليبية بالقرب من الخانقاه الشيخونية

الآن، فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر الأعظم حتى يأتي مصر، ويدخل من الصناعة - وهي يومئذ في غاية العبارة - وبها دُحْلِيْزٌ ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني مؤزر بها - ويخرج من بابها شاقا مصر حتى يأتي المنطرة المعروفة برواق الملك على القرب من باب التمنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزير معه ماشيا إلى المكان المعد له ، ويكون العشارى الخاص المبرع عنه الآن بالحزقة واقفا هناك بشاطئ النيل ، وقد حُلَّ إليه من القصر بيتٌ مثنى من الملاج والآبُوس كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامة رجل تام ، فيركب في العشارى المذكور وعليه قبة من خشب يحكم الصنعة، وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الأساتذین المحتكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطلع خواص الخليفة إلى العشارى والوزير ومعه من خواصه اثنين أو ثلاثة لاغير، فيجلس الوزير في رواقٍ بظاهر البيت المذكور، بقوانيس من خشب مخروط مدهونة مذهبة، يستور مسئلة عليه ، ويسير العشارى من باب المنطرة إلى باب المقياس العالى على الدرج، فيطلع من العشارى، ويدخل إلى الفسقية التي فيها المقياس، والوزير والأساتذون المحتكون بين يديه، فيصلى هو والوزير كل منهما ركعتين بمفرده ، ثم يؤتى بالزعفران والمسك فيديفه في إثناء يديه بآلة معه، ويتناوله صاحب بيت المال فيتناوله لأبن أبي الرقاد ، فليق نفسه في الفسقية بثيابه فيتعلق في العمود برجليه ويده اليسرى ويحلقه بيده اليمنى، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤون القرآن؛ ثم يخرج على فوره راجعا في العشارى المذكور، ثم يعود إلى دار الملك، ويركب منها عائنا إلى القاهرة؛ وتارة ينحدر في العشارى إلى المقدس، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهرة. ويكون في البحر ذلك اليوم نحو ألف مركب مشحونة بالناس للتفرج وإظهار الفرح . فلذا كان اليوم الثانى من التخليق أتى أبى الرقاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيئسان مقورة ،
ويُدْفَعُ إليه خمسة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهياة له ، فيلبس الخلعة ،
ويخرج من باب العيد المتقدم ذكره فى أبواب القصر ، وقد هيئ له خمس بنال على
ظهورها الأحمال المزينة بالخلى ، على ظهر كل منها راكب ويده أحد الأكياس
الخمس المتقدم ذكره ظاهر فى يده ، وأقاربه وبنوعه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ،
وأمامه حلائن من الثقارات السلطانية ، والأبواق تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل
الأمراء ، فيشق بين القصرين ، وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه
الخليفة أو يخرج ، نزل قبله ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتى يأتى
مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ، ويمحاذيه إلى شاطئ النيل فيعدى إلى المقياس
بجلفته ومعه من الأكياس ، فيأخذ من الأكياس قدرا مقورا له ، ويفترق باقى ذلك
على أبواب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

الموكب السادس

(ركوبه لفتح الخليج)

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدم ذكره ، وليس كما فى زماننا
من فتحه فى يوم التخليق ، وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين
يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المال موائد من التماثيل الختلفة : من
الفزلان ، والسباع ، والنبيلة ، والزرايرى عنة وافرة ، منها ما هو ملبس بالعنبر ،
وما هو ملبس بالصنل ، مفسرة الأمين والأعضاء بالنهب ، وكذلك يعمل أشكال
التفاح والأترج وغير ذلك ، وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة بالقانول المتقدم ذكره
فتنصب للخيصة فى بر الخليج الغربى على حافته عند منطرة يقال لها السكرة على

القرب من فم الخليج، ويُلفُّ عمودُ الخيمة بديساجٍ أحمرٍّ أو أبيضٍ أو أصفرٍ من أعلاه إلى أسفله، وينصب فيها سرر الملك مستندا إليه ويشئى بقرقوبى، وعترانيسه ذهبٌ ظاهرة، ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش الخفيفة، يضرب لأرباب الرتب من الأمراء بحجى هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة، ثم يركب الخليفة على عادته فى المواكب العظيمة بالمظلة وتوايحها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات، ويزاد فيه أربعون بونا: عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، يكون المنقرون بها ركبانا، والمنقرون بالأبواق النحاس مشاة، ومن الطبول العظام عشرة طبول. فإذا كان يوم الركوب، حضر الوزير من دار الوزارة راجعا فى هيئة عظيمة، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة، ويخرج الخليفة من باب القصر راجعا والأستاذون المحنكون مشاة حوله، وعليه ثوب يسمى البدنة حرير مرقوم بذهب، لا يلبسه غير ذلك اليوم، والمظلة بنسبته، فيركب الأستاذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب المتقدم فى ركوب أول السام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتى يأتى الجامع الطولونى؛ ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا بابه من هذه الجهة، فيقف لهم الخليفة وقفه لطيفة، ويسلم على القاضى، فيتقدم القاضى ويُقبل رجله التى من جانبه، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم، ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج، فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة، فيتقدمه الوزير على العادة، فيترجل على باب الخيمة، ويجلس على المرتبة الموضوعة له فوقه^(١)، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم، ويوضع للوزير كرسيه الجارى به العادة على ما تهتم فى جلوسه فى القصر، فيجلس

(١) أى فرق السرير المحتم ومعه قريبا.

ورجله يُحْكَن الأرض، ويقف أرباب الرُّبِّ صفين من سرير المُلْك إلى باب الخيمة، وقراء الحضرة يقرءون القرآن ساعة زمانية . فإذا فرغوا من القراءة، أستاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة، فيؤذن لهم فيتقدمون واحدا بعد واحد على مقدار منازلهم المقررة لهم، ويُشَدُّ كُلُّ منهم ما وقع له نظمه مما يناسب الحال . فإذا فرغ أتى غيره وأنشد ما نظمه إلى أن يفرغ إنشادهم، والحاضرون ينفقون على كل شاعر ما يقوله، ويحسون منه ما حسن ويوهون منه ما وهى .

فإذا أنهض هذا المجلس، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنظرة المعروفة بالسكرة بقرب الخيمة والوزيرين يديه، وقد فُرِشت بالفرش المعدّة لها، فيجلس الخليفة بمكان معدّ له منها، ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده، ويجلس القاضي والشهود في الخيمة البيضاء الدنيقة؛ فيُطْلُ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السد فيفتح بالمأول، وتضرب الطبول والأبواق من البرين، وفي أثناء ذلك يصل السباط من القصر محبة صاحب المائدة القائم مقام أستاذ دار الصحبة الآن، وعلمتها مائة شدة في الطيافير الواسعة في القواوير الحرير، وفوقها الطراحات النفيسة، وريح المسك والأفلويه تنفوح منها، فتوضع في خيمة واسعة معدّة لذلك، ويحمل منها للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم، ثم لقاضى القضاة والشهود، ثم إلى الأمراء على قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضي والشهود، فإنه لا يكون في موائدهم تماثيل . فإذا اعتدل الماء في الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الجار، وهى سبعة : النهي المختص بالخليفة، وهو الذى يركب فيه يوم التخليق، والفضى، والأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزوردى، والصقلى، وهو عشارى أنشاء تجار من صقلىة على الإنشاء المعتاد فنسب إليه، وعليها الستور الدسقى المتلونة، وفي أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتى ترسو على المنطرة التي فيها الخليفة . فإذا صلى الخليفة العصر، ركب لإبسا غير الثياب التي كانت عليه في أول النهار، وبطلته مناسبة لثيابه التي لبسها، وباقي الموكب على حاله، ويسير في البر الغربي من الخليج شاقاً للبساتين حتى يصل إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمر الوزير إلى داره على عادته في مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنطرة المعروفة بالسكرة، سار في الخليج الغربي على ما هتتم ذكره حتى يأتي بستان الدكة، وقد علقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فوسه ، ثم يخرج حتى يقف على الرعة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثاني

(من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة)

وهي أربعة أيام أو خمسة فيما بين أول العام ورمضان ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب في يوم من هذه الأيام، قدم بخرقة السلاح على الركابية على ما هتتم ذكره في أول العام ، وأكثر ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصر من النظام المتقدم له في المواكب العظام وأقل جمعا، ويلبس في هذه الأيام الثياب الملبهة من البياض والملون ومتدلية من نسبة ذلك مشدودة بشدة عرس شداث فيه ، وفوائبه مرخاة تهرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربي المجوهر غير حثك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة في الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولوني على المشاهد إلى الجامع العتيق . فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة يجانبه فيها محراب، مفروشة

(١) كنا في الأمل وله غير شداث .

بحصير وعليها سجادة معلقة، وفي يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فيأوله المصحف من يده فيقبله ويتبرك به ويأمر له بغطاء يفرق على أهل الجامع .

الضرب الثالث

(من هيئة الخليفة هيئته في قصوره)

قال ابن الطوير : كان له ثياب يلبسها في الدور أكرامها على النصف من أكرام ثيابه التي يلبسها في المواكب، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان في القصر في ليل أو نهار إلا وهو راكب، ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمر الإناث لما تدعوه الضرورة إليه من الجواز في السراييب القصيرة والطولوع على الزلاجات إلى أعلى المناظر والمسكن، وله في الليل نسوة يرسم شدة ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمر، وفي كل عملة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل، ويبيت خارج القصر في كل ليلة خمسون فارساً للحراسة . فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة النعشب وصلى الإمام الراتب فيها بالمقيمين من الأساتذيين وغيرهم، وقف على باب القصر أمير يقال له ستان الدولة - مقام أمير جاندان الآن - فإذا علم بفرار الصلاة تضرب البوقية من الطبول والبوقات وتوايسها على طريق مستحسنة ساعة زمانية، ثم يخرج أستاذ يرسم هذه الخدمة فيقول : "أمير المؤمنين ردة على ستان الدولة السلام" فيفرز ستان الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده، فإذا رفعها أغلق الباب، ودار حول القصر مبيع دورات . فإذا انتهى ذلك جصل على الباب البوايين والفراشين وأوى المؤذنون إلى خرائن لم هناك، وترعى السلسلة عند المضيق: آخر بين القصرين عند السيوفيين

فينقطع الماز من فلك المكان إلى أن تضرب البوقية سحرا قرب الفجر فتُرفع السلسلة
ويجوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

(في اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور واعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم
في رعاياهم، واستمالة قلوب مخالفهم)

أما اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور واعتنائهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من
أهم أمورهم، وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع
بلادهم الساحلية كالإسكندرية ودمياط من الديار المصرية، وعسقلان وعكا وصور
وضيها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن ينقلب عليها الفرنج، وكانت
جريدة قوادهم يزيد على خمسة آلاف مقاتل مدونة، وجواسكهم في كل شهر من
عشرين دينارا إلى خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين، وعلى
الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقوام جاشا، وكان أسطولهم يومئذ يزيد على
خمسة وسبعين شينا وعشر مسطحات وعشر حمالات، وعمارة المراكب متواصلة
بالصناعة لا تنقطع . فلما أراد الخليفة تجهيزها للفرار، جلس للنفقة بنفسه حتى
يكملها، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالمقيم، فيجلس في منظره كانت
بجامع باب البحر والوزير معه للودعة، ويأتي القواد المراكب إلى تحت المنظر،
وهي مزينة بالأسلحة والمتجنيقات واللعب منصوبة في بعضها، فتسير بالمجاديف
ذهابا وعودا كما يفعل حالة القتال، ثم يحضر إلى يمين الخليفة المقدم والرئيس
فيوصيها ويدعو لهم بالسلامة، وتبحر المراكب إلى دمياط وتخرج إلى البحر الملح،
فيكون لها في بلاد العدو الصيت والسعة . فلما غنموا مراكبا أصطفى الخليفة

(١) أي التوديع . وقد جرى فيه وفي كثير غيره على اصطلاحات العامة .

لنفسه السي الذي فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغانمين لا يُساهمون فيه . وكان لهم أيضا أسطول بعينَاب يتلقى به الكارم فيما بين عينَاب وسواكن ، وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا يجزأربح القارم هناك بعترضون المراكب ، فيحميمهم الأسطول منهم ، وكان عنة هذا الأسطول خمسة مراكب ، ثم صارت إلى ثلاث ، وكان إلى قُوص هو المتولّى لأمر هذا الأسطول ، وربما تولاه أمير من الباب ، ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكفيه .

وأما سيّتهم في رعيّتهم وأسئلة قلوب مخالفهم ، فكان لهم الإقبال على من يفد عليهم من أهل الأقاليم جلّ أودق ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام ، ويعوّضون أرباب الهدايا بأضماها . وكانوا يتألّفون أهل السُنّة والجماعة ويمكنونهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمتنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك ^(١) بذكر الصمابة رضوان الله عليهم ، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم ، بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ورأعون مذهب مالك ، ومنّ سالهم الحكم به أجابوه ، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب في علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا في مكاتبه إلا بالكاف حتى الوزير صاحب السيف ، وإنما المكاتبات عن الوزير هي التي تغلوت مراتبها ؛ ولا يخاطب عنهم أحد إلا بنعت مقزّره ودعاء معروف به ؛ ورأعون من يموت في خدمتهم في عقبه ، وإن كان له مرتب قلوبه إلى ذريّته من رجال أو نساء .

(١) يباش بالأمل بقدر كلفة .

الجملة السابعة

(في إجراء الأرزاق والعتاء لأرباب الخدم بدولتهم،
وما يتصل بذلك من الطعمة)

أما إجراء الأرزاق والعتاء، فقد تقدم أن ديوان الجيوش كان عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشيات دولتهم، وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق في الدولة من راتب وجار وجارية، ولكل من الثلاثة كُتِّبَ يختصون بخدمته . والقسم الثالث هو المقصود هنا، وكان راتبهم فيه بالدنانير الخيشية، وكان يشتمل على ثمانية أقسام .

الأول - فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير في كل شهر خمسة آلاف دينار، ومن يليه من ولد أو أخ من ثمانية دينار إلى مائتي دينار، ولم يقدر لولد وزير خمسة دينار سوى الكامل بن شاوور، ثم حواشيه من خمسة دينار، إلى أربع مائة دينار، إلى ثمانية دينار خارجا عن الإقطاعات الثاني - فيه حواشي الخليفة .

فاولم الأستاذون المحنكون على رتبهم . فزمام القصر، وصاحب بيت المال، وحامل الرسالة، وصاحب النقرة، وشاد التاج، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، لكل واحد منهم في الشهر مائة دينار، ثم من دونهم من تسعين دينار إلى عشرة دنانير على تفاوت الرتب . وفي هذا طبيا الخاص، ولكل واحد منهما في الشهر خمسون ديناراً، ولبن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

الثالث - فيه أرباب الرتب بحضرة الخليفة .

فأول مسطور فيه كاتبُ الدُّنْس - وهو المعبر عنه الآن بـ كاتِب السِّر - وله في الشهر مائة وخمسون ديناراً، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون ديناراً - ثم الموقعُ بالقلم البقيق، وله مائة دينار - ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون ديناراً - ثم حامل السيف وحامل الرمح، ولكل منهما سبعون ديناراً ؛ وبقية الأُزَمة على العساكر والسودان من خمسين ديناراً، إلى أربعين ديناراً، إلى ثلاثين .

الرابع - فيه قاضي القضاة، وله في الشهر مائة دينار - وداعي الدُّعاة وله مثله ؛ وقراء الحضرة، ولكل منهم عشرون ديناراً، إلى خمسة عشر ديناراً، إلى عشرة .

الخامس - فيه أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم .

فأولهم مُتَوَلَّى ديوان النظر، وله في الشهر سبعون ديناراً - ثم متولى ديوان التحقيق، وله خمسون ديناراً - ثم متولى ديوان المجلس، وله أربعون ديناراً - ثم متولى ديوان الجيوش، وله أربعون ديناراً ؛ ثم صاحب دفتر المجلس، وله خمسة وثلاثون ديناراً ؛ ثم الموقعُ بالقلم الجليل القائم مقام كاتب الدُّرَج الآن، وله ثلاثون ديناراً . ولكل مُعين عشرة دنانير، إلى سبعة، إلى خمسة .

السادس - فيه المستخدمون بالقاهرة وهم في خدمة واليها، ولكل واحد منهما خمسون ديناراً - ولُحَمَاءُ الأُمراء والمُنَاخات والجواري والبساتين والأُملاك وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين ديناراً، إلى خمسة عشر، إلى عشرة، إلى خمسة .

السابع - فيه عدة الفُرشاين برسم خُدَمة الخليفة والقصور وتنظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر، ولكل منهم في الشهر ثلاثون ديناراً ؛ حولها - ثم مَنْ يليهم من الرُشاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل، ولكل منهم من عشرة دنانير إلى خمسة .

الثامن - فيه الركابية ومقدموم، ولكل من مقدمهم في الشهر نحسون دينارا وللركابية من نحمة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .
وأما الطعمة فمل ضرين .

الضرب الأول

(الأسمطة التي تمتد في شهر رمضان والعيدن)

أما شهر رمضان فإن الخليفة كان يربّ بقاعة الذهب بالقصر سيماطا في كل ليلة من استقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره في كل ليلة بالتوبة، يحضر منهم في كل ليلة قومٌ لا يجبرهم الإفطار في بيوتهم طول الشهر، ولا يكلف قاضي القضاة الحضور سوى ليالي الجمع توقيرا له، ولا يحضر الخليفة هذا السباط، ويحضر الوزير فيجلس على رأس السباط . فإن غاب قام ولده أو أخوه مقامه . فإن لم يحضر أحد منهم، كان صاحب الباب عَوْضَه . وكان هذا السباط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يمتد من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة، ويخرجون من هنالك بعد المشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفترق فضل السباط كل ليلة، ويتباهاه أرباب الرسوم حتى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من طعامه الذي يأكل منه تشريفا له، وربما خصه بشيء من يحوره .

وأما سباط العيدن فإنه يمتد في عيد الفطر وعيد الإفصح تحت سرر الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذي يجلس فيه الخليفة بالجلوس العام أيام الملوك، وتنصب على الكرسي مائدة من فضة تعرف بالمدورة، وعليها من الأواني الذهبية والفضية الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السباط العام تحت السرير من خشب مدهون في طول القاعة في عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهار المشمومة ، ويرص الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرتال من نقي الدقيق ، ويصر داخل السباط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، في كل طبق أحد وعشرون خروفا من الشوي ، وفي كل واحد منها ثلثانة ونحسون طيرا من الدجاج والفرايح وأفراخ الحمام ، ويبي مستظلا في الملو حتى يكون كقمامة الرجل الطويل ، ويسور بتشاريح الحلواء اليابسة على اختلاف ألوانها ، ويسد خلل تلك الأطباق على السباط نحو من خمسمائة صحن من الصحن الخزفية المترعة بالألوان الفاتحة ، وفي كل منها سبع دجاجات من الحلواء المساعة والأطعمة الفاتحة ، ويعمل بدار الفطرة الآتي ذكرها قصران من حلوى زنة كل منهما سبعة عشر قطارا في أحسن شكل ، عليها صور الحيوان المختلفة ، ويحلان إلى القاعة فيوضعان في طرفي السباط . ويأتي الخليفة راجعا فيتجل على السرير الذي قد نصبت عليه المائدة الفضة ويجلس على المائدة وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعي الوزير وحده فيطلع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوقين فن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السباط على قدر مراتبهم فيأكلون وقراء الحضرة في خلال ذلك يقرعون القربان ، ويبقى السباط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتى يستهلك جميع ما عليه أكلا وحلا ، وتفرقة على أرباب الرسوم .

الضرب الثاني

(فيما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر)

وكان لهم بها الاهتمام العظيم . وقد ذكر ابن عبد الظاهر أصفاتها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قنطار سكر ، وستة قناطير قسقي ، وأربعمائة وثلاثين

(١) عبارة المقرئ " من الصحن الخزفية " التي في كل منها سبع دجاجات وهي مربعة الخ .

إردب زبيب - وخمسة عشر قطار عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإرددين سمس وإرددين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نوايح مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهماً، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطاراً، في أصناف أخرى يطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويندب لها مائة صانع من الحلويين - ومائة قرأش برسم فرقة الطواغير على أصحاب الرسوم خارجاً عن هو مرتب فيها، ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسي له - في النصف الأخير من رمضان، وقد صار مالها من المستعلمات كالجبال الرواسي، فتفرق الحلوى من ربيع قطار إلى عشرة أطلال إلى رطل واحد، وانشكخان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين؛ ويترك على السودان على يد مقدمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلى مبيعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة كل طائفة على مقدارها (١)

يساط يوم الفطر ما يمد في الإيوان الكبير قبل مده سباط الطعام بقاعة الذهب. وقد وقع في كلام ابن الطوير خلف في وقته، فذكر في موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر في موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة.

الطرف الثامن^(٢)

(في جلوس الوزير للظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه)
يجلس الوزير في صدر المكان، وقاضي القضاة مقابله، وعن جانبيه شاهدان من المتبرين، وكتائب الوزير بالقلم النقيق، ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه

(١) يمان بالأمل - وله وقد كان يساط يوم الفطر بعد الخ.

(٢) لم يتقدم في هذا الفصل خمس الأطراف.

صاحب الباب وأسفهلر ، وبين أيديهما التراب والجنب على طبقتهما . وذلك يومان في الأسبوع .

وقد رنهم عمارة اليمنى بعد أنقراضهم وأستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها ملكتهم ، وعد مواكبهن ، وحكى مكارمهم ، وجلى محاسنهم ، وهى : .

رَمَيْتَ يَدَهُ كَفَّ الْمَجْدُ بِالشَّلَالِ * وَجِيْدُهُ بَعْدَ حُسْنِ الْحَلِّ بِالْعَطَلِ
شَقِيَّتَ فِي مَنَهِجِ الرَّأْيِ الْمُتَوَرِّدِ * قَدَرْتَ مِنْ عَقَرَاتِ النَّهْرِ فَاسْتَقِلِ
جَلَدْتَ مَا رَكَتِ الْأَقْفَى فَأَهْلَكَ لَا * يَنْفُكُ مَا بَيْنَ أَمْرِ الشَّيْنِ وَالْخَجَلِ
هَمَمْتَ قَاعِلَةَ الْمَعْرُوفِ عَنْ عَجَلِ * شَقِيَّتَ ، مَهَلًا أَمَا تَمْشِي عَلَى مَهَلِ
لَمْ تَقْوَ وَتَقْوَ بِنِ الْآمَالِ قَاطِبَةً * عَلَى إِحْيَائِهَا فِي أَكْرَمِ الدُّوَلِ
قَدِمْتُ مَصْرَ فَأَوْلَتْني خَلَايُهَا * مِنَ الْمَكَارِمِ مَا أَرَبِي عَلَى أَمَلِ
قَوْمٌ عَرَفْتُ لَهُمْ كَسْبَ الْأَلُوفِ ، وَمِنْ * كَيْالِهَا أَنَهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسَلِ
وَكُنْتُ مِنْ وَزَرَاءِ النَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسُ الْحِصَانِ بِهَادِيهِ عَلَى الْكَفْلِ
وَبِئْتُ مِنْ عَظَمَاءِ الْجَيْشِ تَكْرِمَةً * وَخَلَّةٌ حُرِمْتُ مِنْ عَارِضِ الْخَلِّ
يَا غَالِي فِي هَوَى ابْنَاءِ قَاطِبَةٍ * لَكَ الْمَلَامَةُ إِنْ قَصُرَتْ فِي عَدَلِ
بَاهُ ! زُرْ سَاحَةَ الْقُصْرَيْنِ وَأَبْكِي مَنِي * عَلَيْهِمَا لَا عَلَى صِفَيْنِ وَالْجَمَلِ !
وَقُلْ لِأُمَّلِيهِمَا : وَاللَّهِ مَا أَلْتَحَمْتُ * فِيمَكُ جُرُوسِي وَلَا قَرْنِي بِمُسْدِلِ !
مَاذَا تَرَى كَانَتْ الْإِفْرَاجُ فَاعِلَةً * فِي تَسْلِيلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي
[حَلَّ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرَ قِسْمَةٍ مَا * مَلِكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّيِّئِ وَالْخَيْرِ (٢)]



وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا، وَأَسْمُ جَدِّكُمْ * عَجْدٌ وَأَبُوكُمْ خَيْرٌ مِمَّ عِل
 مَرَرْتُ بِالْقَصْرِ وَالْأَرْكَانِ خَالِيَةً * مِنَ الْوُفُودِ، وَكَانَتْ قِبْلَةَ الْقَبِيلِ
 فَمِلْتُ عَنْهَا بِوَجْهِ خَوْفٍ مُتَّعِدٍ * مِنَ الْأَعَادِي، وَوَجْهُ الْوَدِّ لَمْ يَمِلْ
 أَسْبَلْتُ مِنْ أَسْفَى دَمْعِي غَلَاةَ خَلْتِ * رِحَابُكُمْ وَعَدَّتْ مَهْجُورَةَ السَّبِيلِ
 أَتَيْتُ عَلَى مَآثِرَاتٍ مِنْ مَكَارِمِكُمْ * حَالَ الزَّيْنَتِ عَلَيْهَا وَهِيَ لَمْ تَحِلْ
 (دَارُ الضِّيَافَةِ) كَانَتْ أُنْسٌ وَأَفْدَكُمْ * وَالْيَوْمَ أَوْحِشُ مِنْ رَسْمٍ وَمِنْ طَلَلِ
 وَ(نَفْطَةُ الصَّوْمِ) إِذَا مَحُتْ مَكَارِمُكُمْ، * تَشْكُو مِنَ النَّعْرِ حَقِيقًا غَيْرَ مَحْتَمِلِ
 وَ(كُسُوءَةُ النَّاسِ) فِي الْفَضَائِلِ قَدْ دَسَسَتْ * وَرَثَ مِنْهَا جَدِيدٌ عَنْهُمْ وَبَلَى
 وَمَوْسِمٌ كَانَ فِي (يَوْمِ الْخَلِيجِ) لَكُمْ * يَأْتِي بِجَمَلِكُمْ فِيهِ عَلَى الْجَمَلِ
 وَ(أَوَّلُ الْعَامِ) وَ(الْعِيدِ) كَمْ لَكُمْ * فَيَنْبَغُ مِنْ وَبَلِ جُودٍ لَيْسَ بِالْوَشَلِ
 وَالْأَرْضُ تَهْتَفِي (يَوْمَ الْغَدِيرِ) كَمَا * يَهْتَفِي مَيْنَ قَصْرِكُمْ مِنَ الْأَسَلِ
 وَالتَّحِيلُ تَعْرِضُ فِي وَثْقِي وَفِي شَيْءٍ * مِثْلَ التَّرَائِسِ فِي حَلِي وَفِي حُلِي
 وَمَا حَمَلْتُمْ قَرِيبَ الْأَضْيَافِ مِنْ سَعَةِ الْأَطْبَاقِ إِلَّا عَلَى الْأَكْثَابِ وَالْعَجَلِ
 وَمَا خَصَصْتُمْ بِرَأْهِلٍ مَلَكَةً * حَتَّى عَمَّكُمْ بِهِ الْأَقْفَى مِنَ الْمَلَلِ
 كَانَتْ رَوَائِكُمْ لِلْوَأْدِينَ وَلِلضَّيْفِ الْمُنِمْ وَالطَّارِي مِنَ الرُّسُلِ
 ثُمَّ (الطَّرَازُ) يَنْتَقِسُ الَّذِي عَظُمَتْ * مِنْهُ الصَّلَاتُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَالسُّوْلِ
 وَلِلْوَامِعِ مِنْ أَنْجَاسِكُمْ نَعَمٌ * مِمَّنْ تَصَدَّرَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلِ
 وَتُجَنَّبُ عَادَتُ الدُّنْيَا لِمَعْقُلِهَا * مِنْكُمْ وَأَحْتَتْ بِكُمْ حُلُولَةُ الْعُقُلِ

(١) فِي الْقُرْآنِ: "فِي الْحَسَنَاتِ" هِيَ أَوْضَحُ.

والله ! لا تَأْزَلُ يَوْمَ الْحَشْرِ مُبْعَضُكُمْ * ولا تَجَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ غَيْرَ وَدِي
ولا سَقِي الْمَاءَ مِنْ حَرٍّ مِنْ ظِلِّكِ * مَنْ كَفَّ خَيْرَ الْبَرَاءَا حَتَّمُ الرُّسُلَ
[وَلَا رَأَى جَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خُلِقَتْ * مَنْ خَانَ عَهْدَ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ بْنِ عَلِيٍّ (١)]
أَمْسِي وَهَدَايَ وَالذَّخِيرَةَ لِي * إِذَا أَرْتَهْتُ بِمَا قَلَمْتُ مِنْ عَمَلٍ
وَاللَّهِ لَمْ نُوفِهِمْ فِي الْمَدْحِ حَقَّهُمْ ! * لَأَنْتَ فَضْلُهُمْ كَالْوَاوِيلِ الْهَاطِلِ
وَلَوْ تَضَاعَفَتِ الْأَقْوَالُ وَاسْتَبَقَتْ * مَا كُنْتُ فِيهِمْ بِمَجْدِ اللَّهِ بِالتَّحْمِيلِ
بَابُ النَّجَاةِ، هُمْ دُنْيَا وَآخِرَةٌ * وَجِبَهُمْ فَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَالْعَمَلِ
نُورُ الدُّجَى وَمَصَابِيحُ الْمُدَى وَهُمْ * مَنْ نُورِ خَالِصِ نُورِ اللَّهِ لَمْ يَغِلْ
وَاللَّهِ لَا زَلْتُ عَنْ حُجِّي لَمْ أَبْذَأْ * مَا أَخَّرَ اللَّهُ لِي فِي مَدَّةِ الْأَجَلِ !

قلت : وعمارة هذا لم يكن على مُتَعَدِّ الشَّيْعَةِ بل فقيها شافعيًا، قَدِمَ مَصْرَ رسالة
عن القاسم بن هاشم بن أبي فليته أمير مكة إلى القاتر أحد خلفائهم في سنة خمسين وخمسمائة
في وزارة الصالح حلالج بن رزيك ، فأحسنوا له وبالنوا في بَرِّه ، فأقام عندهم
وتألف بهم ، وأتى فيهم من المدح بما يهرِّ العقول . ولم يزل مواليا لهم حتى زالت
دولتهم وأستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فوثاقهم بهذه
القصيدة ، فكانت آخر أسباب خنقه ، فصلب فيمن صُلب بين القصرين من أتباع
الدولة الفاطمية .

(تم الجزء الثالث)

وبله الجزء الرابع ؛ وأوله " الحالة الثالثة من أحوال المملكة ،
ما طيلة ترتيب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا "

الإضافة عن القرطبي في الخطط .



Biblioteca Alexandrina



0556851